

إعجاز القرآن الكريم

عند شيخ الإسلام ابن تيمية

مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني

تأليف

د. محمد بن عبد العزيز العواجي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

تقديم

أ. د حكمت بن بشير بن ياسين

د محمد عمر عبد الله حوية

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - قسم التفسير.

بإشراف فضيلة الشيخ /د. محمد عمر حويه الشنقيطي

ومناقشة فضيلة الشيخ /أ.د. حكمت بشير ياسين

ومناقشة فضيلة الشيخ /أ.د. عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي، وذلك في ١٤١٤/٦/١٠هـ.

وحصل الطالب فيها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

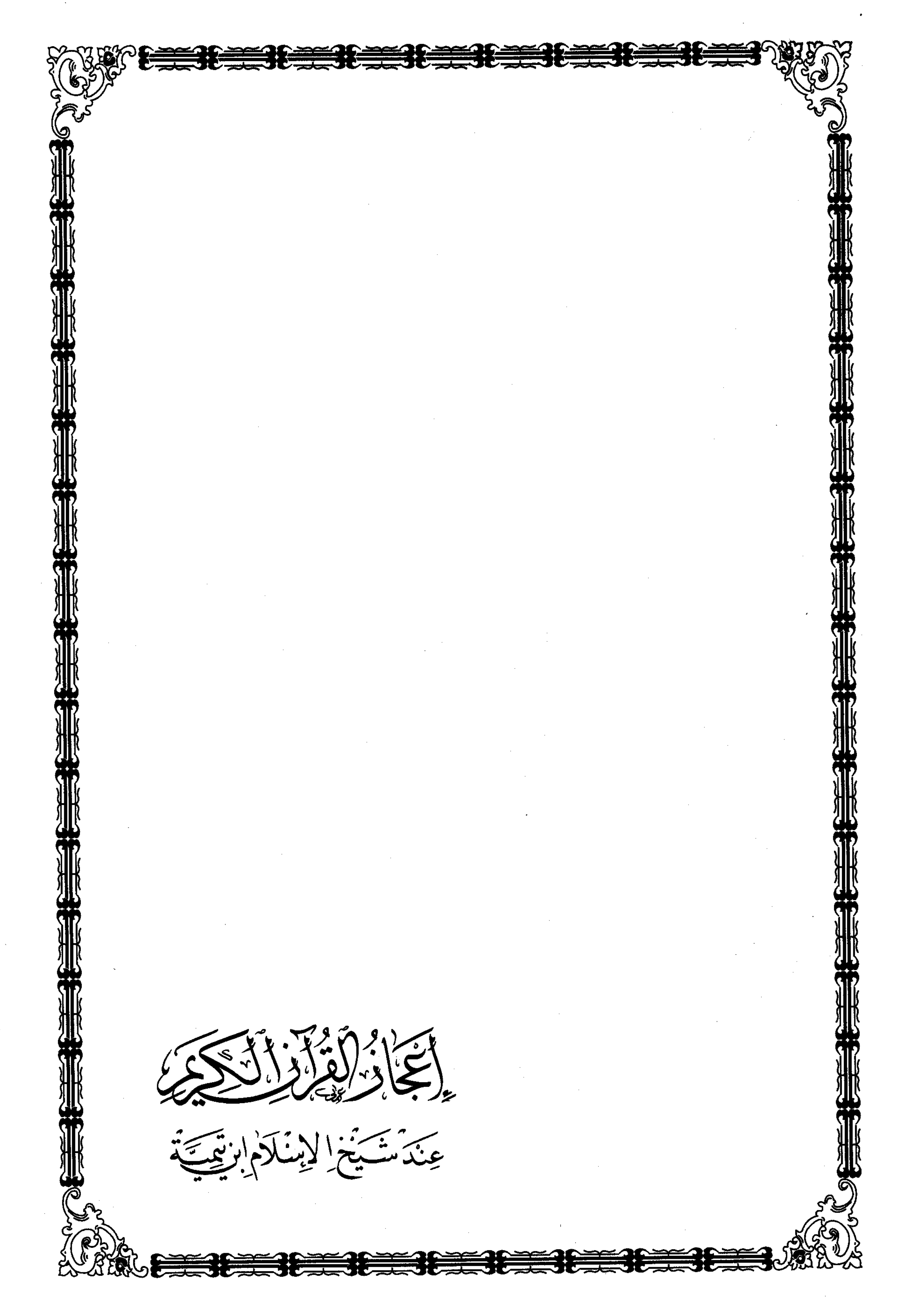
◆ ملحوظة: طبعت الرسالة كما هي وقت اعتماد النتيجة عام ١٤١٤هـ.

• الملحوظات ترسل على عنوان المؤلف

المدينة المنورة - ص.ب: ٢٠٠٤٤

aboayob@yahoo.com

aboayob@hotmail.com


إعجاز القرآن الكريم
عند شيخ الإسلام ابن تيمية

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العواجي، محمد بن عبد العزيز بن محمد

إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني. / محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي .- الرياض، ١٤٢٧هـ

٤٦٢ص؛ ١٧×٢٤سم.- (منشورات مكتبة دار المنهاج؛ ٣٤)

ردمك: ٣ - ٤ - ٩٦٦١ - ٩٩٦٠

١ - القرآن - الإعجاز العلمي أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢٢٩,٧ ١٤٢٧/٤٠٩٨

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

المركز الرئيسي - طريق الملك فهد - شمال الجوازات

هاتف ٤٠٦٥٥٥٣ - فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ - ص.ب ٥١٩٢٩ الرياض ١١٥٥٣

الفروع: طريق خالد بن الوليد (إنكاس سابقاً) ت ٢٣٢٣٠٩٥

طريق الأمير سعد بن عبد الرحمن (مخرج ١٥) ت ٤٤٥٦٢٢٩

المدينة النبوية - طريق سلطانة ت ٠٤/٨٤٦٧٩٩٩

مكة المكرمة - الشامية - ت ٠٢/٥٧٣٠٩٨٠

المقدمة

وتشتمل على مايلي:

أولاً:

١ ـ أهمية الموضوع.

٢ ـ أسباب اختيار البحث.

٣ ـ خطة البحث.

٤ ـ شكر واعتذار.

٥ ـ طريقة العمل فيه.

ثانياً: ترجمة شيخ الإسلام مع نبذة عن الدراسات حوله.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد جرت سنة الله في ابتعاث رسله إلى خلقه، لتبصيرهم بعظمته وجمعهم على عبادته، أن يؤيدهم بأمور حسية تخالف السنن الكونية، وتخرج عن النواميس الطبيعية، وتكون من قبيل ما استحكم في زمانهم، وعظم في نفوس عامتهم، لتكون آية ومعجزة وبرهان الرسول المرسل إليهم، مفحمة لأعجب الأمور في أنظارهم، ومبطلة لأقوى الأشياء في حسبانهم، لئلا يجد المبطلون والمعاندون شيئاً يتشبثون به.

فقد أيد الله ﷻ موسى عليه السلام ـ وكان عصره عصر سحر ـ بفلق البحر، وانقلاب العصا حية تسعى، وبياض اليد، وانبجاس الحجر الصلب بعيون الماء.

وأيد عيسى عليه السلام ـ وكان عصره عصر الطب ـ بإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وخلق الطير من الطين بإذن الله.

ولما أرسل الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ إلى الناس جميعاً، وجعله خاتم الأنبياء، أيده بمعجزات حسية كمعجزات من سبقه، كانشقاق القمر، ونبع الماء...

وخصه بمعجزة خالدة وهي إنزال القرآن الكريم؛ الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولم يقاربوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البلاغة والفصاحة والبيان، وجلت مكانتهما في صدور أهلهما، وعرفوا باللسن والفصاحة وقوة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس والإبانة عن مشاعر القلوب.

فتحداهم الله ﷻ بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يقرعهم بعجزهم، ويكشف نقصهم، من خلال ما ينزله على رسوله ﷺ من آيات هذا الكتاب العظيم؛ الذي يصرح بتحديهم به كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨]، وقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، فتحداهم مراراً ثم توعدهم وخوفهم بمصيرهم إن لم يفعلوا.. فاستكانوا وذلوا أمامه، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريج[1]، ولقد أدهش العرب جميعاً لما سمعوه، وحير لبابهم وعقولهم بسحر بيانه، وروعة معانيه، ودقة ائتلاف ألفاظه ومبانيه.

فمنهم من آمن، ومنهم من كفر فحقت عليه كلمة الوعيد، وافترقت كلمة الكافرين في وصفه، وتباينت في نعته:

فقال بعضهم: هو شعر!!، وقال آخرون: إنه سحر!!.

وزعمت طائفة: بأنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه..!!

وقال قوم: إنه افتراه!!.. حتى قال المفترون: لو نشاء لقلنا مثل هذا!!، ولكنهم لم يقولوا، هم ولا غيرهم ما يقاربه...

---

(١) المريج: الملتوي الأعوج، ومرج الأمر: التبس واختلط. اللسان ٢/ ٣٦٥.

وقد أقبل عليه علماء هذه الأمة بالتدبر والتفكر في آياته، وتفسيرها بإجلال واحترام، وعمل بالأوامر، واجتناب للزواجر...

وفي المقابل أقبل عليه أعداء الإسلام، فاتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة بتأويلها، وتحريف الكلم عن مواضعه، حتى لقد نفى فريق منهم إعجازه، بل ووصفه ـ نعوذ بالله ـ بأنه فاسد النظم، متناقض المعنى[١]!!.

ولما بدأت المطاعن في القرآن تسري، وأوشكت الشبهات على الظهور، نهض فريق من العلماء يدرؤون عنه وينافحون دونه بالأدلة القاطعة، والحجج النيرة الواضحة[٢].

فكانت مسألة إعجاز القرآن من أبرز المسائل التي تناولها العلماء بالبحث في ثنايا كتبهم وتفسيرهم للقرآن، والرد على منكري النبوة.

وألف فيه بعضهم باستقلال وتكاثر الكلام فيه حتى صار فناً مستقلاً عن غيره، له مسائله وخصائصه.

ولما كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من العلماء الأفذاذ المصلحين، وكان له إسهام في مجال دراسة إعجاز القرآن الكريم بالبيان ومناقشة المخالفين، رأيت من الواجب عليّ أن أبرز هذه الوثيقة العلمية من حياة شيخ الإسلام الحافلة بشتى العلوم.

فتقدمت إلى قسم التفسير بكلية القرآن الكريم بهذا العنوان: «إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني».



---

(١) منهم: ابن الراوندي، والمزدارية، والحسينية. إعجاز القرآن د. سيد صقر في مقدمة الباقلاني، وكما سيأتي ص١٨٨ و٣٦٨.

(٢) هذه المقدمة ذكرها السيد أحمد صقر في تحقيقه لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني (بتصرف).

أسباب اختيار الموضوع

لعل من أهم الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

١ ـ الرغبة الشديدة في دراسة إعجاز القرآن الكريم لتعلقه بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ ـ شدة حاجة الناس إلى بحث مثل هذا الموضوع وتحقيق الحق فيه، لشرفه أولاً وأهميته، ولكثرة من غلط فيه أو جانب الصواب من الطوائف أو الأفراد.

٣ ـ قلة ما كتب في إعجاز القرآن عبر القرون الماضية بالنسبة إلى غيره من العلوم، وغالب من تكلم فيه هم من المتكلمين.

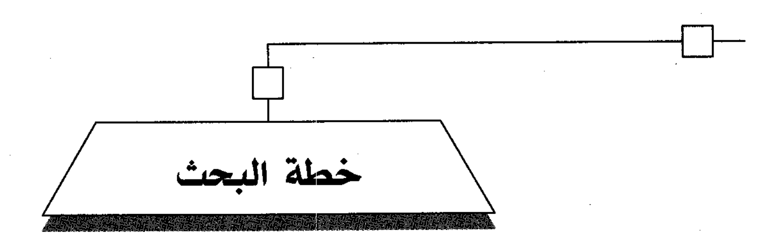
٤ ـ أن شيخ الإسلام رحمه الله من المتخصصين بل المحققين في التفسير وعلوم القرآن، وكتاباته واختياراته في ذلك شهيرة معتمدة عند أهل هذا الفن.

٥ ـ براعة شيخ الإسلام، وجهده في هذا الموضوع ـ خاصة ـ جلي واضح ولذا أحببت أن أجمع المسائل التي تكلم عليها في هذا الفن لتكون في متناول اليد، ثم إنه بجمعها يتبين لنا مذهب السلف في كثير من مسائل الإعجاز التي كثر الخوض فيها.

٦ ـ إن إظهار مثل هذا العلم ونشره فيه بيان لعظمة كتاب الله ﷻ وإيجاد الصلة بينه وبين قلوب المسلمين ـ الغافلة عنه إلا ما شاء ربك ـ وإيضاح لغير المسلمين ممن رام الحق.

٧ ـ تنمية ملكة الفهم والاختيار والبناء الجيد مما لا يتوفر لي في اختيار موضوع سواه.

أسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه.



خطة البحث

قسمت مادة هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة:

أما المقدمة: فتشتمل على ما يلي:

أولاً:

١ ـ أهمية الموضوع.

٢ ـ أسباب اختيار البحث.

٣ ـ خطة البحث.

٤ ـ شكر واعتذار.

٥ ـ منهجي في البحث.

ثانياً: ترجمة لشيخ الإسلام مع الإشارة إلى بعض الدراسات حوله ولا سيما ما يخص الدراسات القرآنية عنده.

وأما التمهيد: فقد تكلمت فيه عن إعجاز القرآن من ناحية تعريفه ونشأته، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن.

المبحث الثاني: نشأة علم إعجاز القرآن.

المبحث الثالث: المراحل التي مر بها وتطوره.

المبحث الرابع: أشهر مسائله ومباحثه.

المبحث الخامس: ثمرة هذا العلم.

وأما الأبواب الأربعة فهي مشتملة على ما يلي:

الباب الأول: إعجاز القرآن الشمولي عند شيخ الإسلام، وفيه فصلان:

الفصل الأول: شمولية القرآن وهيمنته، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: أن القرآن جمع علم الكتب السابقة عليه.

المبحث الثاني: أن فيه تفصيل كل شيء.

المبحث الثالث: شدة حاجة البشر إلى القرآن.

المبحث الرابع: أن القرآن آية صدق النبي ﷺ.

المبحث الخامس: إظهار معجزات الأنبياء في القرآن.

المبحث السادس: التدرج في التحدي.

الفصل الثاني: أوجه الإعجاز التي تكلم عليها شيخ الإسلام، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: إعجاز القرآن في أسمائه وأوصافه.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن في السورة القصيرة والآية والآيتين.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن في حروف المعجم.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن في الإخبار بالمغيبات.

المبحث الخامس: إعجاز القرآن ليس في الأمثال اللغوية فقط، والرد على من زعم الصرفة.

المبحث السادس: إعجاز القرآن في تناسبه وارتباط بعضه ببعض.

المبحث السابع: الإعجاز العلمي والكوني في القرآن.

الباب الثاني: إعجاز القرآن البياني وكلام شيخ الإسلام فيه، وفيه فصلان:

الفصل الأول: إعجاز القرآن في أساليبه وكلام شيخ الإسلام فيها، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إعجاز القرآن في الأقسام.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن في الاستفهام.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن في ضرب الأمثال.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن في القصص.

المبحث الخامس: إعجاز القرآن في المخاطبات بحسب الحاجات.

المبحث السادس: بيان القرآن للحق بالأدلة العقلية والقياس البيّن.

الفصل الثاني: خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن عند شيخ الإسلام، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: قوة لفظ القرآن وأثرها في المعنى.

المبحث الثاني: خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن عظيمة.

المبحث الثالث: أنه لا ترادف بين كلماته أو حروفه.

المبحث الرابع: لا يخالف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني وكذلك الحروف.

المبحث الخامس: العطف والتغاير.

المبحث السادس: ليس في القرآن تكرار بعينه.

المبحث السابع: ليس في القرآن كلام لا معنى له.

الباب الثالث: علاقة القرآن بغيره وكلام شيخ الإسلام في ذلك، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الفرق بين القرآن وغيره: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين إعجاز القرآن والكتب السابقة.

المبحث الثاني: الفرق بين أتباع القرآن والمعرضين عنه.

المبحث الثالث: الفرق بين الشعر والقرآن كما بينه القرآن.

الفصل الثاني: الرد على من طعن في القرآن كما بينه القرآن، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: تنزيه القرآن للرسولين عليهما السلام.

المبحث الثاني: دلالة الحال على صدق النبي ﷺ.

المبحث الثالث: الرد على من زعم أنه تعلمه من أهل الكتاب.

المبحث الرابع: دلالة القصص على أنه لم يتعلمه من أحد.

المبحث الخامس: مطاعن المشركين في القرآن والنبي ﷺ لتبرير مواقفهم.

المبحث السادس: دلالة القرآن على أنه منزل من الله بلفظه ومعناه.

المبحث السابع: الرد على من زعم أن لفظه من الرسول ومعناه من الله.

الباب الرابع: المقارنة بين إعجاز القرآن عند ابن تيمية وإعجاز القرآن عند الباقلاني، وفيه تمهيد وفصلان:

أما التمهيد: فجعلته ترجمة موجزة عن الإمام الباقلاني.

وأما الفصلان فجعلتهما كالتالي:

الفصل الأول: المقارنة بينهما في بعض أوجه إعجاز القرآن، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التحدي في القرآن.

المبحث الثاني: القدر المعجز من القرآن.

المبحث الثالث: هل في القرآن مجاز.

المبحث الرابع: أثر اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن.

الفصل الثاني: المقارنة بينهما في الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: ما يرجع إلى جملته.

المبحث الثاني: عدم التفاوت والتباين في نظم القرآن.

المبحث الثالث: افتتاح بعض السور بحروف المعجم.

المبحث الرابع: موافقة الأحكام الشرعية للعقل.

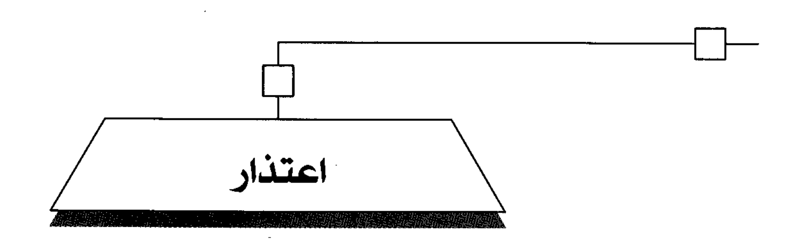
المبحث الخامس: اقتصار الإعجاز على وجوه البلاغة وموقف كل منهما من ذلك.

وأما الخاتمة: فإنها تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم ذيلت البحث بفهارس علمية يستطيع القارئ من خلالها التوصل إلى ما يريده بيسر وسهولة وهي كالآتي:

١ ـ فهرس الآيات مرتباً حسب السور.
٢ ـ فهرس الأحاديث مرتباً حسب حروف المعجم.
٣ ـ فهرس الآثار مرتباً حسب حروف المعجم.
٤ ـ فهرس الأعلام.
٥ ـ فهرس الكلمات الغريبة.
٦ ـ فهرس المصطلحات والتعريفات.
٧ ـ فهرس الفرق والأمم والقبائل.
٨ ـ فهرس الشعر.
٩ ـ فهرس الأماكن.
١٠ ـ فهرس المصادر والمراجع.
١١ ـ فهرس الموضوعات.

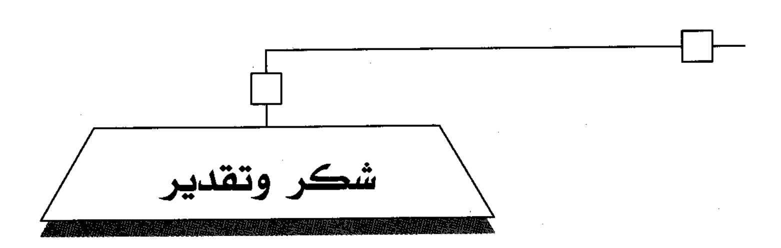




اعتذار

هذا وقد بذلت جهدي لإظهار هذه الرسالة بالمظهر اللائق بها على اعتراف مني بالتقصير، وحسبي أني لفتّ الأنظار إلى جهد من جهود علماء الإسلام حول بيان عظمة وإعجاز هذا القرآن، فإن أصبت ووفِقْت فذلك فضل الله علي فله الحمد والمنة، وإن أخطأت فمن نفسي وأستغفر الله.





لا يسعني في الختام إلا أن أشكر الله ﷻ أولاً وآخراً على ما منّ به عليّ من التوفيق والسداد، والنعم العظيمة التي لا تحصى وأسأله المزيد والقبول.

ثم أشكر الجامعة الإسلامية التي كان لي شرف الانتماء إليها وتلقي العلم الشرعي المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على منهج السلف الصالح في أحضانها.

وإن أنسى فلا أنسى تقديم جزيل الشكر والثناء للأستاذ الفاضل د. محمد عمر حوية المشرف على الرسالة، والذي لم يدخر وسعاً أو يبخل عليّ بعلم أو وقت، فاللهم اجزه عني خير الجزاء وأوفاه.

وأتقدم بالشكر للأستاذين الفاضلين اللذين تبرعا بقبول قراءة هذه الرسالة فلهما عني من الله خير الجزاء.

وأسأل الله العلي القدير أن يجزي كل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة أو كان له بها علاقة خير الجزاء.

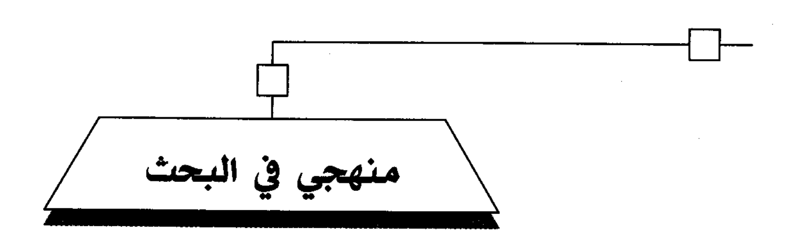
اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا واختم بالصالحات أعمالنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبة أجمعين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

د. محمد بن عبد العزيز العواجي



١ ـ قمت بجرد كلام شيخ الإسلام رحمه الله من مجموع الفتاوى ثم من سائر كتبه الكبيرة والصغيرة ـ ما لم تكن مطبوعة ضمن المجموع ـ، كدرء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة، والفتاوى الكبرى، وغيرها.

٢ ـ قمت بترتيب النقول حسب ما وقع عندي أنه الأحسن في نظري بعد استشارة المشرف واطلاعه على ذلك.

وحذفت ما كان متكرراً من كلام الشيخ فأكتفي بالنقل من موضع وإن كان له كلام بنفس المعنى في أكثر من موضع.

ولا أذكر الأمرين إلا إذا كان لأحدهما معنى واحتمال غير الآخر.

٣ ـ حاولت الاقتصار من كلام الشيخ على ما يفي بالغرض منه في المبحث أو المطلب.

٤ ـ لم أحاول الإكثار من التدخل في ثنايا كلام الشيخ إلا بقدر ما يربط بين النقول فقط، أو يهيئ القارئ للدخول في الموضوع مباشرة.

٥ ـ لم أذكر من كلام الشيخ شيئاً بالمعنى وذلك للأمانة العلمية في نقل كلام الشيخ ولأمن الخطأ فإن التدخل لا بد فيه من إحاطة بالمعنى وأخشى أن أدرك جزءاً وأنسى غيره فنقلت نص كلامه.

٦ ـ قدمت من كلام الشيخ ما كان أوضح وأتم وأقصر واستغنيت به عن غيره مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

٧ ـ ما كان من عبارة غامضة أو مصطلح أو علم أو نص خرجته في الحاشية أو علقت عليه.

٨ ـ لم أطل في التراجم والتعريفات وإنما اكتفيت بما يدل على الموضوع.

٩ ـ لم أترجم للصحابة لشهرتهم.

١٠ ـ عزوت الأحاديث والآثار إلى من أخرجها أو من نقلها عنهم إن لم أجد الأصل.

١١ ـ كل ما رأيت أنه داخل في الإعجاز ولو من وجه أدخلته وما ليس كذلك فقد حذفته ولم أشر إليه.

١٢ ـ عزوت أكثر النصوص من كلام الشيخ إلى مجموع الفتاوى وإن كانت موجودة في بعض الرسائل المستقلة.

١٣ ـ رجعت إلى النصوص المحققة من كلام الشيخ في النص وكلام غيره في الإحالات وإن لم تكن مطبوعة كتفسير ابن أبي حاتم والجواب الصحيح وأشير إلى ذلك بـ(المحققة) وأقرنها بالمطبوع ليسهل على القارئ الرجوع إلى المتوفر لديه.

١٤ ـ عند ذكر النبي ﷺ فإذا لم يذكر في كلام الشيخ الصلاة فأدخلها في الأصل وعلامة ذلك جعلها بين شرطتين (ـ ـ).

١٥ ـ عند وجود تكرار مقطع للشيخ في أكثر من موضع فأحاول الاختصار منه مع الإشارة إلى ذلك، وأحياناً أشير إليه إشارة فقط دون ذكر النص دفعاً للتكرار.

١٦ ـ في الباب الرابع وهو المقارنة أذكر كلام الباقلاني أولاً لأنه متقدم في العصر على الشيخ، ثم أذكر كلام الشيخ بعده لتحصل المقارنة وتتضح الموافقة أو المخالفة في ذلك.

١٧ ـ في المقارنة لم أقصد فيها من كل وجه وإنما أوجه محددة هي كمثال على ما بقي، وإلا لو أردت المقارنة بينهما من كل وجه لطال الموضوع بل أصبح رسالة مستقلة وهو جدير بذلك.

١٨ ـ إنما اخترت المقارنة بين شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الباقلاني رحمهما الله؛ ذلك لأن الأول: هو موضوع البحث والدراسة والمقصود من ذلك جمع نصوصه في هذا الفن.

أما الثاني: فلأنه أشهر من كتب من المتقدمين في الإعجاز كفن مستقل، فحاولت إبراز أهمية هذه الرسالة من خلال هذه المقارنة التي تبين أهمية المباحث التي تكلم فيها شيخ الإسلام في القرن الثامن، والإمام الباقلاني في أول القرن الخامس مما يربط المتأخر بالمتقدم، كما أنه بيان لمزايا الكتابة عند كل منهما.



مصادر البحث التي قمت بجردها

١ - الاستقامة: تحقيق د. محمد رشاد سالم.
٢ - اقتضاء الصراط المستقيم: تحقيق د. عبد الكريم العقل.
٣ - الإيمان: نشر المكتبة القيمة.
٤ - بغية المرتاد: تحقيق د. موسى الدويش.
٥ - بيان تلبيس الجهمية: تحقيق عبد الرحمن بن قاسم.
٦ - تفسير آيات أشكلت: رسالة علمية تحقيق د. عبد العزيز الخليفة.
٧ - التفسير الكبير: جمع عبد الرحمن عميره.
٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: طبعة. علي صبيح المدني.
٩ - درء تعارض العقل والنقل: تحقيق د. محمد رشاد سالم.
١٠ - دقائق التفسير: جمع د. محمد السيد الجليند.
١١ - الرد على الأخنائي في مسألة الزيارة: تحقيق عبد الرحمن المعلمي.
١٢ - الرد على المنطقيين: تحقيق عبد الصمد شرف الدين.
١٣ - شرح العدة: تحقيق د. سعود العطيشان ج١، وتحقيق صالح محمد الحسن.
١٤ - الصارم المسلول على شاتم الرسول: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
١٥ - الصفدية: تحقيق د. محمد رشاد سالم.
١٦ - العبودية: تحقيق محمد منير الدمشقي.
١٧ - الفتاوى الكبرى: تقديم حسنين محمد مخلوف.

١٨ ـ القواعد النورانية الفقهية: تحقيق محمد حامد الفقي.

١٩ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد.

٢٠ ـ مجموعة تفسير شيخ الإسلام: جمع عبد الصمد شرف الدين.

٢١ ـ مجموعة الرسائل والمسائل: نشر محمد رشيد رضا.

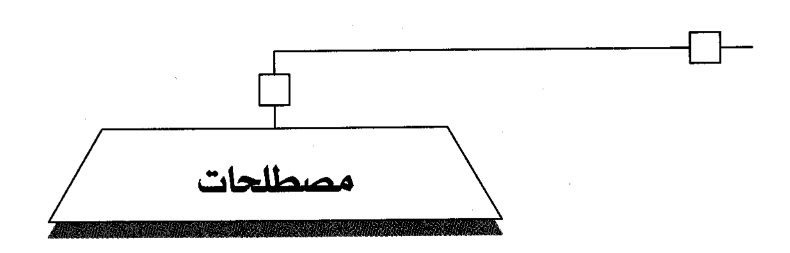
٢٢ ـ منهاج السنة النبوية: تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٢٣ ـ النبوات: نشر دار الكتب العلمية.

٢٤ ـ نقد المنطق: ط السنة المحمدية.

٢٥ ـ جامع الرسائل والمسائل.





١ ـ إذا ذكرت المرجع مباشرة فالكلام منه بالنص.

٢ ـ أما إذا قلت (انظر كذا) فالكلام ذكرته بالمعنى، أو تصرفت في العبارة.

٣ ـ وإن قلت (وانظر) فما ذكرته إنما هو إشارة إلى كلام مؤلف المرجع فقط.

٤ ـ أقدم المرجع المتقدم في الوفاة ما لم يكن الكلام نصاً لغيره فأقدم صاحب النص ثم من استفدت منه.

٥ ـ نسخة تفسير ابن جرير رجعت إلى تحقيق أحمد شاكر وهو الغالب وإن لم أشر إلى ذلك، وإن كانت غيرها فأضع بين قوسين (الفكر)، أو (دار الفكر).

٦ ـ نسخة تفسير ابن كثير رجعت إلى طبعة الشعب وهو الغالب وإن لم أشر إلى ذلك، وإن كانت غيرها فأشير ولا ألجأ إلى غيرها إلا عند وجود التفاوت بين النسختين.

٧ ـ إذا قرنت المحققة مع ذكر الجواب الصحيح فالمعنى نسخة الجواب الصحيح المحققة وهي الجزء الثالث من الكتاب وهو الأخير حسب تقسيم كلية أصول الدين لذلك ـ جامعة الإمام ـ وحسب رأيهم فهو التقسيم الأصلي للكتاب.

٨ ـ بالنسبة لصحيح البخاري اعتمدت على النسخة التي مع شرحها فتح الباري، وأشير إلى ذلك بين قوسين (الفتح).

٩ ـ اختصرت في أسماء الكتب كالتالي:

ـ التعريفات: فهو للجرجاني.

ـ اللسان: لابن منظور.

ـ الكليات: لأبي البقاء الكفوي.

ـ التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري.

ـ إعجاز القرآن: فهو للباقلاني النسخة المحققة ت. السيد أحمد صقر، وغيرها أشير إليه.



ترجمة شيخ الإسلام

وتشتمل على عدة أمور:

أولاً: اسمه، ولادته، أسرته.

ثانياً: نشأته العلمية:

أ ـ الحالة العلمية، وحركة التفسير في عصره.

ب ـ تحصيله.

ج ـ شيوخه.

د ـ تلاميذه.

هـ ـ مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن.

و ـ مصنفاته في سائر العلوم.

ز ـ عدد مؤلفاته ورسائله إجمالاً.

ثالثاً: صفاته:

أ ـ الخَلقية.

ب ـ الخُلقية.

رابعاً: شعره واللغات التي أجادها.

خامساً: جهاده.

سادساً: وفاته.

سابعاً: ثناء العلماء عليه:

أ ـ علماء عصره.

ب ـ من بعد عصره.

ج - كلمات لخصومه في الثناء عليه.

ثامناً: بعض المتأثرين بشيخ الإسلام.

تاسعاً: المترجمون لشيخ الإسلام.

أ - في القديم.

ب - في العصر الحاضر.

عاشراً: بحوث ودراسات حول شيخ الإسلام.

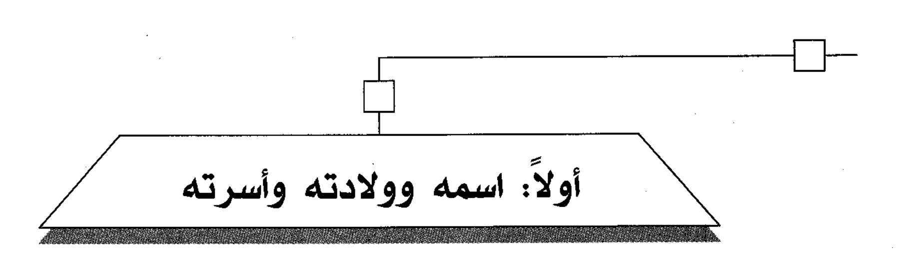
أ - في علوم القرآن والتفسير.

ب - في سائر العلوم والفنون.

ج - الرسائل العلمية.

حادي عشر: مراجع ترجمة شيخ الإسلام.





أولاً: اسمه وولادته وأسرته

أ ـ اسمه:

هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي.

و«تيمية»: لقب جده الأعلى؛ وسبب التسمية كما قال ابن عبد الهادي[١]: «قيل إن جده محمد بن الخضر حجَّ على درب تيماء فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً، فقال: يا تيمية يا تيمية؛ فلقب بذلك.

قال ابن النجار[٢]: ذكر لنا أن جدةَ محمد كانت أمها تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها. اهـ[٣].

ب ـ ولادته:

ولد بحران[٤] يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة الجماعيلي المقرئ المحدث الحافظ الناقد النحوي، من الملازمين لشيخ الإسلام والحجاج المزي. توفي سنة ٧٤٤هـ شذرات الذهب ٧/ ١٤١.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي ابن النجار الإمام العالم الحافظ البارع محدث العراق ومؤرخ العصر، ولد سنة ٥٧٨هـ، وسمع وتتلمذ على قرابة ثلاثة آلاف شيخ، وله مؤلفات عديدة منها: «القمر المنير في المسند الكبير»، و«الكمال في الرجال»، و«ذيل التاريخ» وغيرها، مات سنة ٦٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٣١، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٦.

(٣) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص١٨.

(٤) حران: هي مدينة عظيمة مشهورة وهي على طريق الموصل والشام والروم، وكانت=

وستمائة، وذكر الصفدي[١] أن مولده كان في الثاني عشر من ربيع الأول، أما ابن عبد الهادي فذكر التاريخين في مولده، ومثل هذا الخلاف يكثر أحياناً في السير وليس فيه فارق كبير.

سافر به والده وبإخوته إلى الشام عند جَور التتار[٢] فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة[٣] لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا.

وقدموا إلى دمشق أثناء سنة سبع وستين وستمائة[٤].

ج - أسرته:

ينتسب الشيخ إلى أسرة آل تيمية، وهي من الأسر العريقة بحران من أرض الشام، وقد اشتهرت بالعلم والدين:

١ - فجده:

أبو البركات مجد الدين من كبار أئمة الحنابلة، ولد سنة ٥٩٠هـ، قال

= منازل الصابئة وهم الحرانيون الذي يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل، فتحت أيام عمر بن الخطاب ﷺ، وتقع الآن شمالي شرقي الجمهورية التركية قرب أورفة، وهي بلدة عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل تيمية وغيرهم عنها. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦، والأعلام العلمية للبزار ص١٦ هامش.

(١) خليل بن أيبك الصفدي، صلاح الدين المتوفى سنة ٧٦٤هـ من العلماء الأجلاء. وانظر: شذرات الذهب ٧/ ٢٠٠.

(٢) التتار: اسم يطلق على قبائل من البدو الرحل كانت تطوف الجهات الشمالية من بلاد الصين، وكانوا يسكنون جبال طغاج، وقد تزعمهم المغول بقيادة جنكيز خان الذي وحدّ قبائلهم لينهبوا خيرات المسلمين، فاكتسحوا شرق ووسط آسيا حتى وصلوا إلى دمشق من أرض الشام ثم تمزقوا إلى عدة دويلات، دخلت بعد ذلك في ظل الخلافة العثمانية بعد أن اعتنقوا الإسلام.
وانظر: البداية والنهاية ١٣/ ٩٠، والموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٩٠.

(٣) العجلة عبارة عن عربة ذات عجلات وعمود؛ تحمل الأمتعة عليها وتدفع باليد أو تسحب بالخيول أو الحمير ونحوها. وانظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١١٨٩، و٢/ ١١٩٨.

(٤) وانظر: العقود الدرية ص١٨، والبداية والنهاية ١٤/ ١٤١، والوافي بالوفيات ٧/ ١٥.

عنه الذهبي: كان الشيخ مجد الدين معدوم النظير في زمانه رأساً في الفقه وأصوله، بارعاً في الحديث ومعانيه، له اليد الطولى في معرفة إعجاز القرآن والتفسير، وصنف التصانيف، واشتهر اسمه، وبعد صيته، وكان فرد زمانه في معرفة المذهب، مفرط الذكاء، متين الديانة، كبير الشأن».اهـ.

أقام ببغداد ست سنين يشتغل في الفقه والخلاف، والعربية وغير ذلك، ثم رحل إليها مرة أخرى فازداد بها من العلوم.

وببغداد قرأ القراءات والفقه وأتقن العربية والحساب والجبر، والمقابلة، والفرائض، وبرع في هذه العلوم وغيرها.

قال الذهبي: قال شيخنا أبو العباس: كان جمال الدين بن مالك(١) يقول: ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد».اهـ.

توفي رحمه الله يوم عيد الفطر ٦٥٢هـ بحران.

ومن مصنفاته:

١ ـ أرجوزة في علم القراءات.

٢ ـ الأحكام الكبرى: عدة مجلدات.

٣ ـ المنتقى من أحاديث الأحكام: شرحه الشوكاني وسماه: نيل الأوطار.

٤ ـ منتهى الغاية في شرح الهداية: بيض جزءاً منه والباقي لم يبيضه.

٥ ـ مسودة في أصول الفقه زاد فيها ولده ثم حفيده أبو العباس.

مصادر ترجمته:

معرفة القراء الكبار للذهبي ٢/ ٥٢٠، الوافي بالوفيات للصفدي ١/ ٥٧٠، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩١، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٠٣، وغيرها.

---

(١) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ولد ٦٠٠هـ علامة في العربية ذو خلق وسخاء شاعر صادق اللهجة توفي ٦٧٢هـ. شذرات الذهب ٥/ ٣٣٩.

٢ ـ عم جده:

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله المعروف بابن تيمية الحراني، الملقب فخر الدين الخطيب، واعظ فقيه حنبلي، كان فاضلاً، تفرد في بلده بالعلم، له تفسير القرآن الكريم، وديوان خطب، ومختصر في فقه الإمام أحمد وغيرها، وكان بارعاً في التفسير، ولد في شعبان ٥٤٢هـ بحران وتوفي بها سنة ٦٢١هـ.

مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨٨، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥١، العبر ٥/ ٩٢، شذارت الذهب ٥/ ١٠٢، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٧، وفيات الأعيان ٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٨.

٣ ـ ابن عم جده:

عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، ولد سنة ٥٨١ بحران وسمع بها على والده وغيره، ورحل إلى بغداد فسمع بها ثم رجع وقام مقام أبيه بعد وفاته.

كان يلقي التفسير في الجامع على الكرسي، ويخطب ويعظ ويدرس، صنف «الزوائد على تفسير الوالد» وغيره، توفي في محرم ٦٣٩هـ بحران.

مصادر ترجمته:

سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٣١، الإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص١٢٥، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٢٢.

٤ ـ والد الشيخ:

شهاب الدين أبو المحاسن، عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، نزيل دمشق الحنبلي ابن المجد ووالد شيخ الإسلام تقي الدين، ولد سنة ٦٢٧هـ بحران، سمع من والده وغيره ورحل في طلب العلم وهو صغير السن، قال الذهبي: «قرأ المذهب حتى أتقنه على والده ودرس وأفتى، وصنف وصار شيخ البلد بعد أبيه، وخطيبه وحاكمه، وكان إماماً محققاً جواداً

من حسنات العصر، تفقه عليه ولداه أبو العباس وأبو محمد، وكان قدومه إلى دمشق بأهله وأقاربه مهاجراً سنة سبع وستين.

وكان من أنجم الهدى، وإنما اختفى من نور القمر وضوء الشمس.اهـ.

يشير بهذا إلى أبيه وابنه، وله تعاليق وفوائد في علوم عدة، توفي سنة ٦٨٢هـ.

مصادر ترجمته:

الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣١٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

٥ ـ أخو الشيخ:

زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، ولد سنة ٦٦٣هـ سمع من نيف وثمانين شيخاً، وكان تاجراً، لازم أخاه وكان خادماً ومحباً له، ودخل معه سجن الإسكندرية ودمشق ولم يزل مع أخيه حتى مات وخرج هو، توفي في ذي القعدة ٧٤٧هـ.

مصادر ترجمته:

شذرات الذهب ٦/ ١٥٢.

٦ ـ أخو الشيخ أيضاً:

شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي الفقيه الإمام المتقن ولد في محرم سنة ٦٦٦هـ بحران وقدم مع أهله إلى الشام.

تفقه في المذهب حتى أفتى وسمع المسند والصحيحين والسنن، وبرع في الفرائض، والحساب، وعلم الهيئة، والعربية، وله مشاركة في علم الحديث.

تولى التدريس بالحنبلية، وله يد طولى في معرفة تراجم السلف ووفياتهم في التواريخ المتقدمة والمتأخرة، استدعى للمناظرة فأفحم الخصم أثنى عليه الذهبي كثيراً، ، توفي بدمشق سنة ٧٢٧هـ.

مصادر ترجمته:

شذرات الذهب ٦/ ٧٦ ـ ٧٧.

٧ ـ أخو الشيخ لأمه:

أبو القاسم محمد بن خالد بن إبراهيم الحراني الفقيه الحنبلي التاجر بدر الدين، أخو الشيخ لأمه، ولد سنة خمسين وستمائة بحران، وسمع بدمشق ولازم الشيوخ، ثم أفتى بالمدرسة الجوزية ودرس بالحنبلية نيابة عن أخيه تقي الدين، قال الذهبي: كان فقيهاً عالماً إماماً بالجوزية، كان يتجر ويتكسب، توفي سنة ٧١٧هـ.

مصادر ترجمته:

شذرات الذهب ٦/ ٤٥ ـ ٤٦.



ثانياً: نشأته العلمية

أ ـ الحالة العلمية وحركة التفسير في عصره:

نظراً لعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية بل كان كل منها في حالة اضطراب بين آونة وأخرى، فقد سيطر الجمود والتقليد على الحركة العلمية وكان أقصى ما يمكن أن يجتهد فيه العالم أن يذكر ما ورد وما وجده من كتب ومؤلفات من سبقوه دون بحث أو مناقشة، وهذا هو الغالب الأعم، وإلا فقد كانت هناك موسوعات ضخمة في الفقه، والتفسير، والتاريخ، وأخبار الرجال، وغير ذلك: كالمغني[1] لابن قدامة[2] ت٦٢٠هـ، والمجموع[3] للنووي ٦٧٦هـ[4]، وبداية المجتهد[5] لابن

(١) المغني كتاب في الفقه يذكر المسائل والخلاف فيها بين الصحابة فمن بعدهم ويستدل ويرجح فهو كتاب فقه مقارن، وقد طبع مراراً.

(٢) ابن قدامة: هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي المقدسي، ولد سنة ٥٤١هـ طلب العلم وهو في العاشرة ورحل لذلك حتى فاق أقرانه وانتهى إليه معرفة المذهب وأصوله وتبحر في سائر العلوم، توفي سنة ٦٢٠هـ.
وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥، وشذرات الذهب ٥/ ٨٨ ـ ٩٢.

(٣) المجموع: كتاب في الفقه، شرح المهذب وصل فيه النووي إلى أبواب الربا، ويعتبر من كتب الفقه المقارن، وقد طبع.

(٤) النووي: هو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الفقيه الشافعي النووي ـ بحذف الألف ويجوز إثباتها ـ الدمشقي، ولد سنة ٦٣١هـ رحل لطلب العلم بعد التاسعة عشرة من عمره حتى فاق الأقران وتبحر في العلم، توفي في رجب سنة ٦٧٦هـ. وانظر: ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦.

(٥) بداية المجتهد: كتاب فقه جمع فيه أمهات المسائل الفقهية وأبوابه، ويستدل لها من الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس، مع ذكر اختلاف العلماء فهو كتاب فقه مقارن، مطبوع مراراً.

رشد[١] ٥٩٥هـ، وأصول الأحكام[٢] للآمدي[٣] ٦٣١هـ، وتفسير الزمخشري[٤] ت٥٣٨، والرازي[٥] ٦٠٦هـ، إلى غيرها من الموسوعات والكتب الكبيرة، مع وجود بعض العلماء الأفذاذ: كابن عساكر[٦] ٦٠٠هـ، وابن الأثير[٧] ت٦٣٠هـ.

ولما استقر الأمر للمماليك[٨] أيقنوا أنه لن يكون لهم تمكين حتى يكرموا

---

(١) ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ولد سنة ٥٢٠هـ، وتعلم الفقه والطب والفلسفة وغيرها، توفي ٥٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٣٠٧، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٠هـ.

(٢) أصول الأحكام: ويسمى الإحكام في أصول الأحكام مطبوع.

(٣) الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي محمد بن سالم الثعلبي، المتوفى ٦٣١هـ، وستأتي ترجمته ص٣٥٩.

(٤) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي كبير المعتزلة، توفي ٥٣٨هـ، وستأتي ترجمته ص١٠٣.

(٥) الرازي: محمد بن عمر بن حسين الرازي الأشعري، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وستأتي ترجمته ص٢٤٩.

(٦) ابن عساكر: بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر، ولد سنة ٥٢٧هـ وسمع من عدد كبير من علماء عصره وهو أوسع رواية وسماعاً من ابن الجوزي وله عمل جيد وكتب كثيراً من الكتب، توفي سنة ٦٠٠هـ، وانظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٥، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٧.

(٧) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ابن الشيخ الأثير أبي الكرم صاحب الكامل في التاريخ، ولد سنة٥٥٥هـ، وسمع من جماعة من العلماء وكان إماماً علامة إخبارياً، أديباً، توفي سنة ٦٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٥٣، وشذرات الذهب ٥/ ١٣٧.

(٨) المماليك: اسم لأناس كانوا أرقاء من الترك جلبهم خلفاء الدولة الأيوبية لتدريب الجند وخدمة الأمراء، فكان يعتق منهم أناس ويترقون في السلطة حتى ضعفت الدولة الأيوبية أيام الأشرف موسى ـ والذي كان صغيراً ـ فطمع ملوك الشام في أخذ مصر، فاجتمعت الآراء على إقامة الملك للمعز أيبك فسلطنوه ولقبوه بالمعز وذلك سنة ٦٥٠، واستمرت مصر تحت ولايتهم حتى ظهرت الخلافة العثمانية عليها في عهد سليم الأول، ولكنها بقيت لهم قوة حاكمة يعتد بها في ظل الخلافة العثمانية حتى قضى على آخرهم محمد علي في مذبحة القلعة ١٢٢٦هـ. وللاستزادة انظر: البداية والنهاية ١٣/ ١٩٠، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص٢٥٣ إلى آخر الكتاب، =

العلماء ويشجعوا العلم فيظهروا للعامة أنهم حماة الدين وحراس العقيدة، فأنشأوا المدارس والمساجد لتكون دوراً للعلم ومقراً للعلماء.

حتى ذكر بعض المؤرخين دوراً كثيرة لتدريس القرآن والحديث والفقه بمذاهبه الأربعة؛ فمثلاً في دمشق وجد فيها خلال القرنين السادس والسابع نحو تسعين مدرسة للفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم، وكان منها أربعة للطب وحدها يتبعها مارستانات(١) للتعليم العلمي.

فيتبين لنا أن هذا العصر كان عصراً ثرياً من ناحية الثروة العلمية التي جمعت في مختلف العلوم العربية والإسلامية والعلمية فهو عصر المؤلفات المطولة والموسوعات العلمية.

إلا أنه كان ينقصه التجديد والابتكار وغربلة(٢) الأقوال من العلوم مع كثرتها؛ إلا ما كان من قلة وعلى رأسهم شيخ الإسلام كما يتضح ذلك من خلال كتبه ورسائله وفتاويه التي لم يكن يقلد فيها أحداً بعينه بقدر ما كان يرجح ويختار بما أعطاه الله من علم وملكة.

ب ـ تحصيله:

نشأ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في دمشق نشأة علمية؛ فبدأ بحفظ القرآن الكريم حتى أتمه، ثم اتجه إلى السنة النبوية، واللغة العربية والفقه وأصوله، وتعلم الحساب...

وقد وهبه الله ذكاءً مفرطاً، وقوة حافظة وسرعة إدراك، فأخذ عن والده وعن الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم، وابن أبي اليسر والمجد بن عساكر وغيرهم.

قال ابن عبد الهادي: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ». اهـ(٣).

= والأعلام للزركلي ٦/٢٩٨، والموسوعة العربية الميسرة ٢/١٧٤٣.

(١) المارستان: بفتح الراء دار المرضى. الكليات ص٨٧٤.

(٢) الغربلة: غربل الشيء: نخله، والمغربل: المنتقى. اللسان ١١/٤٩١.

(٣) انظر: العقود الدرية ص٣٩.

وقال ابن رجب: «عني بالحديث، وسمع المسند مرات، والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء». اهـ[١].

وقال ابن عبد الهادي: «وقرأ العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو ابن بضع عشرة سنة». اهـ[٢].

ج - شيوخه:

درس شيخ الإسلام العلم على شيوخ عصره فبعد رحلته مع أسرته إلى دمشق دأب على حضور حلقات العلم في دمشق في مختلف العلوم الشرعية ولم يقتصر عليها وحدها بل طالع كل ما وقعت يده عليه من كتب مطالعة دقيقة فاحصة، فأفاد من كتب المتقدمين كما يتضح من خلال كتاباته ونقولاته.

ويبدوا أنه من الصعوبة في هذه العجالة حصر شيوخه ولكن نذكر بعضهم ونحيل على تراجمهم فمن شيوخه:

١ - والده: عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت٦٨٢هـ[٣].

٢ - وابن عبد الدائم: أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي النابلسي ٦٦٨هـ[٤].

٣ - أبو الفرج عبد الرحمن بن سلمان بن سعد البغدادي الحراني المولد الحنبلي نزيل دمشق ت٦٧٠هـ[٥].

٤ - إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي ت٦٧٢هـ[٦].

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٨٨.

(٢) العقود الدرية ص١٩.

(٣) شذرات الذهب ٥/٣٧٦، البداية والنهاية ١٣/٣٢٠.

(٤) شذرات الذهب ٥/٣٢٥، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٧٨، البداية والنهاية ١٣/٢٧٢.

(٥) شذرات الذهب ٥/٣٣٢.

(٦) شذرات الذهب ٥/٣٣٨.

٥ ـ سيف الدين يحيى بن الناصح عبد الرحمن بن النجم الحنبلي ت٦٧٢هـ[١].

٦ ـ شمس الدين أبو محمد عبد الله بن عطاء بن حسن الأوزاعي الحنفي ت٦٧٣هـ[٢].

٧ ـ أبو الرجاء مؤمل بن محمد بن علي البالسي ثم الدمشقي ت٦٧٧هـ[٣].

٨ ـ محمد بن علي بن محمود أبو حامد جمال الدين المحمودي ابن الصابوني ت٦٨٠هـ[٤].

٩ ـ شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ت٦٨٢هـ[٥].

١٠ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان الدمشقي العامري ت٦٨٢هـ[٦].

١١ ـ شرف الدين محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير الطائي الدمشقي ت٦٨٣هـ[٧].

١٢ ـ أمين الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن أبي البركات الحسن بن محمد بن عساكر الدمشقي ت٦٨٦هـ[٨].

١٣ ـ يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي الحراني (ابن الصيرفي) ت٦٨٧هـ[٩].

---

(١) شذرات الذهب ٥/ ٣٤٠.

(٢) شذرات الذهب ٥/ ٣٤٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٤.

(٣) شذرات الذهب ٥/ ٣٦٠.

(٤) شذرات الذهب ٥/ ٣٦٩.

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٠، شذرات الذهب ٥/ ٣٧٦.

(٦) شذرات الذهب ٥/ ٣٨١.

(٧) شذرات الذهب ٥/ ٣٨٠.

(٨) شذرات الذهب ٥/ ٣٩٥، فوات الوفيات ٢/ ٣٢٨، البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٩.

(٩) شذرات الذهب ٥/ ٣٦٣، وفيها وفاته ٦٧٨هـ.

١٤ ـ محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السعدي المقدسي (أبو عبد الله) ت٦٨٨هـ[١].

١٥ ـ علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي (فخر الدين أبو الحسن) ابن البخاري ت٦٩٠هـ[٢].

١٦ ـ نجم الدين أبو العز يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ت٦٩٠هـ[٣].

١٧ ـ شرف الدين أحمد بن كمال الدين أحمد بن نعمة المقدسي ت٦٩٤هـ[٤].

١٨ ـ محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي المرداوي ت٦٩٩هـ[٥].

د ـ تلاميذه:

جمع الشيخ علوماً كثيرة في زمن قصير فانبهر العلماء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه، مما جعله يفتي وله أقل من تسع عشرة سنة ثم لما توفي والده وهو في الحادية والعشرين من عمره ولي التدريس إلى أن توفاه الله وقد بلغ السابعة والستين من عمره، وكان رَحِمَهُ اللهُ بالغ الحماس لا يكل ولا يمل لأن في ذلك حياته ومن أجله نذر نفسه رَحِمَهُ اللهُ.

ولكن نظراً للظروف التي مر بها؛ فكثرت تنقلاته بين مصر والشام وفي مصر بين القاهرة والإسكندرية، مع اهتمامه بتوعية الناس ونشر العلم والعقيدة السليمة من البدع بينهم كثر، أتباعه ومحبوه، وكانت له دروس عامة يلقيها في المسجد كما كان له دروس خاصة لطلاب العلم منهم الذين يلازمونه أغلب أوقاته سواء كان في مصر أو الشام ولعل من أشهر تلاميذه: (مرتبين حسب وفياتهم):

---

(١) شذرات الذهب ٥/ ٤٠٥.
(٢) شذرات الذهب ٥/ ٤١٤، البداية والنهاية ١٣/ ٣٤٣، وفيها المعروف بابن النجار.
(٣) شذرات الذهب ٥/ ٤١٧.
(٤) شذرات الذهب ٥/ ٤٢٤، البداية والنهاية ١٣/ ٣٦١.
(٥) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٤٢، شذرات الذهب ٥/ ٤٥٢.

١ ـ سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ت٧١٦هـ[١].

٢ ـ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي ت٧٤٤هـ[٢].

٣ ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الفارقي الدمشقي الذهبي ت٧٤٨هـ، المؤرخ[٣].

٤ ـ عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري الحلبي ت٧٤٩هـ[٤].

٥ ـ عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي البزار ت٧٤٩هـ[٥].

٦ ـ عمر بن سعد الله بن عبد الأحد الحراني ثم الدمشقي ت٧٤٩هـ[٦].

٧ ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي (ابن القيم) ت٧٥١هـ[٧].

٨ ـ محمد بن علي بن أبي الفتح بن أسعد بن المنجا الحنبلي ت٧٥٤هـ[٨].

٩ ـ محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني الدمشقي ت٧٦٣هـ[٩].

١٠ ـ محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر الداراني الدمشقي ت٧٦٤هـ[١٠].

١١ ـ أحمد بن الحسن بن الخطيب بن قدامة المقدسي الصالحي (قاضي الجبل) ت٧٧١هـ[١١].

---

(١) شذرات الذهب ٨/ ٣٩.
(٢) شذرات الذهب ٨/ ١٤١.
(٣) شذرات الذهب ٨/ ١٥٣، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٢١.
(٤) شذرات الذهب ٨/ ١٦١، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٣٦.
(٥) شذرات الذهب ٨/ ١٦٣.
(٦) شذرات الذهب ٨/ ١٦٢.
(٧) شذرات الذهب ٨/ ١٦٨، البداية والنهاية ١٤/ ٢٤٦.
(٨) شذرات الذهب ٨/ ١٧٦.
(٩) شذرات الذهب ٨/ ١٩٩، والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠٨.
(١٠) شذرات الذهب ٨/ ٢٠٣، والبداية والنهاية ١٤/ ٣١٧.
(١١) شذرات الذهب ٨/ ٢١٩.

١٢ ـ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ[١].

وغيرهم ممن لم نذكرهم كثير.

هـ ـ مصنفاته:

في التفسير وعلوم القرآن:

قال الذهبي عند ترجمته للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام... فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه»[٢].

وقال الذهبي أيضاً:

«وأما التفسير فمسلم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن ـ وقت إقامة الدليل بها على المسألة ـ قوة عجيبة، وإذا رآه المقري تحير فيه، ولفرط إمامته في التفسير وعظم اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصول، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد». اهـ[٣].

قال ابن عبد الهادي: «وها أنا أذكر بعض مصنفاته، ليقف عليها من أحب معرفتها فمن ذلك: ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلداً.

وقد بيض أصحابه بعض ذلك، وكثيراً منه لم يكتبوه بعد..»[٤].

وقال أيضاً ابن عبد الهادي: «قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق[٥] ـ وكان

---

(١) شذرات الذهب ٨/ ٢٣١.

(٢) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص٤٠. (٣) وانظر: العقود الدرية ص٤١.

(٤) العقود الدرية ص٤٢.

(٥) عبد الله بن رشيق المغربي كذا في البداية والنهاية، قال: «كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية، كان أبصر بخط الشيخ منه، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه=

من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصاً على جمعه ـ قال: كتب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سوراً وآيات يفسرها، ويقول في بعضها: كتبته للتذكر، ونحو ذلك.

ثم لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن تفسيراً مرتباً على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً، ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها.

وقال: قد فتح الله علي في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها... وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه في هذا الحبس...». اهـ[1].

فتبين لنا أن شيخ الإسلام صنف في التفسير كتابين:

١ ـ تفسير القرآن العظيم من أقوال مفسري السلف، ثلاثين مجلداً وهذا متقدم.

٢ ـ تفسير آيات أشكلت على جماعة من العلماء، وهذا متأخر.

فالأول مفقود ويتبين من كلام ابن عبد الهادي أنه بعضه ضاع في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ لأنه لم ينسخ ولم يبيض ولما كان من أمر الدولة من تخويف الناس من إظهار كتب شيخ الإسلام.

أما الثاني فيوجد قطعة منه في دار الكتب المصرية ولها نسختان، وفي ألمانيا نسخة ثالثة، ويقوم أحد الباحثين في جامعة الإمام بتحقيقها كرسالة علمية.

= أبو عبد الله هذا، وكان سريع الكتابة لا بأس به، ديِّناً عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة، توفي يوم عرفة من سنة ٧٤٩هـ» البداية والنهاية ١٤/٢٤١.

(١) العقود الدرية ص٤٣ ـ ٤٤.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره ابن القيم رحمه الله من سور وآيات فسرها الشيخ وسيأتي ذكرها.

أما الرسائل في علوم القرآن فمنها ما يلي:

١ ـ الفرقان بين الحق والباطل في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٥.

٢ ـ قاعدة في القرآن وكلام الله، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ٥.

٣ ـ التبيان في نزول القرآن، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٤٦.

٤ ـ الكيلانية، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٢٣.

٥ ـ القرآن العظيم كلام الله ليس شيء منه كلاماً لغيره، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ١١٧.

٦ ـ مسألة الأحرف التي أنزل الله على آدم هل هي كلام الله، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٧.

٧ ـ الإكليل في المتشابه والتأويل، مطبوع ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٧٠.

٨ ـ رسالة في علم الظاهر والباطن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٣٠.

٩ ـ المسألة المصرية في القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/ ١٦٢.

١٠ ـ الحقيقة والمجاز، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٠٠.

١١ ـ المدنية في الحقيقة والمجاز، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥١.

١٢ ـ مقدمة التفسير، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٢٩.

١٣ ـ فصل في تحزيب القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٠٥.

١٤ ـ أسماء القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٤/ ١.

١٥ ـ أمثال القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٤/ ٥٤.

١٦ ـ أقسام القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١٤.

١٧ ـ حديث الأحرف السبعة، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٨٩.

١٨ ـ المعاني المستنبطة من سورة النور، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٨٠.

١٩ ـ جواب أهل العلم والإيمان أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ١٦/ ٥.

٢٠ ـ قاعدة في الفاتحة وفي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ٤/ ٥.

٢١ ـ قاعدة في فضائل القرآن، نص عليها ابن القيم ص١٨، وابن عبد الهادي ص٥١.

٢٢ ـ مسائل في شكل ونقط المصاحف، مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى مفرقة.

٢٣ ـ قاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة وما بينها وبين الطرق الكلامية، ذكرها ابن القيم ص ٢٥ وهي موجودة ضمن مجموع الفتاوى ٢/ ٤٢.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فمما رأيته في التفسير:**

١ ـ أوراق على الاستعاذة.

٢ ـ قاعدة في الفاتحة، وفي الأسماء التي فيها، وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

[وفي سورة البقرة]:

٣ ـ قاعدة في تفسير أول البقرة.

٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [١٧]، نحو عشرين ورقة.

٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [١٣٠].

٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [١٤٩].

٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [١٩٦].

٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [١٧٣][١].

٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [٢٣٣]، نحو ثلاثين ورقة.

---

(١) ووردت أيضاً في سورة الأنعام الآية رقم ١٤٥ وفي سورة النحل الآية رقم ١١٥.

١٠ ـ رسالة في تفسير آية الكرسي(١)، نحو عشرين ورقة.

١١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [٨]، نحو ثلاثين ورقة.

١٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [٢١]، نحو سبعين ورقة.

١٣ ـ رسالة في تفسير آيات الربا(٢)، وتكلم فيها على تحريم ربا الفضل، نحو ثلاثين ورقة.

[وفي سورة آل عمران]:

١٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [٧]، نحو مجلد.

١٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [١٨].

١٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ [٧].

١٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [٨٣].

١٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [١٤٦]، نحو عشر ورقات أو أكثر.

[وفي سورة النساء]:

١٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [٧٩]، نحو مائة ورقة.

٢٠ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [٨٦].

---

(١) الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) آيات الربا التي وردت في سورة البقرة هي الآية رقم ٢٧٥: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا﴾، والآية رقم ٢٧٦: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا﴾، والآية رقم ٢٧٨: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا﴾، وفي سورة الروم الآية رقم ٣٩: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾، وفي سورة آل عمران الآية رقم ١٣٠: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، وفي سورة النساء الآية رقم ١٦١: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾.

٢١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [٩٣].

[وفي سورة المائدة]:

٢٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [٦]، نحو ثلاثين ورقة.

٢٣ ـ تفسير سورة المائدة، مجلد لطيف.

[وفي سورة الأنعام]:

٢٤ ـ رسالة في تفسير قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [٧٦].

٢٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ [٨١].

٢٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [٧٦].

٢٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [١٠٣].

[وفي سورة الأعراف]:

٢٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [١٧٢]، وهي ثلاث قواعد، أكثر من سبعين ورقة.

٢٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [٨٨].

٣٠ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [١٥٥].

[وفي سورة الأنفال]:

٣١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [٦٤].

[وفي سورة براءة]:

٣٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [٦].

٣٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [٤].

٣٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [٦٠].

٣٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [١٢٢].

[وفي سورة هود]:

٣٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [١].

٣٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ [١٧].

٣٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [١٠٧]، وتكلم على هذا الاستثناء.

٣٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [١١٨، ١١٩].

[وفي سورة يوسف]:

٤٠ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [٥٣].

٤١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [٢٤].

٤٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [١١٠].

٤٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [١٠٨].

[وفي سورة الرعد]:

٤٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [١٣].

٤٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ [١٩].

[وفي سورة الحجر]:

٤٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ [٨٧].

٤٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [٤١].

[وفي سورة النحل]:

٤٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [١٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١٣].

٤٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [٧٥].

٥٠ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ [١٠٣].

[وفي سورة الأنبياء]:

٥١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾ [٨٧] في مجلد لطيف.

٥٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [٩٨]، واعتراض ابن الزبعري[1] وجوابه.

[وفي سورة الحج]:

٥٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [٥٢].

٥٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ [٦٠].

[وفي سورة النور]:

٥٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [٣] في قاعدتين.

٥٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [٣٠] خمس ورقات.

[وفي سورة القصص]:

٥٧ ـ رسالة في حمو موسى هل هو شعيب أم غيره، في كراسة.

٥٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [٧٨].

---

(١) هو عبد الله بن الزبعري السهمي شاعر أسلم واعتذر عن مهاجاة المسلمين، وقصته سبب لنزول الآية ذكرها ابن جرير ١٧/٧٧ (المحققة)، وابن كثير (الشعب) ٥/٣٧٤، وذكروا اعتراضه وجوابه.

٥٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [٨٣].

[وفي سورة العنكبوت]:

٦٠ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ [١، ٢].

٦١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [٤٥].

٦٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [٤٦].

[وفي سورة لقمان]:

٦٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣].

[وفي سورة آلم السجدة]:

٦٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [٢٤].

[وفي سورة الأحزاب]:

٦٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [٩]، وذكر فيها قصة الخندق.

[وفي سورة سبأ]:

٦٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [٢٥].

[وفي سورة فاطر]:

٦٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ﴾ [٣٢].

٦٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [٣٦].

[وفي سورة غافر]:

٦٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [١٥].

٧٠ ـ رسالة في تفسير أواخر السورة ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [٨٢]، الآيات.

[وفي سورة الشورى]:

٧١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١١]، نحو خمسين ورقة.

[وفي سورة الزخرف]:

٧٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [٨١].

[وفي سورة الدخان]:

٧٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [٣٢].

[وفي سورة الجاثية]:

٧٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [٢٣].

[وفي سورة الذاريات]:

٧٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦]، في نحو سبعين ورقة.

[وفي سورة الواقعة]:

٧٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [٨٣].

[وفي سورة المجادلة]:

٧٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [٧]، وتكلم على المعية في جميع مواردها.

[وفي سورة الممتحنة]:

٧٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [١٠].

٧٩ ـ تفسير سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في مجلد لطيف.

٨٠ ـ تفسير سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾ [الشمس: ١].

٨١ ـ تفسير سورة ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾[١].

٨٢ ـ تفسير سورة ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ٥].

٨٣ ـ تفسير سورة ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [البلد: ١].

٨٤ ـ تفسير سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

٨٥ ـ تفسير سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١].

٨٦ ـ تفسير سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

٨٧ ـ تفسير سورة ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١].

٨٨ ـ تفسير سورتي (المعوذتين)[٢].

[تفسير سورة الإخلاص][٣] في مجلد. اهـ[٤].

---

(١) وهي سورة ن والقلم.

(٢) وهما سورتا الفلق والناس، وفي الأصل سورة المعوذتين.

(٣) وهذا غير رسالته: (جواب أهل العلم والإيمان في أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن).

(٤) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم، تحقيق صلاح الدين المنجد ص٨ ـ ١٨، وكثير من هذه الرسائل التي ذكرها موجود ضمن مجموع الفتاوى. وانظر: الأجزاء: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ثم حاول جمع كل تفسير للشيخ د. محمد الجليند فجمع كثيراً منه في دقائق التفسير. =

هذا بالإضافة إلى ما في ثنايا كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التطرق لموضوعات علوم القرآن أو تفسير آيات بل لا يخلو كتاب له من مادة التفسير وإن لم تكن على نسق التفاسير التحليلية التي بأيدينا فمثلاً: كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، قال ابن عبد الهادي: «هذا الكتاب من أجل الكتب وأكثرها فوائد ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة، وعلى تفسير آي كثير من القرآن». اهـ[1].

وهذا الواقع كما وصفه تلميذه، فنجد أن ما يزيد على ربع الكتاب هو تفسير آيات، أو إثبات وشرح لإعجاز القرآن الكريم.

وكذلك كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل إن بعض كتبه إنما بناها على شرح آية كما في كتابه «العبودية»، فهو يتكلم عن العبادة من خلال الآيات والأحاديث وكلام السلف في ذلك، فهو أشبه بالتفسير الموضوعي.

و ـ مصنفاته في سائر العلوم:

كما علمنا من كلمة تلميذه الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشيخ كان بارعاً في العلوم كلها، ولا سيما الشرعية منها أو ما يخدم الشريعة كالمنطق والجدل وغيرها.

ويقول الزملكاني عنه: «كان إذا سئل عن فنٍّ من العلم ظنّ الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله.

وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه من قبل». اهـ[2]. . . . إلى غير ذلك من أقوال تلاميذه ومعاصريه وأعدائه.

= ملاحظة: بعض هذه الرسائل طبع مستقلاً، فمثلاً: طبع الشيخ عبد الصمد شرف الدين ست سور، وهي: الأعلى، الشمس، الليل، العلق، البينة، الكافرون، مع تعليقات نافعة حين استخرجها من كتاب الكواكب الدراري المحفوظ بدار الكتب المصرية.

(١) العقود الدرية ص٤٥.
(٢) الرد الوافر ص١٠٥.

فمن مصنفاته المشهورة:

١ ـ درء تعارض العقل والنقل	مطبوع
٢ ـ منهاج السنة النبوية	مطبوع
٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم	مطبوع
٤ ـ الصفدية	مطبوع
٥ ـ بغية المرتاد	مطبوع
٦ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	مطبوع
٧ ـ العقيدة الواسطية	مطبوع
٨ ـ العقيدة الحموية الكبرى	مطبوع
٩ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة	مطبوع
١٠ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول	مطبوع
١١ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام	مطبوع
١٢ ـ كتاب الإيمان الكبير	مطبوع
١٣ ـ كتاب الإيمان الأوسط	مطبوع
١٤ ـ المسألة العرشية	مطبوع
١٥ ـ التحفة العراقية في الأعمال القلبية	مطبوع
١٦ ـ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة	مطبوع
١٧ ـ أمراض القلوب وشفاؤها	مطبوع
١٨ ـ السياسة الشرعية	مطبوع
١٩ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	مطبوع
٢٠ ـ مسألة وضع الجوائح	مطبوع
٢١ ـ مسألة في القياس	مطبوع
٢٢ ـ شرح العمدة	مطبوع
٢٣ ـ بيان تلبيس الجهمية	مطبوع

٢٤ ـ الاستقامة مطبوع

٢٥ ـ الرسالة القبرصية مطبوع

٢٦ ـ الرد على المنطقيين مطبوع

٢٧ ـ الرد على الأخنائي مطبوع

٢٨ ـ الحسبة مطبوع

٢٩ ـ رسالة في المظالم المشتركة مطبوع

٣٠ ـ إقامة الدليل على إبطال التحليل مطبوع

وله رسائل كثيرة غير ما ذكر طبع كثير منها ضمن مجموع الفتاوى، والفتاوى الكبرى، وجامع الرسائل والمسائل، ومجموعة الرسائل والمسائل، وغيرهما مما طبع مفرداً.

ز ـ عدد مؤلفاته ورسائله إجمالاً:

ذكر الصفدي عند ترجمته للشيخ وعندما أراد ذكر مصنفاته، قال: من الذي يأتي على مجموعها ولله در القائل:

إن في الموج للغريق لعذراً واضحاً أن يفوته تعداده

ولكن أذكر ما تيسر، وإلا فهي أكثر مما أوردته في هذه الترجمة ولعل بعض أصحابه يعرفها..». اهـ[(١)].

ثم ذكر الأعداد التالية:

في التفسير:	١٩
وفي الأصول:	٧١
وفي أصول الفقه:	٢٧
وفي الفقه:	٦٤
ومتنوعات:	٨
والمجموع:	١٨٩ رسالة

---

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٧/ ١٥ وما بعدها.

أما ابن القيم فذكر أغلب مصنفات شيخ الإسلام في رسالة خاصة[(١)] فذكر الأعداد التالية:

في التفسير:	٩٢
وفي الأصول:	٢٠
وفي قواعد وفتاوى:	١٤٥
وفي الفقه:	٥٥
وفي الوصايا:	٣
وفي الإجازات:	٤
ورسائل:	٢٢
والمجموع:	٣٤١ رسالة

وقال ابن القيم في مقدمة رسالته: «فذكرت لهم أني عجزت عن حصرها وتعدادها لوجوه أبديتها لبعضهم، وسأذكرها إن شاء الله فيما بعد، فأكثرهم قالوا: لا بد من ذكر ما تعرف، ومالا يدرك كله لا يترك جله، فتعينت إجابتهم، وها أنا ذا أذكر ما يسر الله عليّ منها، وإن وجد الواقف على ما كتبنا زيادة فليلحقها والله المستعان». اهـ[(٢)].

فكل واحد منهما رام ذكر ما تيسر له من مؤلفات الشيخ لا الحصر بل كل واحد منهما وقف عاجزاً عن حصرها.

ويقول ابن عبد الهادي بعد ذكره لكثير من رسائله وفتاويه: «وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير، غير ما تقدم ذكره، يشق ضبطه وإحصاؤه، ويعسر حصره واستقصاؤه...»[(٣)] ثم ذكر أسباب عدم حصر وضبط كتبه ورسائله وألخصها بما يلي:

١ ـ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يصنف في دمشق، وفي مصر: في القاهرة، وفي

(١) اسمها: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) المصدر السابق ص٨.

(٣) العقود الدرية ص٨٠

الإسكندرية، ثم بدمشق، ثم في القلعة وهو مسجون، فكان يؤلف ويكتب الشيء من ساعته فلا يحتاج إلى مكان معين للكتابة أو لمراجعة الكتب.

٢ ـ أنه رَحِمَهُ اللَّهُ مازال يكتب من أول عمره إلى أن أخرجت من عنده الكتب والقراطيس وهو في السجن وذلك في يوم الإثنين التاسع من جمادى الآخرة من سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة من الهجرة النبوية، حتى منع رَحِمَهُ اللَّهُ من المطالعة والكتابة بل حتى من القلم أو الدواة وذلك بسبب رده على الأخنائي[1] في مسألة الزيارة.

٣ ـ أن الله ﷻ قد من عليه بسرعة الكتابة ومن حفظه أيضاً من غير نقل.

قال ابن عبد الهادي: «وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر، وأحصيت ما كتبه وبيضه في يوم فكان ثمان كراريس في مسألة من أشكل المسائل، وكان يكتب على السؤال مجلداً»[2]. . .

٤ ـ «أنه كان يكتب الجواب، فإن حضر من يبيضه، وإلا أخذ السائل خطه وذهب.

ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم: في الأصول، والفروع، والتفسير، وغير ذلك، فإن وجد من نقله من خطه، وإلا لم يشتهر ولم يعرف، وربما أخذه بعض أصحابه، فلا يقدر على نقله، ولا يرده إليه فيذهب وكان كثيراً ما يقول: قد كتبت في كذا، وفي كذا»[3]. . .

٥ ـ إضافة إلى أنه «لما حبس وتفرق أتباعه، وتفرقت كتبه وخُوِّفُوا أصحابه من أن يظهروا كتبه، ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ولم يظهروا كتبه، فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه، أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتى إن منهم من تسرق كتبه أو تُجْحَد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها، فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف.

---

(١) سيأتي ترجمته ص٦٨.
(٢) انظر: العقود الدرية ص٨٠.
(٣) انظر: العقود الدرية ص٨١.

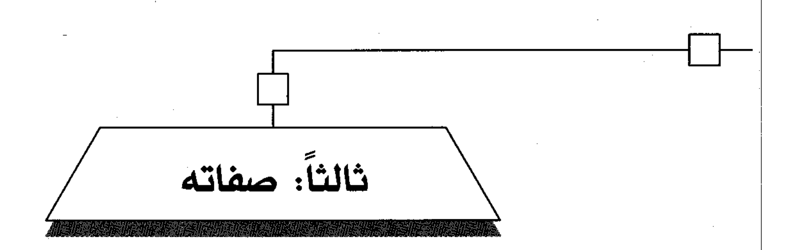
ولـولا أن الله لـطـف وأعـان ومـنّ وأنـعـم... لـمـا أمـكـن لأحـد أن يجمعها»[١].

ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها، وإصلاح ما فسد منها ورد ما ذهب منها: ما لو ذكرته لكان عجباً، يعلم به كل منصف أن لله عناية به وبكلامه، لأنه يذبّ عن سنة النبي ﷺ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين[٢].



(١) انظر: العقود الدرية ص٨١ ـ ٨٢.

(٢) وللاستزادة: راجع البداية والنهاية ١٤/ ١٤٠، والعقود الدرية ص٨٠ ـ ٨٣، وأسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم ص٦.



ثالثاً: صفاته

أ ـ الخَلقية:

قال ابن حجر في الدرر الكامنة: قال الذهبي:

«كان أبيض، أعين، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة».

«وقد وهبه الله ﷻ ذكاءً مفرطاً، وقوة حافظة، وسرعة إدراك»[1].

قال ابن عبد الهادي في العقود الدرية:

«اتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ، فجاء إليه فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه ثم قال: يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئاً تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه عليّ فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع.

فقال له: يا ولدي امسح هذا ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم

(١) الدرر الكامنة ١/ ١٥٤.

قال اقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونَنَّ له شأن عظيم فإن هذا لم يرَ مثله، أو كما قال». اهـ[(١)].

ب ـ الخُلقية:

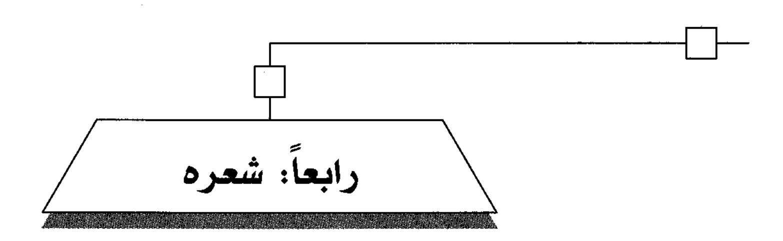
اتفق المترجمون للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنه «كان محافظاً على الصلاة والصوم، وسائر العبادات، معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً، لا يؤتى من سوء فهم، فإن له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم، فإنه بحر زخار، ولا كان متلاعباً بالدين، ولا ينفرد بمسائله بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة.

ولم يرَ مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه لربه، وهو بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، وكان الزهد شعاراً له منذ الصغر، وذلك مشهور في سيرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان مؤثراً بما عساه أن يجد، قليلاً أو كثيراً، فلا يحتقر شيئاً، وكان يتواضع للصغير والكبير، والجليل والحقير، وكان يخدم الناس بنفسه، وكان لا ينتقم لنفسه أبداً، بل يعفوا ويسامح، ويغضب إذا انتهكت المحارم، رحمه الله رحمة واسعة[(٢)].



(١) العقود الدرية ص٢٠.

(٢) للاستزادة انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٤ ـ ١٤٥، والعقود الدرية في مواضع متعددة، والدرر الكامنة ١/ ١٥٤ ـ ١٧٠.



رابعاً: شعره

قال البرزالي[(١)] عنه: كان قد نظم شيئاً يسيراً في صغره، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه، وسئل عن مسألة القدر بنظم، فأجاب فيها بنظم، وقد قرئ عليه وسمع منه.

وحل لغز الرشيد الفارقي[(٢)] بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز، وذلك في أول أمره في حياة والده رحمه الله وله نحو العشرين من العمر وكان حله في أسرع وقت». اهـ[(٣)(٤)].

نماذج من شعره:

قال ابن عبد الهادي: «وقد وُجد بخط الشيخ أبيات، قالها بالقلعة وهي:

أنا الفقير إلى ربّ السموات	أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي	والخير إن جاءنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة	ولا عن النفس في دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يدبرني	ولا شفيع إلى ربّ البريات
إلا بإذن من الرحمن خالقنا	ربّ السماء كما قد جاء في الآيات

(١) هو: القاسم بن محمد البرزالي إمام حافظ ناقد، ولد سنة ٦٦٥هـ ومات سنة ٧٣٨هـ في طريقه إلى الحج. وانظر: ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٢٢، والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٦.

(٢) رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي أديب عصره، له «المقدمة الكبرى»، و«الصغرى» في النحو، كان عارفاً بالتفسير، خنقه لص في بيته ٦٨٧هـ، الأعلام ٥/ ٤٢.

(٣) وقد ذكر اللغز والجواب عليه والرد على الجواب ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص٣٠ وما بعدها.

(٤) العقود الدرية ص٢٩.

إلى آخر ما قاله على هذا النمط رحمه الله رحمة واسعة[١].

وقد أجاب على سؤال ورد إليه عن مسألة تقدير القدر بصيغة نظم فأجاب عنه الشيخ بنظم أيضاً يزيد على مائة بيت يقول في مطلعها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند	تخاصم ربّ العرش باري البرية
وهذا سؤال، خاصم الملأ العلا	قديماً به إبليس أصل البلية
ومن يك خصماً للمهيمن يرجعن	على أم رأس هاوياً في الحفيرة
ويدعى خصوم الله يوم معادهم	إلى النار طراً معشر القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا	به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة	هو الخوض في فعل الإله بعلة
فإنهموا لم يفهموا حكمة له	فصاروا على نوع من الجاهلية

إلى آخرها وهي بحق جميلة جداً[٢].

اللغات التي أجادها:

١ ـ كان شيخ الإسلام رحمه الله كما أخبر عن نفسه يفهم اللغة العبرية، بل كان يسمع كتب أهل الكتاب بلغتهم فيفهمها، وقد صرح بذلك في رسالته عن المنطق والتي سميت «نقض المنطق» ص٩٢، وهي ضمن مجموع الفتاوى أيضاً ٤/ ١١٠.

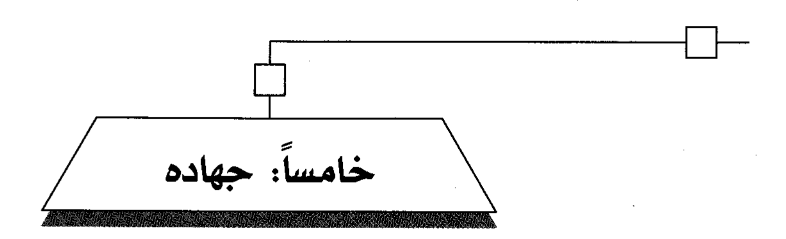
٢ ـ وصرح أيضاً بأنه كان يعرف اللغة التركية كما صرح به في بعض رسائله.

وانظر مجموع الرسائل الكبرى ١/ ١٢٤.



(١) انظر: العقود الدرية ص٣٩١.

(٢) انظر: العقود الدرية ص٣٩٩ ـ ٤٠٩.



خامساً: جهاده

تولى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ التدريس بعد وفاة والده عام ٦٨٣هـ، فبدأ يحتل مكانة كبرى عند الناس وكل يوم يزداد مهابة وتعظيماً، حتى حدث خلال ذلك بعض المعارك[١] بينه وبين بعض الفقهاء حول فتياه الحموية وناقشهم وأسكتهم في مواضع منها فهدأت الأمور نسبياً حتى سنة ٧٠٥هـ، وحدث خلال هذه الفترة بعض الأمور العظام من مجيء التتار[٢] إلى الشام سنة ٦٩٩هـ، وهزيمة عسكر السلطان الناصر ابن قلاوون[٣] فولى جند مصر والشام الأدبار وحصلت مقتلة في الجند والعامة، حتى صار جند التتار على أبواب دمشق، فامتلك الخوف قلوب الناس، وفرّ أغلبهم إلى الأقاليم والبلدان خوفاً من سطوة التتار، وكان ممن فرّ بعض الأعيان وكبار القضاة، حتى خلت دمشق من الحكام والعلماء، ولكن شيخ الإسلام بقي فيها وسدّ هذا الفراغ الكبير فجمع من بقي من أعيان البلد، واتفق معهم على الامتناع عن دخول دمشق،

---

(١) المعارك العلمية في مسائل الخلاف، أو فيما ينكره من البدع ويعتقدونه صواباً إما بدليل ضعيف أو تقليد.

(٢) سبق التعريف بهم ص٢٨.

(٣) هو: السلطان الملك الناصر بن محمد بن قلاوون ولد سنة ٦٨٤هـ، ملك مصر لما قتل أخوه الأشرف سنة ٦٩٣هـ ومات سنة ٧٤١، فكانت مدة مملكته ـ بما فيها من ولاية كتبغا وبيبرس ولاجين ـ تسعاً وأربعين سنة، وولايته خاصة خمسة وأربعون سنة وشهر ونصف، وكان ملكاً عظيماً، كريماً، هادنه سائر ملوك الدنيا من المشرق والمغرب وعدم حركة العدو في البر والبحر، من معركة شقحب ٧٠٢هـ إلى أن مات، وكان رَحِمَهُ اللهُ ملكاً عارفاً عاقلاً فاضلاً كثير السياسة مهاباً. انظر: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص٣٦٣ وما بعدها، والنجوم الزاهرة ٩/ ١٦٤، وحسن المحاضرة ٢/ ٧٧، وشذرات الذهب ٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥، ودرة الأسلاك في دولة الأتراك ٢/ ٣١٩.

وذهب الوفد وتكلم شيخ الإسلام مع التتار بزعامة «قازان»[(١)] بكلام غليظ جعل الملك يمتنع عن دخول دمشق فأمن الناس وزال فزعهم.

وفي سنة ٧٠٠هـ أيضاً تسامع الناس أن التتار سيقصدون الشام ومنها إلى مصر، ففرّ الناس مرة أخرى، ولكن شيخ الإسلام بقي ـ وهو بطل مثل هذه الأمور العظام ـ، وعالج الأمور بطريقة تختلف عن الأولى فدفع الناس إلى الجهاد وحثهم عليه، وفي اليوم الثاني من صفر من هذه السنة ألقى درساً في الجهاد وحث الناس على القتال، وشجعهم، وكتب رسالة عامة إلى جميع المسلمين يحثهم فيها على الجهاد، ويربط ما جرى ويجري لهم بما جرى للمسلمين والنبي ﷺ في العصر الأول، وأنه لا بدّ من التأسي بأولئك في مثل هذه الأحوال، ويبين أيضاً خطر المنافقين والزنادقة من الروافض والإسماعيلية وغيرهم ممن يناوئون أعداء الإسلام.

فأثّرت تلك الرسالة في قلوب الناس وتشوقوا للجهاد بعد أن كانوا خائفين وجلين على أنفسهم وأموالهم.

وذهب الشيخ إلى مصر ليحث السلطان على الجهاد وما زال به حتى رجع السلطان بجنده، ورجع الشيخ إلى دمشق وعاد للدرس مرة أخرى بعد انقطاع بسبب مقابلات الأمراء ومخاطبة الناس للجهاد.

وفي خلال هذه الفترة تولى إمرة دمشق ـ حال خلوها ـ بدون تتويج من أحد، فقام بالأمر بالفضيلة وقمع الرذيلة، فأقام الحدود، وطهر البلد من الخمور وغيرها، وعزر أصحاب المعاصي، واستتاب الروافض من سكان الجبل، وأخذ أموالاً منهم أدخلها بيت المال مقابل ما فعلوه بالمسلمين من

---

(١) قازان: ويقال غازان، هو قائد جيش التتار الذي عبر الفرات إلى الشام لقصد الاستيلاء عليها وخرابها كما فعلوا بالعراق وخراسان، ولقد تصدى لجيشه المسلمون فهزموا سنة ٦٩٩هـ وهرب المسلمون، وقرب التتار من دمشق بقيادة غازان وأمنهم ثم غدر بهم قبحه الله ـ وهو يدعي الإسلام ـ حتى حصل ما ذكر بعد ذلك من هزيمتهم وفرارهم بعد وقعة شقحب، مات سنة ٧٣٠هـ، وانظر: الجوهر الثمين ص٣٣٠، والبداية والنهاية ١٤/٧ ـ ٢٨ ـ ٣٠.

مساعدة التتار والنصارى، وما سلبوه من الجيش الهارب بعد الهزيمة الأولى.

وفي سنة ٧٠٢هـ جاء التتار قاصدين الشام لتخريبها ولكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حرك نخوة الجهاد في القلوب، وسكّن نفوس السكان وامتطى جواده وخرج إلى الميدان مقاتلاً ووقعت معركة «شقحب» في رمضان، وأبلى الشيخ والمسلمون فيها بلاء حسناً حتى تمّ النصر، وكسرت شوكة التتار مع كثرتهم وتحصنهم بالجبال والتلال، بل طاردهم المسلمون حتى قضوا على من بقي منهم[(١)].

ثم أشار الشيخ على السلطان أن يحارب الرافضة وما زال به حتى استجاب وانتصر عليهم فكفى الله المسلمين شرهم.

واستمر الشيخ في محاربة البدع بالقول والفعل حتى تغيرت أحوال الدولة وضعف السلطان ووشي بالشيخ من قبل حساده عند الأمراء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له ومحبتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامه في الحق، وعلمه وعمله». اهـ[(٢)].

وكان من أعداء الشيخ نصر المنبجي[(٣)] شيخ الجاشنكير[(٤)] حاكم مصر،

---

(١) وقال ابن عبد الهادي: «قلت: ما فعله الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في نوبة غازان من أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير، من إنفاق المال، وإطعام الطعام، ودفن الموتى، وغير ذلك معروف مشهور» العقود الدرية ص١٣٤.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٣٩ في حوادث سنة ٧٠٥هـ في شهر رجب منها.

(٣) أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجي حدث وتفقه وانعزل، ثم اشتهر وزاره الأعيان، وكان الجاشنكير يتغالى في حبه، توفي بمصر في جمادى الآخرة سنة ٧١٩هـ عن بضع وثمانين سنة. البداية والنهاية ١٤/٩٨، وشذرات الذهب ٦/٥٢.

(٤) الجاشنكير هو: الملك المظفر بيبرس المنصوري السلطان الثاني عشر من ملوك دولة المماليك الترك، تولى السلطة سنة ثمان وسبعمائة للهجرة بمشورة الأمراء بعد خروج الملك الناصر بن قلاوون إلى الكرك في رمضان منها، واستمر في سلطته أحد عشر شهراً وأياماً بعدها هرب إلى الصعيد بعد سماعه بقدوم الملك الناصر وموالاة أهل الشام وكثير من الأمراء له، ثم استدرجه الناصر وقتله سنة ٧٠٩هـ. وانظر: الجوهر الثمين ص٣٣٦ ـ ٣٤١، والبداية والنهاية ١٤/٤٩ ـ ٥٨.

وقاضي المالكية في مصر ابن مخلوف[١]، والقاضي ابن صصري[٢] وغيرهم، وقد أشعل هؤلاء نار الفتنة ضد الشيخ فوشوا به لدى «الجاشنكير» فأرسل إلى نائبه في دمشق يطلب فيه توجه شيخ الإسلام وابن صصري إلى مصر، وحاول بعضهم ثني الشيخ عن السفر إلى مصر لخوفهم عليه من نقمة أعدائه هناك لا سيما مع كثرة الصوفية وأصحاب وحدة الوجود، لكن الشيخ امتنع عن ذلك وذكر أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة ومصالح كثيرة ورأى أنه لا بد أن يحارب البدع والفرق الضالة هناك أيضاً كما حاربها في الشام وما حولها.

وصل شيخ الإسلام إلى مصر في ٢٢/٠٩/٧٠٢ وعند وصوله وجد أن اعداءه قد هيأوا له مجلساً للمحاكمة فجرت بينهم مجادلات ظهر من خلالها تفوقه عليهم وعدم مجاراتهم له مع تبوئهم المناصب العليا في السلطة فحكموا عليه بالسجن.

وبعد سنة ونصف السنة خرج، وظل كعادته يقرئ العلم ويدرس الناس حتى تكلم في مذهب الاتحادية[٣] فانزعج الصوفية لذلك، وخاصة أنهم كانوا يرون أن السلطان بجانبهم فشكوا إليه ذلك وعقد للشيخ مجلس في يوم الثلاثاء الأول من شهر شوال سنة ٧٠٧هـ.

قال ابن عبد الهادي: «وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ، وشجاعته، وقوة علمه، وصدق توكله، وبيان حجته، ما يتجاوز الوصف، وكان

(١) هو: علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي الحاكم بالديار المصرية من سنة ٦٣٤هـ وطالت أيامه إلى ٧١٨هـ، وهو ممن عادى شيخ الإسلام، البداية والنهاية ١٤/ ٩٠ ـ ٩٣، شذرات الذهب ٦/ ٤٩.

(٢) ابن صصري: أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن أمين الدين سالم بن بهاء الدين بن هبة الله ابن صصري التغلبي الشافعي قاضي القضاة بالشام تولاه سنة ٧٠٢هـ توفي فجأة سنة ٧٢٣هـ. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ١١٠، وشذرات الذهب ٦/ ٥٩.

(٣) الاتحادية: هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق؛ ويسمى الاتحاد الجزئي، ومنهم من يقول باتحاد الخالق بجميع المخلوقات؛ وهذا ما يسمى بالاتحاد الكلي أو وحدة الوجود. وانظر: مزيد بيان في كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٣٠٣ هامش.

وقتاً مشهوداً ومجلساً عظيماً». اهـ[١].

فلما أكثر هؤلاء من الشكاية[٢] والملام[٣] أمر السلطان بتسفيره إلى بلاد الشام فخرج للسفر ليلة الخميس الثاني عشر من شهر شوال إلى الشام، ثم ردّ في يومه وحبس بسجن الحاكم ليلة الجمعة التاسع عشر من شوال.

ولما دخل السجن قام بدور كبير في إصلاح المسجونين لا يقل عما فعله خارج الحبس فهذا همه الوحيد؛ إصلاح عقائد الناس.

قال ابن عبد الهادي: «ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمّا هم فيه، كالشطرنج[٤] والنرد[٥] ونحو ذلك من تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح والاستغفار والدعاء وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه، ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من: الزوايا[٦]،

---

(١) العقود الدرية ص٢٨٤.

(٢) الشكاية: كثرة الشكوى وهي: إظهار ما يصفك به غيرك من المكروه. انظر: اللسان ١٤/ ٤٣٩.

(٣) الملام: أي: أكثروا من لوم الشيخ عنده، واللوم: ذكر ما يلام عليه وما يذم من فعله من الذنب الذي يلام عليه، وهو ذنب عندهم وحسب زعمهم. وانظر: اللسان ١٢/ ٥٥٧.

(٤) الشطرنج: فارسي معرب وهو: لعبة قديمة يلعبها شخصان على ورقة مربعة ذات لونين مختلفين ولها قواعد مقررة لكل لاعب، ويعتقد أن أصلها هندي. وانظر: اللسان ٢/ ٣٠٨، والموسوعة العربية المسيرة ٢/ ١٠٨٤.

(٥) النرد: شيء يلعب به فارسي معرب ليس بعربي وهو النردشير، وهو عبارة عن مكعبات صغيرة من العاج أو العظم أو الخشب ذا نقط من كل وجه منسقه بطريقة خاصة، وهي لعبة قديمة، وقد نهى الشرع عنها. فعن بريدة بن الحصيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في دم خنزير «وفي رواية» غمس يده في لحم خنزير ودمه». رواه مسلم ٢/ ١٧٧٠ كتاب الشعر باب تحريم اللعب بالنردشير رقم ٢٢٦٠، وأبو داود كتاب الأدب باب النهي عن اللعب بالنرد ٥/ ٢٣٠، وانظر: جامع الأصول ١٠/ ٧٥٢، واللسان ٣/ ٤٢١، والموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٨٢٩.

(٦) الزوايا: جمع زاوية وهي الركن من البيت أو المسجد أو نحوهما، وهي مكان يخصص للصوفية يختلون به للعبادة والذكر والانقطاع عن الدنيا. وانظر: القاموس ١٦٦٧.

والربط[١] والخوانق[٢] والمدارس[٣] وصار خلق من المحابيس إذا أُطْلِقوا يختارون الإقامة عنده: وكثر المترددون إليه، حتى كان السجن يمتلئ بهم، فلما كثر اجتماع الناس به، وترددهم عليه ساء ذلك أعداءه، وحصرت صدورهم، فسألوا نقله إلى الإسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عريه، وأرادوا أن يَبْعُدَ عنهم خبره، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره». اهـ[٤].

وذهب الشيخ إلى الإسكندرية وهناك أيضاً انقلب الأمر على المتصوفة الذين أرادوا الكيد له حيث رموه وسط أَلَدَّ أعدائه، من أتباع ابن عربي[٥]، وابن سبعين[٦]، ولكن الأمور جاءت على غير ما يريدون، حيث قام بإصلاح عقائد الناس هناك، وظل طوال مدة إقامته مكافحاً منافحاً ضد البدع والخرافات والمذاهب الباطلة، وإيضاح عقيدة التوحيد نقية خالصة من الشوائب[٧]، وتوج هذه الرحلة بتأليف كتابه: «بغية المرتاد»[٨].

---

(١) الربط: جمع رباط وهو الذي يبنى للفقراء. المصباح المنير ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) الخوانق: جمع خانقاه وهي كلمة تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذي يخلون فيها للعبادة وتسمى أحياناً تكايا. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧٥٠.

(٣) المدارس: جمع مدرسة وهو البيت الذي يدرس فيه القرآن وكتب العلم وهي مشهورة بهذا عند المسلمين وعند اليهود، وأصل الدراسة: الرياضة وتعهد الشيء والتعود عليه. انظر: اللسان ٦/ ٨٠.

(٤) العقود الدرية ص٢٨٥.

(٥) ابن عربي: هو أبو بكر محيي الدين ـ بزعمهم ـ محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، الملقب عند أتباعه بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، صاحب خرافات وطامات في حق الله ورسوله ﷺ مات سنة ٦٣٨هـ. وانظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، ولسان الميزان ٥/ ٣١١، وشذرات الذهب ٥/ ١٩٠.

(٦) ابن سبعين: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين، توفي سنة ٦٦٩هـ وهو كسابقه من أعداء الشريعة القائلين بوحدة الوجود. وانظر: ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٣٢٩، لسان الميزان ٣/ ٣٩٢.

(٧) الشوائب جمع شائبة، من شاب الشيء شواباً إذا خلطه. اللسان ١/ ٥١١. والمقصود أن الشيخ وضح لهم العقيدة الصحيحة السليمة مما يخالطها من بدع أو اعتقادات فاسدة دخيلة على شريعة الإسلام.

(٨) واسمه كاملاً: «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة، والقرامطة، والباطنية، أهل=

وإضافة إلى ما قام به الشيخ من تلك الأعمال التي أحبطت مؤامرات أعدائه فإن أمور الدولة أيضاً تغيرت فرجع الملك الناصر قلاوون إلى الحكم في مصر، وفور وصوله أمر بإحضار الشيخ إلى القاهرة معززاً مكرماً، وعند وصول الشيخ اجتمع بالسلطان في شوال من سنة ٧٠٩هـ فأكرمه وتلقاه في مجلس حفل فيه[١] قضاة الشاميين والمصريين والفقهاء من أعداء الشيخ ومحبيه، وظهر في هذا المجلس من حلم الشيخ وصفحه عمن آذاه وظلمه وذلك عندما استشاره الحاكم في أمر هؤلاء الذين أثاروا ضده الفتن، وأخرج له بعض فتاوى الحاضرين بقتله واستفتى الشيخ في قتل بعضهم نكاية[٢] بما فعلوه، ولكن الشيخ امتنع عن أذية هؤلاء لأنه لا يأبه بمثل هذه الأمور، ولا يحب أن ينتقم لنفسه[٣].

وذكر الشيخ «أن السلطان ـ لما جلس بالشباك ـ أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم، قال: ففهمت مقصوده وأن عنده حنقاً[٤] شديداً عليهم، لما خلعوه وبايعوا الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكّنت ما عنده عليهم»[٥]، حتى أن قاضي المالكية ابن مخلوف[٦] قال بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم

= الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد»، فيتضح من عنوانه أنه مناسب للحال الموجودة والتي سجن من أجل الكلام حولها، فرحمه الله رحمة واسعة فقد كان يحاربها قولاً وفعلاً. والكتاب حقق كرسالة علمية قدمها د. موسى بن سليمان الدويش إلى جامعة الإمام، وهو مطبوع.

(١) حفل القوم يحفلون حفلاً واحتفلوا: اجتمعوا واحتشدوا، وهم كثير. انظر: اللسان ١١/١٥٧.

(٢) النكاية: إصابة العدو بما يثقله ويوهنه ويغمه. انظر: اللسان ١٥/٣٤١.

(٣) وانظر: نموذجاً آخر مما حصل له من قيام بعضهم عليه وضربهم له حتى انتصر له أهل الحسينية فعفا ولم ينتقم لنفسه. العقود الدرية ص٣٠١ وما بعدها.

(٤) الحنق: شدة الاغتياظ وثقل الغضب. اللسان ١٠/٦٩ ـ ٧٠.

(٥) كما حكى ذلك في العقود الدرية سماعاً من الشيخ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٦) سبقت ترجمته ص٦٤.

نبقِ، ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا[١].

وظل الشيخ في مصر يدرس ويعلم الناس حتى سنة ٧١٢هـ حين جاء الخبر بأن التتار يريدون غزو الشام، فخرج السلطان لمحاربتهم وصحب الشيخ معه إلى دمشق بعد غيبة دامت سبع سنين استقبل بعدها استقبالاً مهيباً وحافلاً.

واستمر بها في التدريس والفتيا والتصنيف ولكن الحسد والبغضاء وجدت لها ميداناً آخر، حين تحزب الفقهاء ضده وصدر مرسوم بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق وذلك في جمادى الأولى ٧١٨هـ، ثم أكد هذا المنع في رمضان ٧١٩هـ.

ثم صدر الأمر بحبسه في القلعة[٢] يوم الخميس ٢٢/٠٧/ ٧٢٠هـ واستمر ذلك حتى يوم عاشوراء من سنة ٧٢١هـ حيث أمر بإخراجه.

فواصل مسيرته في التعليم والتدريس والفتيا حتى يوم السابع من شهر شعبان سنة ٧٢٦هـ حيث جاء الأمر بسجنه مرة أخرى بقلعة دمشق، بسبب شكوى بعض الفقهاء منه في فتياه في مسألة شد الرحل إلى قبره ﷺ، واستمر الشيخ وهو في السجن في التأليف والفتيا والعبادة التي وجد الجو مناسباً وملائماً لها، فكتب في الرد على الأخنائي[٣]، وفي تفسير القرآن وغيرها.

فضاق ذرعاً[٤] أعداؤه به، فسعوا سعيهم ومكروا مكرهم عند السلاطين

---

(١) كما حكى ذلك ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص٢٩٩، وابن كثير في البداية والنهاية ١٤/ ٥٦.

(٢) القلعة: الحصن الممتنع في جبل. اللسان ٨/ ٢٩٠.

(٣) الأخنائي: محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الأخنائي السعدي تقي الدين أخو علم الدين الشافعي المتوفى ٧٣٢هـ، أما هذا فولد سنة ٦٦٠هـ تقريباً وسمع من جماعة من العلماء كالصيرفي وابن المنبجي وغيرهما، واشتغل بالفقه على مذهب الإمام مالك وتقدم وتميز، ثم ولي قضاء المالكية في الديار المصرية، وكان الناصر يحبه ويرجع إليه في أشياء حتى قال الناصر: لا أعزله أبداً ولو عمي حتى يموت، مات في مرض الطاعون في أول سنة ٧٥٠هـ. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/ ٤٠٨ ترجمة رقم ١٠٨٠.

(٤) الذرع: الطاقة والوسع، وضاق بالأمر ذرعه وذراعه؛ أي: ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه، ولم يقوَ عليه. انظر: اللسان ٨/ ٩٥.

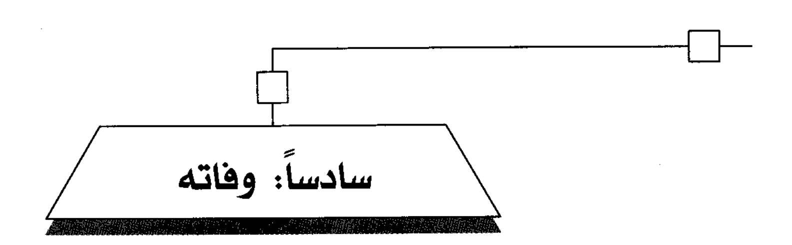
ليمنعوا ذلك النور أن يشرق من ردهة[1] السجن فيضيء بين الناس، حتى صدر المرسوم الأميري في التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٨هـ بمنع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من الكتابة.

فأخرجت الكتب والأوراق والدفاتر والمحابر من عنده ومنع منعاً باتاً من المطالعة، فاضطر إلى تسجيل كتاباته بالفحم، وقد صدرت من عنده كتابات مكتوبة يالفحم على أوراق متناثرة[2].



(١) الردهة: حفيرة في القُفّ تحفر، أو تكون خِلْقَة فيه. اللسان ١٣/ ٤٩١.

(٢) وممن رأى ذلك ونقل بعضها ابن عبد الهادي صاحب العقود الدرية. وانظره ص٣٨٠ وما بعدها.



سادساً: وفاته

أقبل الشيخ بعد هذا كله على الاستزادة من العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد(١)، حتى أتاه اليقين ليلة الإثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة ٧٢٨/١١/٢٠هـ(٢)، فوفاه الأجل المحتوم رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

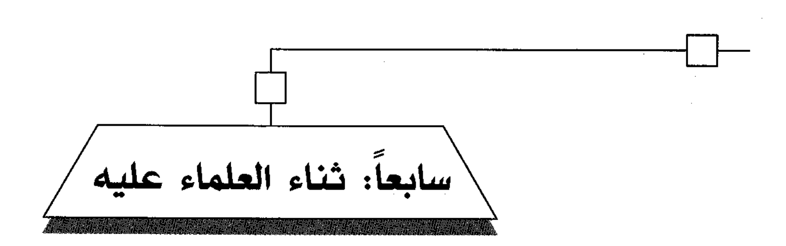
توفي هذا الشيخ وسط السجن عزيزاً كريماً، ولم يخلف مالاً ولا ولداً بل خلف ثروة علمية هائلة امتلأت بها الخزائن، ولا زال العلماء وكبار المفكرين يغرفون منها، فهي معين صافٍ لما حواه من مذهب السلف الصحيح حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فجزاه الله خير ما جزى به عباده المؤمنين.



---

(١) بل وافاه الأجل وهو على ذلك «فقد ختم مدة إقامته بالقلعة أكثر من ثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر سورة القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ عند آية: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾. انظر: العقود الدرية ص٣٨٤، قال: «وكان يقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء يختم في عشرة أيام هكذا أخبرني أخوه زين الدين». اهـ. وذلك لأنه كان مرافقاً له في السجن.

(٢) وكانت مدة مرضه إحدى وعشرين أو عشرين يوماً. العقود الدرية ص٣٨٤.



أ ـ علماء عصره:

ثناء العلماء على إمام أهل السنة ومجدد عصره شيخ الإسلام ابن تيمية كثير كثير جداً، ولقد نقل منه الشيخ ابن ناصر الدين الدمشقي[١] جزءاً كبيراً في كتابه الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر[٢]، ثم الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي[٣] نقل أيضاً جزءاً منها في كتابيه: «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية»، والآخر «الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية»، ونظراً لأهميتها أحببت أن أذكر طرفاً مختصراً منها فمن ذلك:

١ ـ قال عماد الدين الواسطي ت٧١١هـ[٤]:

---

(١) محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ت ٨٤٢هـ حفظ القرآن وسمع الحديث في صغره، ثم قرأ بالروايات ولازم الشيوخ وصنف الكثير رحمه الله رحمة واسعة. انظر: شذرات الذهب ٧/ ٢٤٣، و٧/ ٢١١، والضوء اللامع ٨/ ١٠٣ ـ ٢٨٤، ١١/ ٨٣.

(٢) وسبب تأليفه وقوع فتنة بين الحنابلة والأشاعرة بدمشق سنة ٨٣٥هـ، مما جعل علاء الدين البخاري يذم ابن تيمية ويصرح بكفره وكفر من أطلق عليه شيخ الإسلام، فأيقظ الله ابن ناصر الدين للرد عليه بهذا الكتاب الذي صوبه غالب العلماء وعظموه. وانظر: شذرات الذهب ٧/ ٢١١، والكتاب مطبوع.

(٣) مرعى بن يوسف الكرمي الحنبلي ت١٠٣٣هـ أحد كبار علماء الحنابلة بمصر، محدث فقيه له معرفة بالعلوم المتداولة له مصنفات كثيرة في الفقه والأدب والمنطق والتوحيد وحواش على التفسير. وانظر: خلاصة الأثر ٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦١، والكتابان مطبوعان.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود الواسطي أبو العباس الزاهد نشأ مع الطائفة الأحمدية (الصوفية) إذ كان أبوه شيخاً لها، ثم صحب ابن تيمية واهتم بالسنة والسيرة وتبوع في الرد على المبتدعة، حتى قال فيه ابن تيمية: هو جنيد وقته، وانتفع به=

«فوالله ثم والله ثم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علماً، وعملاً، وحالاً، وخلقاً، واتباعاً، وكرماً، وحلماً، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته»[1].

٢ ـ وقال ابن سيد الناس[2] ت٧٣٤هـ:

«ألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر الحديث فهو صاحب علمه.. برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم ترَ عين من رآه مثله».

٣ ـ وقال فيه المزي[3] ت٧٤٢:

«ابن تيمية لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة»[4].

وقال أيضاً: «ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا أتبع لهما منه»[5].

٤ ـ قال الذهبي[6] ت٧٤٨هـ:

= كثير من المسلمين، توفي سنة ٧١١هـ رحمه الله. وانظر ترجمته في: العقود الدرية ص٣٠٦، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤.

(١) العبارة نقلها ابن عبد الهادي ضمن رسالة الواسطي في العقود الدرية من ص٣٠٧ إلى ص٣٣٧، وأسماها الواسطي: «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار»، والعبارة ص٣٢٧.

(٢) محمد بن محمد بن أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن أبي القاسم ابن سيد الناس اليعمري الأندلسي، ولد سنة ٦٧١هـ له مصنفات مفيدة، توفي ٧٣٤هـ بالقاهرة. انظر: الرد الوافر ص٥٨، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٨، والعبارة في الرد الوافر ص٥٨، والعقود الدرية ص٢٦.

(٣) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي القضاعي المزي الدمشقي حافظ الإسلام، أستاذ أئمة الجرح والتعديل، وشيخ المحدثين، سمع الكثير من الكتب ورحل إلى الأمصار، وكان غزير العلم، ثقة حجة، رافق شيخ الإسلام في طلب العلم، توفي ٧٤٢هـ. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٣، والرد الوافر ص٢٢٩.

(٤) العبارة في الرد الوافر ص٢٣٠، والشهادة الزكية ص٤٥.

(٥) العبارة في العقود الدرية ص٢٣، والرد الوافر ص٢٣٠.

(٦) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الدمشقي ابن=

«وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته، فلو حلفت من بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم»[١].

٥ ـ قال البزار[٢] ت٧٤٩هـ:

«كان رضي الله عنه من أعظم أهل عصره قوة ومقاماً وثبوتاً على الحق، وتقديراً لتحقيق توحيد الحق، لا يصده عن ذلك لوم لائم، ولا قول قائل، ولا يرجع عنه لحجة محتج، بل كان إذا وضح له الحق يعض عليه بالنواجذ، ولا يلتفت إلى مباين معاند».

وقال أيضاً: «وكان من أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه، ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه، ولسانه، ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم»[٣].

٦ ـ وقال ابن الوردي[٤] ت٧٤٩هـ:

في رحلته لما ذكر علماء دمشق «وتركت التعصب والحمية[٥]، وحضرت

= الذهبي، ولد ٦٧٣هـ، إمام حافظ همام مؤرخ الإسلام وناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجروحين، إمام في القراءات والفقه والمذهب والمقالات، له مؤلفات عديدة مفيدة، توفي ٧٤٨هـ، ترجمته في الرد الوافر ص٦٦، والدرر الكامنة ٣/ ٣٣٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٥٣.

(١) العبارة بنصها في العقود الدرية ص١٣٤، وبمضمونها ص٤٠ من العقود الدرية أيضاً.

(٢) هو: أبو حفص عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزجي البزار، له عناية بسماع الحديث والفقه والرقائق، وكان ذا عبادة وتهجد، ترجم لشيخ الإسلام ترجمة مفردة أسماها: «الأعلام العلية في مناقب الإمام ابن تيمية» وهو مطبوع، توفي ٧٤٩هـ. وانظر: ترجمته في: الرد الوافر ص٢١٠، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٤، وشذرات الذهب ٦/ ١٦٣، والعبارة في كتاب الأعلام العلية ص٧٥.

(٣) هذه العبارة أيضاً في الأعلام العلية ص٦٧.

(٤) هو: زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن الوردي المصري الحلبي الشافعي، إمام بارع في اللغة والفقه والنحو والأدب متفنناً في العلم وله نظم، توفي سنة ٧٤٩هـ. ترجمته الشهادة الزكية ص٢٩، شذرات الذهب ٦/ ١٦١.

(٥) التعصب: من العصبية وهي أن يدعو الرجال إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من=

مجالس ابن تيمية، فإذا هو بيت القصيدة[١]، وأول الخريدة[٢]، علماء زمانه فلك هو قطبه[٣]، وجسم هو قلبه، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر...»[٤][٥].

ب ـ من بعد عصره:

وسأقتصر على نماذج فقط:

١ ـ قال الإمام ابن حجر[٦] ت٨٥٢هـ:

قال أثناء تقريظه للرد الوافر وبعد ذكره لموقف العلماء من شيخ الإسلام: «ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته[٧] ولا حكم بسفك دمه ـ مع شدة المتعصبين حينئذ ـ من أهل الدولة، حتى حبس بالقاهرة ثم بالإسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه، وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة، وغير ذلك من قيامه في نصرة الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية»[٨].

= يناويهم ظالمين كانوا أو مظلومين. اللسان ١/٦٠٦. الحمية: الأنفة والغيرة. اللسان ١٤/١٩٩.

(١) بيت الشيء: أشرفه. اللسان ٢/١٥، والقصيدة من الشعر ما تمّ شطر أبياته. اللسان ٣/٣٥٤، فشبه الشيخ بأشرف أبيات القصيدة لنفاسته.

(٢) الخريدة: من النساء البكر التي لم تمسس قط. اللسان ٣/١٦٢.

(٣) القطب: هو القائم الذي تدور عليه الرحى، وكوكب بين الجدي والفرقدين يدور عليه الفلك لا يبرح مكانه أبداً.

(٤) القطر: ما سال من الماء من مطر أو دمع أو غيرهما. وانظر: اللسان ٥/١٠٥.

(٥) العبارة في الشهادة الزكية ص٣٠.

(٦) هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر من أوعية العلم والأئمة توفي سنة ٨٥٢هـ. وانظر ترجمته في: رفع الأصر ١/٥٨، والضوء اللامع ٢/٣٦ وغيرها.

(٧) الزندقة: الإلحاد في دين الله والكلام بما هو كفر. وانظر: لسان العرب ١٠/١٤٧، وفتح الباري ١٢/٢٧٠.

(٨) الرد الوافر ص٢٤٧، والشهادة الزكية ص٧٣.

٢ ـ وقال مرعي بن يوسف الكرمي[١] ت١٠٣٣هـ:

«لقد كان بحراً يتقاذف موجه بالدرر[٢]، وعقداً في جيد[٣] الدهر يتلألأ بالغرر[٤]، فرائد فوائده تخجل جواهر العقود، وجواهر فوائده تزري[٥] بقلائد العقيان[٦] والنقود، وكانت الأقلام خداماً لخواطره، والأسماع نظاماً لجواهره، والطروس[٧] سواحل لزواجره.

وأسواق الفضل والآداب بوجوده قائمة، وتحقيق العلوم في أفنانه[٨] دائمة». اهـ[٩].

٣ ـ وقال ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي[١٠] ت١١٧٦هـ:

«فإنا قد تحققنا من حاله، أنه عالم بكتاب الله تعالى، ومعانيه اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرر لمذهب الحنابلة، فروعه وأصوله، فائق في الذكاء، ذو لسان وبلاغة، في الذبّ عن عقيدة أهل السنة، لم يُؤثر عنه فسق ولا بدعة، اللهم إلا هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها، وليس بشيء

---

(١) سبقت ترجمته ص٧١.
(٢) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. اللسان ٤/ ٢٨٢.
(٣) العقد: خيط ينظم به الدر أو الخرز ـ للتجمل ـ اللسان ٣/ ٢٩٦. والجيد: العنق وأغلب ما يطلق على المرأة. اللسان ٣/ ١٣٩.
(٤) الغرر: كل ما يغري من متاع الدنيا. اللسان ٥/ ٣٥٦.
(٥) تزري: تعيب وتستهين. اللسان ١٤/ ٣٥٦.
(٦) العقيان: ذهب ينبت نباتاً وليس مما يستذاب من الحجارة، وقيل: هو الذهب الخالص. اللسان ١٥/ ٨١.
(٧) الطروس: جمع طرس وهي الصحيفة، ويقال: هي التي محيت ثم كتبت. اللسان ٦/ ١٢١.
(٨) أفنان جمع فن وهو الغصن مأخوذ من الأفانين، وهي أجناس الشيء وطرقه. انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٣٥.
(٩) الشهادة الزكية ص٨٩.
(١٠) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي أبو عبد العزيز فقيه حنفي من المحدثين، أحيا الله به السنة والحديث بالهند له كتب كثيرة منها: «الفوز الكبير في أصول التفسير» مطبوع بالعربية، والأردية، والفارسية، وله «فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير» مطبوع أيضاً وغيرها كثير، توفي ١١٧٦هـ وقيل ١١٧٩هـ. الأعلام ١/ ١٤٩.

منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره». اهـ[١].

٤ ـ قال الشيخ محمد بن علي الشوكاني[٢] ت١٢٥٠هـ:

«وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه، إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته»[٣].

ج ـ كلمات لبعض خصومه في الثناء عليه:

هذه الكلمات لمن ناظروا شيخ الإسلام، ونصبوا المجالس لمحاكمته، ومع ذلك أبى الله إلا أن يظهر الحق على ألسنتهم فاعترفوا له بالعلم، وسأذكر نماذج فقط:

١ ـ قال أبو حيان النحوي الأندلسي[٤] ت٧٤٥هـ:

«ما رأت عيني مثل ابن تيمية»، وقال فيه أبياتاً منها:

---

(١) المجددون في الإسلام ص٢٤٣.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني القحطاني، ولد سنة ١١٧٢هـ، حفظ القرآن وتلقى العلوم وبرع في فنون عديدة، وصنف مطولات ومختصرات، دعا إلى ترك التقليد والسعي إلى التبحر في العلوم والفنون، توفي ١٢٥٠هـ، وانظر: مقدمة الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ص١٤.

(٣) البدر الطالع ١/ ٦٣.

(٤) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النغزي الأندلسي ولد ٦٥٤هـ ورحل ولقي الشيوخ وأجاز له كثيرون توفي سنة ٧٤٥هـ، ولقي ابن تيمية سنة ٧٠٠هـ وأعجب به ثم نافره وعاداه وذمه.. ولكن بعد موته أقر مدحه. الرد الوافر ص١١٨ ـ ١٢٣، الشهادة الزكية ص٣١ والعبارة فيهما، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر

٢ ـ وقال تاج الدين السبكي[١] ت٧٧٧هـ:

«والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يبعده هواه عن الحق بعد معرفته».

٣ ـ وقال فيه ابن مخلوف[٢] قاضي المالكية وهو من ألد أعداء وخصوم الشيخ:

«ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[٣].

٤ ـ وكذلك الزملكاني كمال الدين[٤] كان ممن ناظر الشيخ ت٧٢٧هـ، قال عنه: «كان إذا سئل عن فنٍّ من علم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك».



---

(١) السبكي: أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي، ولد سنة ٧٠٧هـ سمع الحديث من خلق كثير وأحكم العربية وتولى القضاء، توفي ٧٧٧هـ بدمشق. انظر: الرد الوافر ص٩٧ ـ ١٠٠.

(٢) سبقت ترجمته ص٦٣.

(٣) الكلمة في البداية والنهاية ١٤/٥٦، والعقود الدرية ص٢٩٩.

(٤) هو: أبو المعالي محمد بن أبي الحسن بن علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكا الأنصاري الشافعي، ناظر شيخ الإسلام غير مرة ومع ذلك اعترف له بالإمامة والفضل، والزملكاني إمام بارع في علم النحو والفقه والأصول، كثير العبادة عفيفاً عن الدنيا، توفي ٧٢٧هـ. الرد الوافر ص١٠٧ ـ ٢٦٣، والشهادة الزكية ص٣٥ ـ ٣٨.

ثامناً: بعض المتأثرين بشيخ الإسلام رحمه الله

١ ـ أبو محمد إبراهيم بن داود الآمدي، قال ابن حجر: أسلم على يد الشيخ تقي الدين ابن تيمية وهو دون البلوغ، وصحبه إلى أن مات سنة ٧٩٧هـ[(١)].

٢ ـ شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة الحنبلي ت٧٧١هـ، قرأ على الشيخ تقي الدين عدة مصنفات في علوم شتى وأذن له بالإفتاء[(٢)].

٣ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ت٧٦٣هـ، حضر عند الشيخ ونقل عنه كثيراً، وكان أخبر الناس بمسائله واختياراته حتى كان ابن القيم يراجعه في ذلك[(٣)].

٤ ـ ولي الدين يوسف بن ماجد بن أبي المجد المرداوي الحنبلي ٧٨٣هـ، امتحن مراراً بسبب فتياه في مسألة الطلاق بفتيا الشيخ وغيرها من المسائل، وسجن بسبب ذلك ولا يرجع عنها[(٤)].

٥ ـ شرف الدين محمد بن سعد الله بن عبد الأحد ابن نجيح الحراني ثم الدمشقي ت٧٢٣هـ صحب الشيخ ولازمه[(٥)].

٦ ـ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن المنجا التنوخي الدمشقي ٧٢٤هـ من خواص أصحاب الشيخ وملازميه حضراً وسفراً[(٦)].

٧ ـ شمس الدين الحريري الحنبلي عزر عام ٧٨٤هـ لفتواه في مسألة الطلاق بفتوى الشيخ، واعتقادِه اعتقاد الشيخ بأن الله في السماء[(٧)].

٨ ـ ابن المحب محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ت٧٨٨هـ،

---

(١) شذرات الذهب ٦/ ٣٤٧.
(٢) شذرات الذهب ٦/ ٢١٩.
(٣) شذرات الذهب ٦/ ١٩٧.
(٤) شذرات الذهب ٦/ ٢٨٢.
(٥) شذرات الذهب ٦/ ٦١.
(٦) شذرات الذهب ٦/ ٦٥.
(٧) تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٩١.

إمام محدث من محبي الشيخ المتأثرين به المعجبين[١].

وغيرهم من تلاميذه المشهورين كابن عبد الهادي، وابن كثير، وابن القيم، والبزار، والذهبي[٢].

وغيرهم كثير جداً من المتقدمين رحمهم الله جميعاً وغفر لهم ورفع درجاتهم.

ومن المتأخرين:

١ - صالح بن مهدي المقبلي اليمني ١١٠٨هـ رحمه الله[٣].

٢ - محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي ١٢٠٦هـ رحمه الله[٤].

٣ - ولي الله الدهلوي، ولي الله أحمد شاه بن عبد الرحيم الدهلوي ١١٧٦هـ رحمه الله[٥].

٤ - محمد بن علي الشوكاني الصنعاني ١٢٥٠هـ رحمه الله[٦].

٥ - محمود شكري الألوسي ١٣٤٢هـ رحمه الله[٧].

٦ - محمد رشيد رضا الحسيني ١٣٤٥هـ رحمه الله[٨].

٧ - محمد حامد الفقي رحمه الله.

٨ - عبد الرزاق عفيفي رحمه الله.

٩ - عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

١٠ - محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

١١ - محمد نصيف رحمه الله.

١٢ - محمد كرد علي رحمه الله.

١٣ - محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

١٤ - محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وغيرهم من أفاضل علماء هذا العصر مما يصعب علي حصرهم.

وكل من ذكرته من عصر الشيخ وإلى يومنا هذا فإنما هم نماذج لغيرهم.

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٠٧. (٢) شذرات الذهب ٦/ ٦٥.

(٣) المجددون في الإسلام عبد المتعال الصعيدي ص٤١٠.

(٤) المرجع السابق ص٤٣٧. (٥) المرجع السابق ص٤٤٢.

(٦) المرجع السابق ص٤٧٣.

(٧) نشرة أخبار التراث الإسلامي عدد: ٥ سنة ١٤٠٦هـ.

(٨) المجددون في الإسلام ص٥٣٩.

تاسعاً: المترجمون لشيخ الإسلام ابن تيمية

أ ـ في القديم:

١ ـ العلامة ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ.

أ ـ ترجم له ترجمة خاصة، وهي مفقودة.

ب ـ وترجم له من خلال كتابه البداية والنهاية في مواضع متعددة من ج١٣، وج١٤.

٢ ـ الإمام ابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ: في ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي ٢/ ٣٨٧ ـ ٤٠٨.

٣ ـ العلامة ابن حبيب ٧٧٩هـ: في كتابه درة الأسلاك في دولة الأتراك (مخطوط) بخط المؤلف ذكره المنجد ص١٢٦ من كتابه «شيخ الإسلام سيرته وأخباره عن المؤرخين».

٤ ـ ابن شاكر الكتبي ٧٦٤هـ: في كتابه فوات الوفيات، طبعة محيي الدين عبد الحميد ١/ ٦٢.

٥ ـ الذهبي ت٧٤٨هـ: في عدد من كتبه ومنها:

أ ـ دول الإسلام.

ب ـ بيان زغل العلم.

ج ـ تذكرة الحفاظ.

د ـ معجم الشيوخ.

هـ ـ ذيل العبر.

٦ ـ علم الدين السخاوي ٩٠٢هـ. في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ تحقيق: ف. روز نثال بغداد ١٩٨٣م، ص١١١ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ٢٩٤ ـ ٣٠٧ ـ ٣٥٢.

٧ ـ ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر المعري الحلبي الشافعي ٧٤٩هـ في تاريخه مطبوع.

٨ ـ الصفدي: ترجم له في كتابيه:

أ ـ أعيان العصر (مخطوط).

ب ـ الوافي بالوفيات (مطبوع).

٩ ـ ابن ناصر الدين الدمشقي ٨٤٢هـ: ترجم له في كتابه: الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام.. كافر، تحقيق زهير الشاويش.

١٠ ـ الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الدمشقي الحلبي ٧٧٩هـ: في كتابه مناقب ابن تيمية، مخطوط بخط المؤلف في جامعة ييل الأمريكية.

١١ ـ عمر بن علي البزار ٧٤٩هـ: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش ١٣٩٦هـ.

١٢ ـ يوسف بن عبد الهادي: صب الخمول على من وصل أذاه إلى أولياء الله: مخطوط في الظاهرية.

١٣ ـ ابن عبد الهادي محمد بن أحمد ٧٤٤هـ:

أ ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي.

ب ـ العقود الدرية في مناقب ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي.

١٤ ـ صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس: القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي (مطبوع).

١٥ ـ شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي من تلاميذ الشيخ: له رسالة كتبها إلى حنابلة دمشق يعزيهم ويوصيهم بتآليف الشيخ ويذكرهم بأخلاق الشيخ رحمه الله (مطبوع).

١٦ ـ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ت١٠٣٠هـ أفرد له كتابان:

أ ـ الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

ب ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف.

١٧ ـ ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة (٧٧٩ ـ ٨٥١هـ)، في تاريخه، تحقيق: عدنان درويش في مواضع متعددة ولا سيما في ج٣.

١٨ ـ عبد الله بن حامد الشافعي من القرن الثامن الهجري المعاصرين للشيخ، رسالة قصيرة في فضل ابن تيمية ومحبة أهل العلم له، أرسلها إلى ابن عبد الهادي (مطبوع).

ب ـ في العصر الحاضر:

١ ـ صالح بن فوزان الفوزان: من أعلام المجددين شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢ ـ محمد يوسف موسى: ابن تيمية.

٣ ـ صلاح عزام: ابن تيمية المفترى عليه.

٤ ـ محمد كرد علي: كنوز الأجداد.

٥ ـ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات.

٦ ـ عبد العزيز المراغي: سلسلة أعلام الإسلام كتاب ابن تيمية.

٧ ـ محمد محيي الدين عبد الحميد: ابن تيمية في مقدمة كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول.

٨ ـ عدنان الخطيب: ابن تيمية في مجلة المجمع العلمي العربي ٣٧.

٩ ـ محمد أبو زهرة: ابن تيمية.

١٠ ـ محمد رشاد سالم: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية.

١١ ـ عبد السلام هاشم حافظ: الإمام ابن تيمية.

١٢ ـ سليم الهلالي: ابن تيمية المفترى عليه.

١٣ ـ عبد الرحمن عبد الخالق: لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٤ ـ محمد بهجة البيطار: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٥ ـ محمد العبده: العالم المجاهد تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

١٦ ـ عبد الرحمن الشرقاوي: ابن تيمية الفقيه المعذب.

١٧ ـ محمد المبارك: الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية.

١٨ ـ محمد السيد الجليند: الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل.

١٩ ـ محمد مهدي الإستانبولي: ابن تيمية بطل الإصلاح الديني

٢٠ ـ صلاح الدين المنجد: شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين (نصوص مخطوطة ومطبوعة) جمعها.

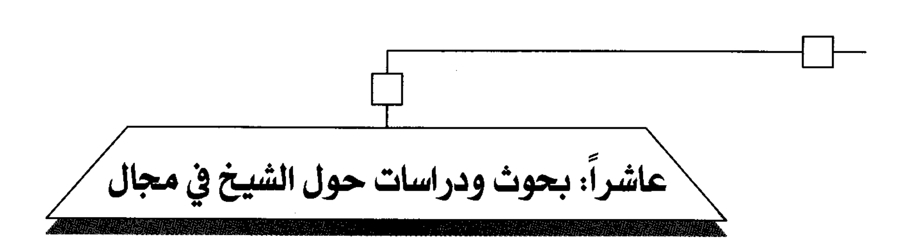
٢١ ـ عبد الرحمن الوكيل: عبقري الإسلام، مجدد شبابه، أسد عرينه، الإمام: ابن تيمية، مقدمة نقض المنطق.

٢٢ ـ سيد الجميلي: مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره.

٢٣ ـ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي: التذكار والاعتبار والانتصار للأبرار (في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية).

٢٤ ـ مسابقة البحوث التربوية ـ جمعية المعلمين ـ الكويت: مجموعة بحوث عن شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٠٨هـ.





أ ـ في مجال علوم القرآن والتفسير:

١ ـ أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين: عبد الله ديريه. أبتدون. الجامعة الإسلامية العالمية (ماجستير) ١٤٠٣هـ.

٢ ـ القراءات في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:

عبد الفتاح إسماعيل شلبي (محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٠٢هـ ـ ١٤٠٣هـ، ٩ محاضرات).

٣ ـ منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم:

صبري المتولي (دكتوراه) ط القاهرة، عالم الكتب ١٩٨١م، ص٣٠١ مطبوع.

٤ ـ ابن تيمية ومنهجه وأثره في التفسير:

د. ناصر بن محمد الحميد (دكتوراه) جامعة الإمام، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه ٩/ ١٠/ ١٤٠٥هـ.

٥ ـ الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل:

محمد السيد الجليند، ط القاهرة ١٣٩٣، مجمع البحوث الإسلامية مطبوع.

٦ ـ المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها: لشيخ الإسلام، تحقيق أبي عبد الله محمود بن إمام، مكتبة الصحابة بطنطا ١٤٠٦هـ مطبوع.

٧ ـ ابن تيمية كمصدر عند ابن كثير:

د. مسعود الرحمن خان الندوي، ضمن ندوة عالمية حول شيخ الإسلام

ابن تيمية، حياته العلمية ومواقفه الخالدة ٠٢/٠٦/١٤٠٨هـ.

٨ ـ ابن تيمية حامل راية الكتاب والسنة: د.محمد نعمان السلفي، (ضمن الندوة).

٩ ـ مقارنة بين منهج ابن تيمية في التفسير ومنهج الفراهي: الأستاذ أشهد رفيق الندوي، (ضمن الندوة).

١٠ ـ ابن تيمية وعلم التفسير: للشيخ برهان الدين سنبهلي، (ضمن الندوة).

١١ ـ ابن تيمية ترجمان القرآن: للشيخ عبد الواحد عبد القدوس، (ضمن الندوة).

١٢ ـ ابن تيمية وجهوده في التفسير:

إبراهيم خليل بركة (ماجستير) ط المكتب الإسلامي، رسالة في كلية أصول الدين بالأزهر قبل ١٩٨٥م مطبوع.

١٣ ـ مقارنة بين الإمامين ابن تيمية وابن القيم في تفسير المعوذتين:

عبد السلام محمود (ماجستير) جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم التفسير ١٩٨٥م.

ب ـ في سائر العلوم والفنون:

١ ـ نظام الأسرة عند ابن تيمية:

محمد أحمد الصالح، مجلة البحوث عدد شوال ذو القعدة ذو الحجة ١٣٩٥هـ، ومحرم صفر ربيع ١/١٣٩٦هـ.

٢ ـ منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري:

محمد الزين، ط المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٨هـ.

٣ ـ الجبر والاختيار عند ابن تيمية:

محمد سعيد عبده (أسبوع الفقه الإسلامي مهرجان ابن تيمية ص٧٨٣).

٤ ـ آراء في مذهب ابن تيمية (منوعات ماسبيرو ٣، ١٩٣٥ ـ ٤٠).

هنري لاوست: المستشرقون ٢/ ٣١٩.

٥ ـ حول رؤية ابن بطوطة لابن تيمية:

عبد الله كنون، المجمع العلمي العربي ٤٠/ ٦٤٧ ـ ٦٧٥.

٦ ـ بين ابن تيمية وابن بطوطة:

محمد بهجت البيطار، المجمع العلمي العربي ١٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨١، ٤٣/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

ج ـ ومن الرسائل العلمية:

١ ـ آراء ابن تيمية في الحكم والإدارة:

حمد بن محمد بن سعد الفريان (دكتوراه) جامعة الإمام ١٤٠٥هـ المعهد العالي للقضاء.

٢ ـ الاختيارات: لابن تيمية:

دراسة وتحقيق ناصر بن زيد بن ناصر الداود (ماجستير) جامعة الإمام ١٤٠٥هـ، المعهد العالي للقضاء.

٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أصحاب الجحيم:

تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل (دكتوراه) جامعة الإمام ١٤٠٣هـ، أصول الدين، العقيدة والمذاهب.

٤ ـ الأهداف التربوية السلوكية من خلال المجلد العاشر من مجموع الفتاوى:

فوزية رضا أمين خياط (ماجستير) جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ التربية.

٥ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد ومن القائلين بالحلول والاتحاد:

تحقيق ودراسة موسى بن سليمان الدويش (دكتوراه) جامعة الإمام أصول الدين، العقيدة والمذاهب ١٤٠٦هـ.

٦ ـ التحفة العراقية في الأعمال القلبية:

تحقيق ودراسة (ماجستير) يحيى محمد الهنيدي، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب ١٤٠٥هـ.

٧ ـ ابن تيمية: منهجه واختياراته الفقهية في الجنايات والحدود:

(دكتوراه) عبد الرحمن عبد الله الدباسي، جامعة الإمام، المعهد العالي ١٤٠٦هـ.

٨ ـ ابن تيمية ومنهجه في الفقه:

(دكتوراه) الجامعة الإسلامية ١٤٠٧هـ، د. سعود صالح العطيشان.

٩ ـ جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن:

تحقيق ودراسة سليمان عبد الله الغفيص (ماجستير) جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب ١٤٠٧هـ.

١٠ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (دكتوراه)

دراسة وتحقيق، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب.

ج١ ـ علي حسن ناصر عسيري ١٤٠٦هـ.

ج٢ ـ عبد العزيز إبراهيم العسكر ١٤٠٦هـ.

ج٣ ـ حمدان محمد الحمدان ١٤٠٧هـ.

١١ ـ الخلاف في القواعد الأصولية المتعلقة بدلالة الألفاظ من حيث الشمول وعدمه وموقف شيخ الإسلام منها:

(دكتوراه) الجامعة الإسلامية، أصول الفقه ١٤٠٨هـ محمد سنان سيف.

١٢ ـ دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول:

(ماجستير) ١٤٠٣هـ، مريم محمد عوض بن لادن، جامعة أم القرى الشريعة، التاريخ.

١٣ ـ الرسالة التدمرية:

دراسة وتحقيق: محمد بن عودة السعوي ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب (ماجستير).

١٤ ـ الرسالة التسعينية:

تحقيق ودراسة محمد بن إبراهيم العجلان (دكتوراه) جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب ١٤٠٩هـ.

١٥ ـ شرح حديث النزول:

تحقيق وتعليق محمد بن عبد الرحمن الخميس (ماجستير) ١٤٠٧هـ، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب.

١٦ ـ شرح العقيدة الأصفهانية:

تحقيق ودراسة: محمد بن عودة السعوي ١٤٠٧، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب (دكتوراه).

١٧ ـ فتاوى شيخ الإسلام:

تخريج أحاديث وآثار قسم العقائد من المجلد الأول إلى نهاية الثامن، عبد الله عبد الرحمن الشريف (دكتوراه) جامعة الإمام، أصول الدين، السنة وعلومها ١٤٠٩هـ.

١٨ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

تحقيق ودراسة (ماجستير) ١٤٠٦هـ عبد الرحمن العبد الكريم آل يحيى، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب المعاصرة.

١٩ ـ القواعد الكلية لابن تيمية:

محيسن عبد الرحمن المحيسن (ماجستير) ١٤٠٧هـ، جامعة الإمام، المعهد العالي.

٢٠ ـ المسودة في أصول الفقه لآل تيمية:

تحقيق ودراسة أحمد إبراهيم الزورى (دكتواره) جامعة الإمام، الشريعة، أصول الفقه ١٤٠٥هـ.

٢١ ـ شرح العمدة في مناسك الحج والعمرة:

صالح محمد الحسن (دكتوراه) ١٤٠٥هـ، جامعة الإمام، الشريعة، الفقه.

٢٢ ـ موقف ابن تيمية من الأشاعرة:

عبد الرحمن صالح الحمود (دكتوراه) ١٤٠٩هـ، جامعة الإمام، أصول الدين، العقيدة والمذاهب.

٢٣ ـ موقف ابن تيمية من التصوف والمتصوفة:

أحمد محمود بناني (ماجستير) ١٣٩٨هـ، أم القرى، الشريعة، الدراسات العليا الشرعية.

٢٤ ـ موقف ابن تيمية من المعتزلة في مسائل العقيدة:

(ماجستير) ١٤٠٤هـ، قدرية عبد الحميد شهاب الدين، أم القرى، الشريعة، الدراسات الشرعية.

٢٥ ـ موقف ابن تيمية من مفهوم النبوة والولاية عند المتصوفة:

(ماجستير) ١٤٠٤هـ، باني أمباكي محمد أمبك، جامعة الملك سعود، التربية، الدراسات الإسلامية.

٢٦ ـ نماذج من الآراء التربوية لابن تيمية:

حسين صالح مؤمنه (ماجستير) ١٤٠٤هـ، أم القرى، التربية.

٢٧ ـ أصول الفقه وابن تيمية:

صالح عبد العزيز آل منصور (دكتوراه) ١٣٩٦هـ، جامعة الأزهر، الشريعة والقانون.

٢٨ ـ موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قضية الصفات الإلهية:

محمد يوسف هارون (ماجستير) ١٤٠٥هـ، الجامعة الإسلامية، العقيدة.

حادي عشر: مراجع ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

١ ـ أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية:
لابن القيم، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت الرابعة ١٤٠٣هـ.
٢ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية:
للبزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الثالثة ١٤٠٠هـ.
٣ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ:
للسخاوي، تحقيق: ف. روز نثال، دار الكتب العلمية عن بغداد ١٩٨٣م.
٤ ـ أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام:
محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الأولى ١٤٠٩هـ.
٥ ـ البداية والنهاية:
لابن كثير، تحقيق: أبو ملحم وجماعة آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.
٦ ـ تذكرة الحفاظ:
للذهبي، ط دار إحياء التراث العربي من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بالهند.
٧ ـ تقريظ ابن حجر على الرد الوافر:
لابن ناصر الدين، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الأولى ١٤٠٩هـ.
٨ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:

لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الثانية ١٣٨٥هـ.

٩ ـ دليل الرسائل الجامعية في الجامعة الإسلامية:

قسم الدراسات العليا ١٤٠٧هـ.

١٠ ـ دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأولى ١٤١٠هـ.

١١ ـ دليل الرسائل المسجلة في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر:

مذكرة بخط اليد.

١٢ ـ ذيل طبقات الحنابلة:

لابن رجب، دار المعرفة، بيروت عن دار السنة المحمدية بالقاهرة.

١٣ ـ الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام «كافر»:

لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الثالثة ١٤١١هـ.

١٤ ـ رسالة قصيرة في فضل شيخ الإسلام:

لعبد الله بن حامد الشافعي (معاصر للشيخ) تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب:

لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، الثانية ١٣٩٩هـ.

١٦ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية:

لمرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، الرسالة، بيروت، والفرقان، عمان، الأولى ١٤٠٤هـ.

١٧ ـ طبقات المفسرين:

للداودي، راجعها جماعة بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية:

لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٩ ـ قطعة من مكتوب الشيخ أحمد بن مري الحنبلي (أحد تلاميذ الشيخ)

تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٠ ـ الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية:

لمرعي بن يوسف الكرمي.

٢١ ـ المجددون في الإسلام:

لعبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية، القاهرة.

٢٢ ـ الوافي بالوفيات:

للصفدي، تحقيق: إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، نشر: دار فرانز شتايز ١٣٨٩هـ.

تمهيد

إعجاز القرآن: تعريفه ونشأته

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف إعجاز القرآن.

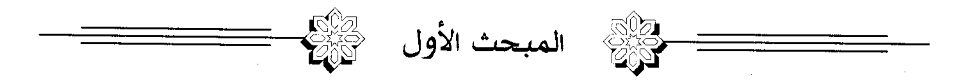
المبحث الثاني: نشأة علم إعجاز القرآن.

المبحث الثالث: المراحل التي مر بها التأليف وتطوره.

المبحث الرابع: أشهر مسائله ومباحثه.

المبحث الخامس: ثمرة هذا العلم.





تعريف إعجاز القرآن

الإعجاز في اللغة:

عجز: عجز الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز؛ أي: ضعيف.

ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[١]، فمعنى الإعجاز: الفوت، والسبق[٢].

فالمعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة.

والمعجز في الحقيقة هو فاعل العجز في غيره وهو الله ﷻ، كما أنه هو المقدر لأنه فاعل القدرة في غيره.

وزيدت الهاء فيها فقيل: «معجزة» للمبالغة في الخبر عن عجز المرسَل إليهم عن المعارضة، كما وقعت للمبالغة بالهاء في قولهم: علامة، ونسابة، ونحوها.

وإنما قيل: لآيات الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات لظهور عجز المرسل إليهم عن معارضتها بأمثالها.

القرآن: قال في العقيدة الواسطية: كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم به حقيقة، وألقاه إلى جبريل فنزل به على محمد ﷺ[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٢٣٢.

(٢) اللسان لابن منظور ٥/ ٣٧٠.

(٣) الواسطية: ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٤. وانظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٨٨.

قال الجرجاني: الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[١].

وهذا التعريف في نظري جيد لأنه أشمل من غيره.

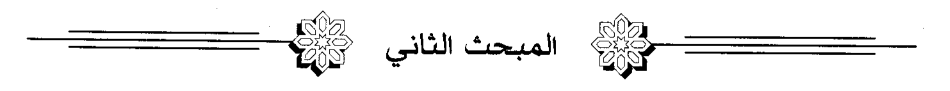
وقال أبو البقاء: إعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته[٢].

فإعجاز القرآن: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به[٣]، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله.

والإعجاز ليس مقصوداً لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق فيلزمهم اتباعه، وكذلك الشأن في سائر معجزات الأنبياء.



(١) التعريفات ص٣١.
(٢) الكليات ص١٤٩.
(٣) مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٢٧.



المبحث الثاني

نشأة علم إعجاز القرآن الكريم

دخلت الأفكار الفلسفية في أول عهد بني العباس[١] فتلقفها[٢] الذين يحبون كل وافد من الأفكار ويركنون[٣] إلى الاستغراب[٤] في أقوالهم؛ فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا القول بالصرفة ويطبقوه على القرآن الكريم، وإن كان لا ينطبق!!

فقال قائلهم: إن العرب كان في مقدورهم الإتيان بمثله لولا أن الله صرفهم عن ذلك بمنع وعجز أحدثهما فيهم[٥].

ولا يبعد أن يكون هذا القول منقولاً عن الفلسفة الهندية فلقد ذكر أبو الريحان البيروني[٦] ت٤٤٠هـ: «أن جمهور علماء البراهمة[٧] في الهند يعتقدون

(١) وانظر: الفلسفة في الإسلام للدكتور عرفان عبد المجيد ص٨٤ وما بعدها.

(٢) التلقف: تناول الشيء الذي يرمى به وتناوله بسرعة، سواء من الكلام أو الملموس باليد. انظر: اللسان ٩/ ٣٢٠.

(٣) ركن إلى الشيء: مال إليه واطمأن وسكن. انظر: اللسان ١٣/ ١٨٥.

(٤) الاستغراب طلب الغريب: وهو الغامض من الكلام. اللسان ١/ ٦٤٠.
والمعنى هنا: أن هؤلاء الفئة من الناس يميلون إلى الأقوال الغامضة والغريبة التي لا تدرك بسرعة لعدم وضوحها.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٦.

(٦) ترجمته: محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي فيلسوف رياضي مؤرخ، أقام في الهند بضع سنين واطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته وصنف كتباً كثيرة منها: «تاريخ الأمم الشرقية»، و«الجواهر في معرفة الجواهر»، وغيرها توفي سنة ٤٤٠هـ، وقيل ٤٣٠هـ. وانظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٣١٤.

(٧) البراهمة: هي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، تضم مبادئ روحية وخلقية إلى=

أن البشر يعجزون عن محاكاة (الفيدا)[١]، وهو كتاب يشتمل على مجموعة من الأشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، لأن براهما صرفهم عن الإتيان بمثلها»[٢].

ولما بدأ العرب في ترجمة الكتب في العصر العباسي الأول عن الفارسية والهندية واليونانية عرف الناس هذه الأفكار، فتلقف هذا القول المغرمون بكل وافد من الأفكار ومستغرب من الأقوال مهما كان شذوذه.

ثم راجت هذه الفكرة بين من أعجبوا بالفلسفة وعلم الكلام، وأول من ثبت أنه أظهر هذه المقولة بين الناس شيخ من شيوخ الكلام والاعتزال وهو إبراهيم بن سيار الشهير بالنظام[٣] المتوفى سنة ٢٢٤هـ.

فهو أول من جاهر بها وأعلنها ودعا إليها[٤] وجادل عنها كأنها مسألة من أهم مسائل علم الكلام.

= جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. وانظر: الملل والنحل ٢/ ٢٥٠، وذيلها ٢/ ٩، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٣١، والموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٩٠٦.

(١) الفيدا: كتاب مقدس عند الهندوسية (البرهمية) وهو عبارة عن أناشيد مقدسة تعبر عن ديانتهم وآلهتهم المختلفة والتفكر في كل منها بدوره وتنتهي كلها بالشك والارتياب، ويقال: إنه ربما يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة مضت قبل الميلاد ويتألف من أربعة أسفار. وانظر: ذيل الملل والنحل ضمن الجزء الثاني منه ص١٠، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥٣٢، والموسوعة العربية الميسرة ص١٣٤٣.

(٢) وانظر: كتاب أبي الريحان البيروني في «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» ص٩٦ ـ ١٠٢.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام البصري المتكلم شيخ المعتزلة صاحب تصانيف، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ وله نظم رائق، ومن تصانيفه: كتاب «الوعيد»، وكتاب «النبوة» وغيرها، مات سنة بضع وعشرين ومئتين.
وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١، وتاريخ بغداد ٦/ ٩٧ ـ ٩٨، والملل والنحل ١/ ٥٣ ـ ٥٩.

(٤) الملل والنحل ١/ ٥٦.

وكان النظام ذا فصاحة وبيان وحجة وبرهان كلامي وإن لم يكن مستقيم الفكر، بل إنه يظن الظن فيحسبه يقيناً ثم يبني عليه، بينما الأصل في ذاته يحتاج إلى تصحيح فخاف العلماء الناصحون التباس ذلك على العامة إما بالتقليد أو بمجرد العادة، وذلك لأن العامة لا رسوخ لهم في اللغة ولا سليقة[١] لهم في الفصاحة، لا سيما أهل الحاضرة الذين اختلطوا بالأمم الأخرى بعد الفتوح.

فمست الحاجة إلى بسط القول في فنون فصاحة القرآن ونظمه، وتآليف الكلام فيه، فصنف الجاحظ[٢] ت٢٥٥هـ كتابه «نظم القرآن»[٣] وهو أول كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز، فكان اللبنة الأولى في التأليف في هذا الفن.

والكتاب لم يصلنا إلى الآن وإنما ذكره وصرح به في كتبه وذكر أمثلة منه، كما صرح به غيره من علماء عصره فمن بعدهم.

وممن صنف فيه الواسطي[٤] ت٣٠٧هـ وضع كتاباً في إعجاز القرآن وبسط القول فيه[٥]، والرماني ت٣٨٤هـ[٦] ....

---

(١) السليقة: السجية والطبيعة في الكلام من غير تعد إعراب ولا تجنب لحن. اللسان ١٠/ ١٦١.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف أخذ عن النظام، وكان أحد الأذكياء كان ماجناً قليل الدين له نوادر، من كتبه: «فضائل الترك»، «الحجة والنبوة»، و«الحيوان» وغيرها، توفي سنة ٢٥٥هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٦، وتاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢ ـ ٢٢٠.

(٣) كما صرح بذلك الباقلاني في إعجاز القرآن ص٦، وذكره غيره ممن تكلم عن البلاغة القرآنية، بل صرح به في كتابه الحيوان ٣/ ٧٦ وغيره من رسائله.

(٤) محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي البغدادي المعتزلي (أبو عبد الله)، أصله من واسط سكن بغداد وتوفي بها، من كتبه: «إعجاز القرآن» و«الزمام في علوم القرآن» وغيرها، توفي سنة ٣٠٧هـ. لسان الميزان ٥/ ١٧٢ وسيأتي ص١٠٤.

(٥) وقد شرحه فيما بعد الإمام الجرجاني ت٤٧١هـ شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً كما صرح بذلك الرافعي في كتابه إعجاز القرآن ص١٥٢.

(٦) علي بن عيسى الرماني النحوي أبو الحسن أخذ عن الزجاج وابن دريد وغيرهم، وعنه أبو القاسم التنوخي والجوهري وغيرهما، وصنف في التفسير واللغة والكلام وغيرها=

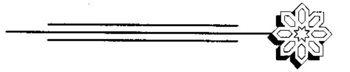
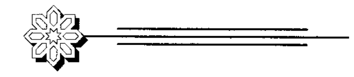
والخطابي ت٣٨٨هـ[1]، والباقلاني ت٤٠٣هـ[2]، ثم تتابع التأليف في هذا الفن مفرداً عن غيره من علوم البلاغة أو غيرها، وأحياناً مقروناً بسائر علوم القرآن الكريم.



= وكان فيه تشيع واعتزال مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ببغداد. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٣، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٦.

(١) تأتي ترجمته ص١٠٤ وص١١٧.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر البصري ثم البغدادي صاحب التصانيف ذو فهم وذكاء وكان ثقة بارعاً أشعري العقيدة ومن مصنفاته «إعجاز القرآن»، مات في سنة ثلاث وأربعمائة. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠، وتاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩، وستأتي ترجمته أول الباب الرابع ص٣٤٦.


المبحث الثالث


المراحل التي مرّ بها التأليف وتطوره

نزل القرآن معجزاً ومتحدياً لكل من لم يؤمن به ويصدقه، ولم يكن أحد من الأمم يخالف في ذلك ولا ينكره فكان الناس مجمعين على القول بإعجازه، واستمر ذلك في سائر العرب، فهو على علم به من أوائلهم وسلفهم الذين أعجزهم القرآن.

ثم لما تسرب اللحن[1] اللغوي إلى اللغة العربية فخاف العلماء أن يقترب الخطر من نصوص الشريعة كتبوا كتباً في علم النحو واللغة وغيرها مما رأوا أنه ضروري للمحافظة على سلامة الذوق العربي ليظل القرآن الكريم مفهوماً وذا لغة واضحة، ولعل من أهم من ألف في ذلك: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء[2] ت٢٠٧هـ في كتابه معاني القرآن[3] وغيره، وأبو عبيدة معمر بن المثنى[4]

---

(١) اللحن: ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك، وقال بعضهم: اللحن الخطأ. انظر: اللسان ١٣/ ٣٧٩.

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الكوفي النحوي صاحب التصانيف علامة ثقة، روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وأبي الأحوص، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن حمزة الكسائي النحوي، وروى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما، قال فيه ثعلب: لولا الفراء ما كانت عربية ولسقطت لأنه خلصها ممن كان يدعيها من غير أهلها، له مؤلفات قدرت بثلاثة آلاف ورقة، توفي ٢٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١٨ ـ ١٢١، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٤٦، تهذيب التهذيب ١١/ ٢١٢.

(٣) والكتاب مطبوع.

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي صاحب التصانيف علامة متوسع في علم اللسان وأيام الناس، حدث عن هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن=

ت٢١٠هـ في كتابه مجاز القرآن[١]، فهما أول من وضع اللبنات الأولى لصرح البلاغة العربية التي صارت فيما بعد هي القاعدة والأساس للكلام عن إعجاز القرآن ولا سيما في النظم والبلاغة اللغوية..

تبع ذلك الكتابة عن إعجاز القرآن كبحث مستقل في ثنايا الكتب التي كتبت في القرآن وعلومه أو عن اللغة العربية وبلاغتها وفنونها...

ولعل من أهم من تكلم عنه من النوع الأول ابن قتيبة[٢] فإنه لما ألف كتابه تأويل مشكل القرآن[٣] صدره ببيان وجه الإعجاز القرآني، إضافة إلى بيانه لكثير من وجوه البلاغة في القرآن، فهو ممن تكلم عن الإعجاز لكنه لم يفرده بكتاب مستقل[٤].

ومن النوع الثاني ابن المعتز[٥]، فإنه لما ألف كتابه «البديع»[٦] كان من

= العلاء وغيرهم، وروى عنه علي بن المديني وأبو عبيدة القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني وغيرهم، له من التصانيف الكثير منها: مجاز القرآن، وغريب الحديث.. مات سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥ـ٤٤٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٢، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٦.

(١) والكتاب مطبوع.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب صاحب تصانيف نزل بغداد وصنف وجمع وبعد صيته، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، ومحمد بن زياد وغيرهم، وحدث عنه ابنه أحمد، وعبيد الله السكري، وعبد الله بن جعفر بن دستوريه النحوي وغيرهم.
كان ثقة ديناً فاضلاً ذا علم جم وفنون متنوعة، من تصانيفه: غريب القرآن، مشكل القرآن، الرد على من يقول بخلق القرآن، إعراب القرآن، القراءات... وغيرها كثير، مات سنة ٢٧٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦ ـ ٣٠٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ـ ١٧١، شذرات الذهب ٢/١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) الكتاب مطبوع.

(٤) بل إن سبب تأليفه للكتاب هو طعن قوم ممن لا علم لهم في كتاب الله، فقضوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف، فخاف ﷺ أن يغتر بكلامهم الضعفة والغلمان فأحب أن يجلي الوهم ويدفع المشكل ببعض الأمثلة من إعجاز القرآن وبيانه. وانظر: تأويل مشكل القرآن ص٢٢ ـ ٢٣.

(٥) هو أبو الحسن عبد الله بن المعتز بن منصور بن عبد الله بن حمزة النيسابوري، سمع من أبي الفضل ابن خزيمة، وأبي الفضل الغامي، وأبي بكر الجوزقي، وعنه أبو علي الحداد، وإسحاق الراشيناني وغيرهما، توفي سنة ٤٤٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٢.

(٦) والكتاب مطبوع.

أهم أهداف تأليفه له الدفاع عن إعجاز القرآن؛ لأن القرآن نزل متحدياً للعرب الذين يستدل بكلامهم وأشعارهم، ويتعجب منها، ففي القرآن والسنة ما هو أولى وأقوى مما يستدل به البعض.

ويجب أن يعترف الجميع أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة.

ثم إنه بيان لبعض الفساد الذي دخل اللغة مما يهدد سلامة فهم القرآن وبيان إعجازه.

ولعل مما قارن المرحلة السابقة مرحلة التأليف المستقل في إعجاز القرآن، فحسب ما وصل إليه علمنا حسب كلام العلماء الذين أرّخوا الكتابة في هذا الفن، أن أول من ألف فيه هو الجاحظ[١] المتوفى سنة ٢٥٥هـ فإنه ذكر أن له كتاباً جمع فيه آيات من القرآن الكريم ليعرف بيانها[٢]، بل مقامها من البيان وقد صرح به كل من الباقلاني والزمخشري[٣]، وكان سبب كتابته تلك هي القول بالصرفة الذي أظهره النظام.

وله كتابات في الإعجاز متفرقة في بعض كتبه الأخرى كالحيوان[٤]، وحجج النبوة[٥]... وغيرها.

ولقد انتقده الباقلاني بأنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم

(١) تقدمت ترجمته ص٩٩.

(٢) وذكر أنه في نظم القرآن، بل صرح بعض العلماء بأن اسمه نظم القرآن.

(٣) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي كبير المعتزلة، سمع ببغداد، وروى عنه إسماعيل الخوارزمي، وأبو سعد أحمد بن محمود الشاشي وغيرهما، وزمخشر قرية من عمل خوارزم ولد بها سنة٤٦٧هـ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان وله نظم وتصانيف منها: الكشاف في التفسير، المفصل في النحو، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، وربيع الأبرار. قال الذهبي: وكان داعية إلى الاعتزال، مات سنة ٥٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١ ـ ١٥٦، والمستفاد من تاريخ بغداد ٢٢٨ ـ ٢٢٩، وشذرات الذهب ٤/ ١١٨ ـ ١٢١.

(٤) وهو مطبوع.

(٥) مطبوع ضمن رسائل الجاحظ جمع وتحقيق عبد السلام هارون.

يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى[(١)]؛ أي: الإعجاز.

وكأن الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ نسي أن الجاحظ وضع كتابه قبل اكتمال جمع وتدوين علوم البلاغة، وأنه لم يسبق إلى هذا التأليف، فكان هو اللبنة الأولى.

ثم إن الباقلاني أيضاً لم يزد كثيراً عما أتى به من كان قبله فالبناء لا يتكامل إلا بالترابط وعمل اللاحق على إكمال السابق وهذا عام في شأن الحياة كلها وليس مجرد التأليف.

ومع أن كتاب الجاحظ هذا مفقود، فلم يوجد حتى الآن؛ إلا أنه جاء بعده أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي[(٢)] فوضع كتابه في شرح إعجاز القرآن وبسط القول فيه، ولم أجد من ذكر مكان وجوده أيضاً.

ثم جاء بعد ذلك أبو عيسى الرماني[(٣)] ت٣٨٤هـ فوضع كتابه في إعجاز القرآن الكريم[(٤)] فارتفع البناء وقامت أركانه، حتى جاء الخطابي[(٥)] ت٣٨٨هـ فألف رسالته: بيان إعجاز القرآن[(٦)].

ثم تبعهم الباقلاني[(٧)] ت٤٠٣هـ فوضع كتابه «إعجاز القرآن»[(٨)] الذي أجمع عامة المتأخرين على أنه وحيد في بابه.

---

(١) وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني ص٦.

(٢) محمد بن زيد الواسطي أحد المتكلمين على مذهب المعتزلة، أخذ عن أبي علي الجبائي، وكان حنفي المذهب بغدادياً، صنف: «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه» و«كتاب الإمامة»، مات سنة: ٣٠٧ هـ. وانظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٤٨، ولسان الميزان لابن حجر ٥/ ١٧٢، والوافي بالوفيات للصفدي ٣/ ٨٢، وقد سبقت بعض ترجمته ص٩٩.

(٣) سبقت ترجمته ص٩٩، ١٠٢.

(٤) وهو عبارة عن رسالة اسمها: «النكت في إعجاز القرآن» مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق د. محمد زغلول سلام.

(٥) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي أبو سليمان وستأتي ترجمته ص١١٧.

(٦) وهي مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٧) ترجمته ص١٠٠ و٣٤٦.

(٨) طبع عدة طبعات والأخيرة بتحقيق السيد: أحمد صقر، وهي أفضلها.

ثم تتابع التأليف وكثر في كل من الإعجاز على انفراد، والبلاغة، وعلوم القرآن، والحديث عن الإعجاز من خلالهما؛ فكل واحد من هذه العلوم ملازم للآخر ومكمل له.

وممن ألف في إعجاز القرآن الكريم بعد من ذكرنا:

• الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري[١] ت٤١٣هـ، له: «الكلام في وجوه الإعجاز».

• والجرجاني[٢] ت٤٧١هـ، له رسالتان: «دلائل الإعجاز»[٣]، و«الرسالة الشافية»[٤].

• ومحمد بن أبي القاسم الخوارزمي البقال[٥] ٥٦٢هـ، له: «التنبيه على إعجاز القرآن».

• ومحمد بن عمر فخر الدين الرازي[٦] ٦٠٦هـ، له: «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»[٧].

• وعبد الواحد بن عبد الكريم كمال الدين أبو المكارم الزملكاني[٨] ت٦٥١هـ، له: «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»[٩]، و«التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»[١٠].

---

(١) وانظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٤٤.

(٢) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. وانظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٢.

(٣) وهو مطبوع.

(٤) وهي مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٥) وانظر: ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي ٤٠، والإعلام للزركلي ٦/ ٣٣٥، ومعجم المؤلفين ١١/ ١٣٧.

(٦) هو: محمد بن عمر فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير. وانظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢١.

(٧) مطبوع.

(٨) وانظر: ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٥٤.

(٩) و(١٠) وهما مطبوعان بتحقيق أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد.

• وعبد العظيم بن عبد الواحد زكي الدين ابن الأصبغ[1] ت٦٥٤هـ، له: «البرهان في إعجاز القرآن»[2]، و «تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن»، و «بديع القرآن»[3].

• ومحمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي[4] ت٦٧٣هـ، له: «إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن»[5].

• وعلي بن أحمد بن علي الآمدي الحنبلي[6] ت٧١٠هـ، له: «تبصير الرحمن وتيسير المنان في بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن».

• وعماد الدين يحيى بن حمزة العلوي المؤيد[7] ت٧٤٥هـ، له: «الطراز في علوم حقائق الإعجاز»[8].

• وأبو الحسن علي بن أحمد الكوكني المخدوم المهائمي[9] ت٨٣٥هـ، له: «تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن»[10].

• والسيوطي[11] ت٩١١هـ، له: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»[12].

• ومحمد بن عبد المطلب بن واصل أبي الخير[13] ت١٣٥٠هـ، له: «إعجاز القرآن».

وهذا فيض من غيض يصعب حصره في دراسة موجزة كهذه والله أعلم.

---

(١) وانظر: ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥.
(٢) وهو مطبوع بتحقيق حفني شرف. (٣) وهو مطبوع بتحقيق حفني شرف.
(٤) مفتاح السعادة ١/ ٤٥١، والأعلام للزركلي ٦/ ٣٠.
(٥) مطبوع بتحقيق عبد القادر أحمد عطا.
(٦) وانظر: ترجمته في الدرر الكامنة ٣/ ٢١، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٧.
(٧) وانظر: ترجمته في البدر الطالع ٢/ ٣٣١، والأعلام للزركلي ٨/ ١٤٣.
(٨) وهو مطبوع.
(٩) وانظر: ترجمته في نزهة الخواطر ٣/ ١٠٥، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٧.
(١٠) مطبوع.
(١١) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وانظر: شذرات الذهب ٨/ ٥١.
(١٢) طبع بتحقيق علي محمد البجاوي، وأخرى بتحقيق أحمد شمس الدين.
(١٣) وانظر ترجمته في: المنتخب من أدب العرب ١/ ٩٨، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٤٧.



المبحث الرابع

أشهر مسائله ومباحثه

إن الناظر إلى ما كتب حول إعجاز القرآن الكريم يجد أن هناك مسائل اتفق الناس على طرحها ومناقشتها وأخرى اختلفوا في إيرادها وعدمه.

فمما اتفقوا على إيراده مسائل تعتبر هي أشهر مسائل ومباحث هذه المادة العلمية ومنها:

١ ـ وجه الإعجاز:

ويريدون به الوجه والجزء الذي يتحقق به الإعجاز هل هو اللفظ فقط، أم المعنى فقط، أم جزء من أحدهما، أو مجموع ذلك، واختلفوا في ذلك إلى أقوال عديدة، ولعل لهم العذر في ذلك، فكل واحد رجح شيئاً منها على غيره إنما هو لأجل تأمله[(١)] وتدبره[(٢)] وتعقله[(٣)] به أكثر من غيره، وغيره كذلك، فكل من أمعن النظر[(٤)] في واحد من هذه الأوجه المذكورة وتأمله رأى أن فيه العجب العجاب مما لا قبل للعرب والعجم به مع سهولته ويسره فهو ليس محالاً[(٥)] عليهم، ولكنهم مهما عملوا فلا يصلون إلى درجته ومنتهاه مهما اجتمعوا أو حاولوا ذلك.

---

(١) تأمل: تثبت، وتأملت الشيء؛ أي: نظرت إليه مستثبتاً له. اللسان ١١/ ٢٧.

(٢) التدبر: التفكر والنظر إلى ما يؤول إليه الأمر. وانظر: اللسان ٤/ ٢٧٣.

(٣) تعلق بكذا: أي: نشب فيه وتمسك به. انظر: اللسان ١٠/ ٦١.

(٤) أمعن النظر: أمعن الفرس، تباعد عادياً فأمعن النظر بكذا؛ أي: بالغ وجد في النظر بكذا. وانظر: اللسان ١٣/ ٤٠٩.

(٥) سيأتي تعريف المحال ص٢٤٧.

ولا يمكن أن نقول أن العلماء القائلين بوجه منها ينكرون الوجوه الأخرى أو يبطلونها[١]، بل إن المتأمل لكلامهم لا يرى غير ما ذكرت وإلى ذلك أشار شيخ الإسلام بقوله «بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»[٢].

٢ ـ ومنها القول بالصرفة:

وهو أن التحدي وقع للعرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن مع سلب قدرتهم عن ذلك بأن صرفهم[٣] الله عما هو في مقدورهم، وهذا للعلماء فيه قولان مشهوران:

فجمهور العلماء: يرون بطلان هذا القول من أصله وأنه لا يمكن أن ينزل على أسلوب القرآن الكريم، إذ لا فائدة من التحدي مع وقوع الصرف عنه، ولا فائدة منه في بيان عظمة بلاغة وفصاحة هذا القرآن.

وهؤلاء يشنعون على من يقول بها، ويردون عليهم كما هو واقع في كثير من الكتب التي كتبت حول إعجاز القرآن وبيان لغته وبلاغتها وفصاحتها في الأسلوب والتراكيب.

هذا رأي جمهور العلماء، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ومن العلماء والطوائف من يؤيد القول بالصرفة وينصره، ويرى أنه هو حقيقة الإعجاز، لأن القرآن إنما نزل بأساليب العرب وعلى أوجه خطابهم، فلا معنى لترك العرب المعارضة مع قيام الدواعي الكثيرة لذلك إلا صرف الله لهم عن تلك المعارضة، كما صرف الله اليهود عن تمني الموت ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ وهذا رأي النظام[٤]، وابن حزم[٥] ....

(١) كما قد يفهمه بعض المتسرعين من ذكرهم لوجه دون الآخر وذلك لا يلزمهم.

(٢) كما في الجواب الصحيح ٤/ ٧٥، والمحققة ٣/ ٤٩٦.

(٣) الصرف: رد الشيء عن وجهه. اللسان ٩/ ١٨٩.

(٤) ترجمته ص٩٨ و٣٦٨.

(٥) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف، =

والشريف المرتضى[١] من الشيعة.

٣ ـ ومنها القدر المعجز من القرآن:

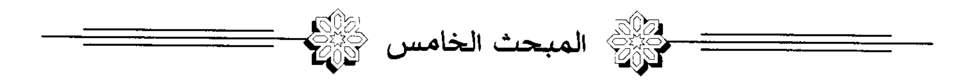
وعلى أي شيء من القرآن يقع التحدي وطلب المعارضة؟ هل كل ما يسمى قرآناً يعتبر معجزاً؟ أم كل جزء تبين به التراكيب والألفاظ كالسورة القصيرة، وما كان بقدرها من الآيات أم هو ما طال فقط، فجمع أنواع البيان وأشكال البديع، وتعددت أساليبه؟ أم التحدي إنما وقع بالمجموع لا بالأجزاء[٢]؟.

ولعل الأول والثاني لهما أكبر قدر من الأدلة، والاستدلال لهما من النصوص أوضح من غيره بلا شك، وهذا يرجعنا إلى قضية تعدد أوجه الإعجاز، فلو كان وجهاً واحداً لما توفر ووجد في الجزء اليسير كالسورة القصيرة ـ وهي التي نصت عليها الآية ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] والسورة تطلق على القصيرة والطويلة سواء. ولا مخصص لأحدهما دون الأخرى ـ ولكن لا بد أن يوجد في اليسير من القرآن شيء من الأوجه وإن لم تكن كلها، وهذا يتضح للمتأمل في القرآن الكريم كله، إذ أن تعدد أساليبه وتنوع خطاباته وتباين تراكيبه حسب الأحوال والمعاني تجعل كل جزء من القرآن مختص ومتميز بشيء من تلك الأوجه، والله أعلم بالصواب. وسيأتي مزيد لذلك في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

= فارسي الأصل، أندلسي قرطبي صاحب التصانيف، ولد بقرطبة وسمع من طائفة من العلماء منهم قاسم بن أصبغ وابن عبد البر وغيرهما، حدث عنه ابنه أبو رافع، والحميدي، ووالد القاضي أبي بكر ابن العربي وطائفة، نشأ في نعيم وهو ظاهري المذهب، صاحب علوم جمة ودين وخير لكنه لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب فكان جزاؤه من جنس فعله، فأعرض عن تصانيفه جماعة من العلماء، توفي سنة ٤٥٦هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤ ـ ٢١٢، وشذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(١) هو أبو طالب علي بن حسين بن موسى، الحسيني البغدادي من ولد موسى الكاظم وهو جامع كتاب نهج البلاغة، وقيل: بل جمعه أخوه الشريف الرضي، وللمرتضى ديوان كبير وتواليف كثيرة، وكان من الأذكياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر، لكنه إمامي جلد، توفي سنة ٤٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٦، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠٢.

(٢) سيأتي مزيد بيان للأقوال في القدر المعجز في الباب الرابع ص٣٥٥ وما بعدها.



المبحث الخامس

ثمرة دراسة إعجاز القرآن

إن الحديث عن إعجاز القرآن الكريم يرمي إلى أمور لعل أهمها:

١ ـ تقرير الكشف عن إعجاز القرآن وأنه قد تحقق، ولا زال يتحقق عبر العصور والأزمان وهذا أمر مفروغ منه واقع موقع اليقين والإيمان عند المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ومن شذ فخالف فلا تعتبر مخالفته[1].

٢ ـ إقامة صلة وثيقة بين قلب المسلم وكتاب الله ﷻ الذي يؤمن به ويؤمن بأنه كلام الله حقيقة المنزل على رسوله الكريم ﷺ.

أي نريد أن يقوم إيمان المؤمن بكتاب الله على معرفة به وفهم له، وإحساس صادق بما تحمل آياته وكلماته من معاني الحق والخير، ومن أسرار قدرة الله ﷻ وحكمته وعلمه...

كما يتكشف ذلك كله من آيات القرآن الكريم في شتى أنواع دلالاتها اللغوية والعقلية العلمية الصحيحة.

٣ ـ من شأن إدراك إعجاز القرآن ومعرفة إعجازه في كلماته ومدلولاتها، من شأنه أن يقيم في نفوس المسلمين حياة متجددة خاصة عند أولئك الذين يحسنون تدبر المعاني وإدراك أسرار الإعجاز القرآني بشتى أنواعه اللغوية والروحية والمعنوية.

---

(١) وهذا كما نص عليه الإمام الباقلاني ص٨ ـ ٩، وقبله الإمام الطبري في مقدمة تفسيره ١/ ٤ (شاكر)، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الجواب الصحيح ٤/ ٧٧.

٤ ـ إدراك أن المعجزة القرآنية لم تكن موقوتة بوقت الدعوة فقط، وإنما هي قائمة ما دامت الحياة وما عاشت الأجيال.

فالتحدي والإعجاز قائمان في كل زمان ومكان.

٥ ـ إدراك صدق النبي ﷺ وإلزام المعاند بذلك كما فعل شيخ الإسلام في الجواب الصحيح حيث ألزم النصارى إثبات صدق النبي ﷺ بطريق إثبات إعجاز القرآن.

٦ ـ يلزم من ذلك أيضاً صحة هذا الدين وثبوت كونه من عند الله وهذا واضح جلي لمن تأمل في أسرار هذا الكتاب الكريم.

٧ ـ حصوله هداية الخلق وقيام الحجة على الجميع والمعذرة إلى الله، ولهذا جعله الله حجة على الناس إلى يوم الدين ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

إذا تقرر هذا كان لزاماً على كل مسلم أن يقف بين يدي القرآن وقوف من دعاه داعي الحق ليشهد معجزات الله تتنزل عليه من كلمات الله وآياته.







الباب الأول

إعجاز القرآن الشمولي وكلام شيخ الإسلام فيه

فيه فصلان:

الفصل الأول: شمولية القرآن وهيمنته.

الفصل الثاني: أوجه الإعجاز التي تكلم عليها شيخ الإسلام.



الفصل الأول

شمولية القرآن الكريم وهيمنته

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أنه جمع علم الكتب السابقة عليه.

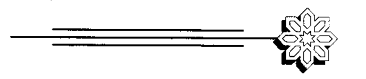
المبحث الثاني: أن فيه تفصيل كل شيء.

المبحث الثالث: شدة حاجة البشر إلى القرآن.

المبحث الرابع: أن القرآن آية صدق النبي ﷺ.

المبحث الخامس: إظهار معجزات الأنبياء في القرآن.

المبحث السادس: التدرج في التحدي.

 المبحث الأول 

أنه جمع علم الكتب السابقة عليه

لا شك أن الله ﷻ ـ وهو أحكم الحاكمين ـ عندما أنزل هذا القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ إلى يوم القيامة، قد جعل هذا القرآن شاملاً لكل ما تحتاجه الأمة[١] إلى قيام الساعة حتى صار في شموليته معجزاً إذ لم يسبقه بها كتاب آخر قبله، وإنما كانت الكتب موقوتة بوقت دعوة رسلها[٢].

ولقد بين شيخ الإسلام رحمه الله دلالة القرآن على أنه جامع للكتب قبله ببيان لم يوضحه أحد من قبله كما وضحه[٣] هو رحمه الله، فقال عند كلامه عن معنى ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٤]:

---

(١) المراد بالأمة هنا أمة الدعوة كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٢]، أما أمة الإجابة فلهم خواص ليست لغيرهم من كونه هدىً ورحمة وبشرى لهم، كما سيأتي في مبحث الفرق بين أتباع القرآن والمعرضين عنه ص٢٩١ ـ ٢٩٦.

(٢) بدليل حديث جابر في البخاري مرفوعاً «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»، فتح الباري ١/ ٤٣٥ حديث ٣٣٥ كتاب التيمم باب ١، وأيضاً كتاب الصلاة ١/ ٥٣٣ باب جعلت لي الأرض.

(٣) هناك من يذكر من العلماء إعجاز القرآن بشموليته لكنني لم أجد من فصل واستدل كاستدلال الشيخ ابن تيمية رحمه الله، والله أعلم. وممن تكلم عن شمولية القرآن السيوطي في معترك الأقران ١/ ١٢.

(٤) جزء من الآية رقم ٤٨ من سورة المائدة وهي:
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾.

«فالسلف[١] كلهم متفقون[٢] على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة، ومن أسماء الله «المهيمن»[٣]، ويسمى الحاكم على الناس القائم بأمورهم «المهيمن».

قال المبرد[٤] والجوهري[٥] وغيرهما: المهيمن في اللغة: المؤتمن[٦].

وقال الخليل[٧]: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي[٨]: المهيمن:

---

(١) السلف: لغة الجماعة المتقدمون، واصطلاحاً اسم لكل من يتقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره وهذا عام وقد، حدد ابن تيمية مفهوم السلف بما يفيد أنهم الصحابة والتابعون وتابعوهم المعنيون بحديث: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» متفق عليه. اللسان ٩/ ١٥٨، مجموع الفتاوى ٤/ ١٥٢ ـ ١٥٥، وكشاف اصطلاحات الفنون ٤/ ١٥.

(٢) ذكر الشيخ نفسه بعض أقوالهم نقلاً عن تفسير ابن أبي حاتم. انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم ص١٤٢ من تفسير سورة المائدة دراسة وتحقيق عيادة بن أيوب الكبيسي، وتفسير الطبري ١٠/ ٣٧٧ وما بعدها.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

(٤) هو: محمد بن يزيد المبرد «أبو العباس» البصري النحوي الإخباري صاحب «الكامل» كان إماماً علامة فصيحاً موثقاً صاحب نوادر وطرائف، كان آية في النحو، ت في أول سنة ٢٨٦هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٧٦.

(٥) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري إمام اللغة مصنف الصحاح، يضرب به المثل في ضبط اللغة، يحب الأسفار والتغرب طاف البلاد لتطلب اللسان العربي، ثم أقام بنيسابور يصنف ويعلم وينسخ المصاحف، توفي سنة ٣٩٣هـ وقيل في حدود ٤٠٠هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٨٠، وإنباه الرواة ١/ ١٩٦.

(٦) الكلمة في الصحاح ٥/ ٢٠٧١ ونقلها النحاس عن المبرد في كتاب معاني القرآن ٢/ ٣١٨، ونقلها أيضاً عن أبي عبيد وبحثت عنها في كتبه المطبوعة فلم أجدها.

(٧) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، الإمام صاحب العربية ومنشئ العروض، أخذ عن سيبويه والأصمعي وغيرهما، وكان رأساً في لسان العرب ديناً ورعاً متواضعاً وكان مفرط الذكاء، وثقه ابن حبان وله كتاب العين في اللغة مات سنة بضع وستين ومائة وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. وانظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٩.

(٨) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي أبو سليمان الإمام العلامة الحافظ اللغوي صاحب التصانيف، حدث عنه الحاكم وأبو حامد الإسفراييني وغيرهما=

الشهيد[(١)]. اهـ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية[(٢)] التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات[(٣)] بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة: فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه منها، فهو شاهد في الخبريات[(٤)] حاكم في الأمريات[(٥)]، وكذلك معنى الشهادة والحكم: يتضمن إثبات ما أثبته الله من صدق ومحكم، وإبطال ما أبطله من كذب ومنسوخ، وليس

= رحل في طلب الحديث وقراءة العلوم، ثم ألف في فنون العلم، منها شرح السنن، وغريب الحديث، والعزلة، وبيان إعجاز القرآن، وغيرها وله شعر هو سحر، توفي ببست في ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣.

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٣، ومقولة الخطابي في زاد المسير ٢/ ٣٧١.

(٢) الشرائع الكلية هي: الأصول المشتركة لجميع الأديان كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(٣) جمع نبوة والنبي: هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، أما إذا كان يُعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول. وانظر: النبوات لابن تيمية ص٢٤٥، ومجموع الفتاوى ١٨/ ٧.

(٤) أي: مصدق لأخبار من قبله من الأنبياء والأمم، أو مبين لافتراء من بعدهم لها.

(٥) أي: مبين لما نسخ منها، وما لم ينسخ، ومبين درجاتها من حيث الحرمة والكراهة، وهكذا.

الإنجيل[١] مع التوراة[٢] ولا الزبور[٣] بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً، نسخه الله بالإنجيل بخلاف القرآن»[٤]. اهـ.

وقال كَغْلَلهُ بعد ذلك: «ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين[٥]، والعلوم الإلهية[٦]، وأمور المعاد[٧]، والنبوات[٨]، والأخلاق والسياسات[٩]، والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها، لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، ومن أهل الرأي كالمتفلسفة[١٠] وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن.

---

(١) الإنجيل: لفظ عبراني ومعناه المستخرج إما من اللوح وإما من التوراة وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى ﷺ، ويطلق اليوم على الأناجيل الأربعة وغيرها التي كتبت بعد وفاة عيسى ﷺ بزمن وأغلبها قصص. وانظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام لصابر طعيمه ص٢٣٥، والبحر المحيط ٢/ ٣٧١.

(٢) التوراة: لفظ عبراني معناه: التعليم والشريعة، وهو الكتاب الذي أنزل الله على موسى ﷺ ـ ويطلق تجوزاً ـ على مجموع كتب العهد القديم والكتب الملحقة بها وهي ٣٩ سفراً. وانظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام لصابر طعيمة ص١١ ـ ١٤، والبحر المحيط ٢/ ٣٧٠.

(٣) الزبور: من زبر؛ أي: كتب فهو مزبور؛ أي: مكتوب، وهو اسم للكتاب الذي أنزله الله على داود ﷺ. اللسان ٤/ ٣١٥.
قالوا: لم يكن فيه أحكام، بل كله مواعظ وحكم وتقديس وثناء على الله. انظر: البحر المحيط ٣/ ٣٩٧، ومعجم مفردات القرآن للأصبهاني ص٢١٥، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٤.

(٥) أصل الشيء: أسفله وقاعدته وجمعه أصول. انظر: لسان العرب ١١/ ١٦. وقال الجرجاني: الأصل في اللغة عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره. التعريفات ٢٨.

(٦) هي أصول الدين فالعطف بياني.

(٧) المعاد: المصير والمرجع وكل شيء إليه المصير. انظر: اللسان ٣/ ٣١٧.

(٨) النبوات: سبق بيانها ص١١٨.

(٩) السياسات: جمع سياسة وهي القيام على الشيء بما يصلحه وتولي أموره كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية. النظر اللسان ٦/ ١٠٨.

(١٠) المتفلسفة هم أصحاب الفلسفة وهي: دراسة المبادئ الأولى للوجود والفكر بمنطق=

ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر، فضلاً عن أن يحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره»[(١)] .اهـ.

ولم يكتفِ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا القدر من الاستدلال وإنما استدل أيضاً بحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي حديث أبي ذر الطويل: قلت يا رسول الله: كم كتاباً أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، ثلاثين صحيفة على شيث[(٢)]، وخمسين على إدريس[(٣)]، وعشر على إبراهيم، وعشر على موسى قبل التوراة، وأنزل التوراة والإنجيل، والزبور[(٤)]، والفرقان[(٥)]».. وقال في الحديث: فهل عندنا شيء مما في صحف إبراهيم؟[(٦)] فقال: نعم، وقرأ قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٩][(٧)(٨)] .اهـ.

= العقل لا بمنطق العلم أو الإيمان أو المسلمات مهما كان مصدرها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ٢/ ١٣١٠.

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥.

(٢) معنى شيث: هبة الله وهو ابن آدم وحواء سمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد قتل هابيل، وهو وصي أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ. ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٩١.

(٣) نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧]، وهو أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث، قيل: إنه أول من خط بالقلم، وهو من أهل السماء الرابعة، واختلف في زمنه هل كان قبل نوح أو بعده. والله أعلم. ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٩٢.

(٤) سبق تعريفها ص١١٩.

(٥) الفرقان: أي: القرآن وسيأتي في أول الفصل الثاني إن شاء الله تعالى ص١٦٢.

(٦) صحف: جمع صحيفة: وهي التي يكتب فيها قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾؛ أي: الكتب المنزلة عليهما. اللسان ٩/ ١٨٦.

(٧) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٩٨.

(٨) الحديث: أخرجه ابن حبان في صحيحه. انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩، والآجري: انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٢، وابن مردويه: انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢٢، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٦٤٨، وفي مكارم الأخلاق للطبراني ص٣١٢، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٦٧، (كما ذكره الألباني) والبيهقي في=

وقال في موضع آخر عند كلامه عن الفاتحة:

«روى أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في القرآن ومعاني القرآن في المفصل[١]، ومعاني المفصل في أم الكتاب..»[٢][٣]. اهـ.

ومع هذا كله فإنه رَحِمَهُ اللهُ لم ينسَ أن يسجل شهادة غير المسلمين بذلك،

= الأسماء والصفات ٥١١، والقضاعي في مسند الشهاب ١/٣٧٨، وأبو نعيم في الحلية ١/١٦٦.

وذكره ابن حجر في الفتح ١٣/٤١١، وفي غيره من المواضع.

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٣٤١، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر، وأورده الثعالبي في التفسير عن الآجري إلى أربعينه المسندة وهو تمامها، ثم ذكره بإسناد أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. انظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤/٤٠٥.

وقد ذكر الحديث ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ وذكر طرقه وشواهده وأشار إلى ضعفه لضعف إبراهيم بن هشام، قال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم».

وانظر: ترجمة إبراهيم بن هشام: لسان الميزان ١/١٢٢ ـ ١٢٣، والجرح والتعديل ٢/١٤٣، والميزان ١/٧٣

(١) المفصل: ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً، واختلف في أوله وأرجح الأقوال أنه سورة ق. تفسير ابن كثير ٧/١٧٠، والبرهان للزركشي ١/٤٤٤، والإتقان للسيوطي ١/١٨٠، وفتح الباري ٢/٢٤٩.

(٢) الحديث: رواه البيهقي عن الحسن ولفظه: «أنزل الله ﷻ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل..» انظر: شعب الإيمان ٢/٤٥٠ ـ ٤٥١.

وقد روى حديث مرفوع عن واثلة بن الأسقع قال: قال النبي ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»، قال الألباني: إسناده حسن.

ثم ذكر شواهده، ثم قال: قلت: فالحديث بمجموع طرقه صحيح. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٤٨٠، ٣/٤٦٩، وانظر: تفسير الطبري ١/١٠٠ ـ ١٠١، الآثار ١٢٧ ـ ١٢٩، ومجمع الزوائد ٧/١٥٨، ومسند الإمام أحمد ٤/١٠٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٤٥٥ ـ ٤٥٦.

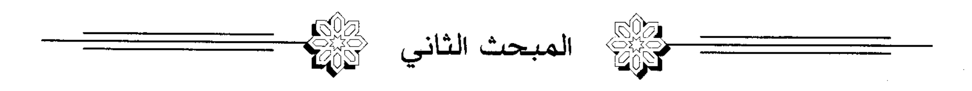
فقال: «كما أن الله بين في كتابه مخاطبة أهل الكتاب وإقامة الحجة عليهم بما بينه من أعلام رسالة محمد ﷺ وبما في كتبهم من ذلك، وما حرفوه وبدلوه من دينهم، وصدق بما جاء به الرسل قبله، حتى إذا سمع ذلك الكتابي[١] العالم المنصف وجد ذلك كله من أبين الحجة وأقوم البرهان»[٢][٣].اهـ.



(١) الكتابي: نسبة إلى أهل الكتاب، ويطلق غالباً على النصراني أو اليهودي لأن لهم كتباً منزلة. انظر: الموسوعة العربية ١/ ٢٥٢.

(٢) ولعل من أبرز أدلة ذلك قصة عبد الله بن سلام كما في البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حدثني حامد بن عمر، الفتح ٧/ ٢٧٢، وغيره من مسلمة أهل الكتاب.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/١٠٨.



المبحث الثاني

أن القرآن فيه تفصيل كل شيء

القرآن الكريم أساس الحياة الإسلامية جميعاً، حيث اشتمل على تفصيل كل شيء[1]، فمنهجه شامل لكل القضايا الحياتية، محيط بكافة النظم التي يحتاج إليها الإنسان، ظاهراً[2] وباطناً[3] منفرداً ومجتمعاً.

ولقد وضح ذلك شيخ الإسلام وشنع على من أنكره، فقال رحمه الله: «الحمد لله الذي بعث إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، الذي أنزل الكتاب تفصيلاً لكل شيء، وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة[4] على بيان ذلك من كان ناقصاً في عقله وسمعه، ومن له

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

(٢) ظاهراً: هو ما يظهر من سلوك الإنسان وشكله، ويحسه من حوله من أنماط السلوك والتصرفات القولية والعملية كالأكل والشرب، والكلام، والمشي، واللباس، وممارسة الحياة العملية والتعبير عنها كافة، فمنهج القرآن إصلاح كافة نظم وقضايا الإنسان الظاهرة.

(٣) باطناً: وهو ما لا يدرك بالحواس: من النوايا والاعتقادات والأفكار ونحوها، ما لم يعبر عنها بقول أو فعل فمنهج القرآن إصلاح الباطن أيضاً مما يكون فيه سعادة الإنسان وطمأنينته حتى في المعيشة الدنيوية فضلاً عن الآخرة التي هي مقصود المؤمن.

(٤) أي: السنة كما قال ذلك السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وانظر: تفسير ابن كثير ٦/ ٤١١.

نصيب من قول أهل النار الذين قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، وإن كان ذلك كثيراً في كثير من المتفلسفة، والمتكلمة[(١)]، وجهال أهل الحديث[(٢)]، والمتفقهة[(٣)]، والمتصوفة»[(٤)][(٥)].

ثم فند قول بعض المتكلمين والفلاسفة بأن الشرع إنما يدل بطريق الخبر ثم قال: «إن الله ﷻ بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره.

ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه وذلك كالأمثال[(٦)] المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه»[(٧)]. اهـ.

وقال بعد كلامه عن طبقات الترجمة[(٨)] والتفسير وأنها تحتاج إلى تصور المعاني «وحينئذ فالقرآن فيه تفصيل كل شيء، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾» [النحل: ٨٩][(٩)]. اهـ.

---

(١) المتكلمة: أهل الكلام وهو الجدال في الأمور الاعتقادية بالعقل.
مجموع الفتاوى ١١/٣٣٦، والتعريفات ٢٠٨، ١٨٥، ١٥٦.

(٢) أهل الحديث: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً. مجموع الفتاوى ٤/٩٥، وانظر: ٣/٣٤٧.

(٣) المتفقهة: المدعون الفقه، والفقه هو العلم بالشيء والفهم له، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، وتخصيصاً بعلم الفروع منها. اللسان ١٣/٥٢٢، وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية. التعريفات ١٦٨.

(٤) المتصوفة: الصوفي عند أهل التصوف: هو الذي فانٍ بنفسه باقٍ بالله تعالى مستخلص من الطبائع متصل بحقيقة الحقائق، والمتصوف هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة، وكثير من المنتسبين إليها ينسبون أنفسهم زوراً وبهتاناً، بل ويقولون: إن التقيد بأحكام الشرع وظيفة العوام، أما الخواص فلا يتقيدون بالظواهر. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٤/٢٤٢ ـ ٢٥٠، ومجموع الفتاوى ١١/٧١٦.

(٥) مجموع الفتاوى ٣/٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٦) الأمثال: جمع مثل، وهو كل ما يقاس عليه، وسيأتي ص٢١١.

(٧) مجموع الفتاوى ٣/٢٩٦.

(٨) الترجمة هي: تفسير اللسان، وهو نقله من اللغة إلى لغة أخرى.
انظر: اللسان ١٢/٦٦، وكلام الشيخ يريد به ترجمة القرآن إلى لغة أخرى.

(٩) مجموع الفتاوى ٤/١١٦.

وقال رَحِمَهُ اللهُ عند كلامه عن هيمنة القرآن[١]: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً»[٢].

وقال عن القرآن: «وفيه من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما في القرآن، ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في: أصول الدين، والعلوم الإلهية، وأمور المعاد، والنبوات، والأخلاق، والسياسات[٣]، والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها، لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ومن أهل الرأي كالمتفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن[٤].

ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر، فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه[٥] غيره، سواء كان من علم المحدثين[٦] والملهمين، أو من علم أرباب النظر[٧] والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء.

---

(١) هيمنة القرآن: أي: شهادته وحكمه عليها في الكتب قبله. وانظر: ما سبق في المبحث الأول ص١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٤.

(٣) أصول الدين، والعلوم الإلهية، المعاد، النبوات، والسياسات سبق بيانها ص١١٩.

(٤) بل لقد نص الشارع على كل ما يعصم من المهالك. وانظر: ما قاله الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧٣ ـ ٧٤.

(٥) لعل الجملة: لا يستقل بنفسه عن غيره، فالملهم لا يستقل بإلهامه عن الشرع وكذا غيره، فهذا هو مفهوم كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الجملة بعدها.

(٦) المحدث: بفتح الدال قال ابن الأثير جاء في الحديث تفسيره أنهم الملهمون، والملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً وفراسة، وهو نوع يختص به الله عَزَّ وَجَلَّ من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه. النهاية ١/ ٣٥٠، وانظر: فتح الباري ٧/ ٥٠.
وقيل: الملهم؛ أي: المكلم، تكلمه الملائكة بغير النبوة، وهذا قد ورد من حديث أبي سعيد الخدري قالوا: يا رسول الله كيف محدث؟ «قال: تتكلم الملائكة على لسانه»، رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: «وفيه أبو سعيد خادم الحسن البصري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات» مجمع الزوائد ٩/ ٦٩.

(٧) أهل النظر: هم أهل الكلام كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: «كلام العلماء المتكلمين أهل النظر=

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر»[١]، فعلق ذلك تعليقاً في أمته مع جزمه به فيمن تقدم، لأن الأمم قبلنا كانوا محتاجين إلى المحدثين كما كانوا محتاجين إلى نبي بعد نبي، وأما أمة محمد ﷺ فأغناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه، حتى إن المحدث منهم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما يؤخذ منه ما وافق الكتاب والسنة، وإذا حدث شيء في قلبه لم يكن له أن يقبله حتى يعرضه على الكتاب والسنة، وكذلك لا يقبله إلا إن وافق الكتاب والسنة، وهذا باب واسع في فضائل القرآن على ما سواه»[٢]اهـ.

ثم نجده يؤكد وجوب الاستقلال بالقرآن عن غيره لاشتماله على حاجات الإنسان في حياته كلها، فيقول: «ولما كان القرآن أحسن الكلام نهوا عن اتباع ما سواه قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وروى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى بيد عمر بن الخطاب شيئاً من التوراة، فقال: «لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم»، وفي رواية: «ما وسعه إلا اتباعي»، وفي لفظ[٣]: فتغير وجه النبي ﷺ

= والبحث والكلام» الاستقامة ٢/ ١٥٠، ففسر المتكلمين بأنهم أهل النظر وسبق تعريف أهل الكلام ص١٢٤.

(١) تخريجه: الحديث في البخاري (الفتح) ٦/ ٥١٢ كتاب الأنبياء باب ٥٤ (هكذا لم يسم وهو الباب الأخير من الكتاب)، و٧/ ٤٢ كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر، ومسلم ٤/ ١٨٦٤ فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب، والترمذي ٥/ ٢٨٥ أبواب المناقب باب ٧٣، ومسند الإمام أحمد ٦/ ٥٥ عن عائشة وعن أبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥ ـ ٤٦، وانظر: الصفدية ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٣) تخريج الحديث:

اللفظ الأول: قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أرَ من ترجم له، وبقية رجاله موثوقون «وانظر: مجمع الزوائد ١/ ١٧٣ ـ ١٧٤، وهو عن أبي الدرداء بلفظ: «والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً..».

وأيضاً رواه الهيثمي عن عبد الله بن ثابت وفيه: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح=

لما عرض عليه عمر ذلك، فقال له بعض الأنصار: يا ابن الخطاب ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، ولهذا كان الصحابة ينهون عن اتباع كتب غير القرآن»[1][2]..

وقال في موضع آخر:

«والله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ

= فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم »، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابراً الجعفي وهو ضعيف.

اللفظ الثاني: أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله: «لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» المسند ٣/ ٣٨٧، وأخرجه الدارمي ١/ ١١٥، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ٥٢، وابن الضريس في فضائل القرآن ص١٠٢ ـ ١٠٣.

اللفظ الثالث: أخرجه الضياء في الأحاديث المختارة ١/ ٢٤ ـ ٢٥، قال الهيثمي ١/ ١٧٤ ـ ١٨٢: رواه البزار.

وعند أحمد بعضه، وقال رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة.

تخريجه: قال الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٣٤، رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، ورجاله موثوقون إلا أن في مجالد ضعفاً.اهـ.

قال الألباني: لكن الحديث قوي فإن له شواهد كثيرة، وقال عنه حسن.

وانظر: إرواء الغليل ٦/ ٣٤ ـ ٣٨، ومشكاة المصابيح ١/ ٦٣ ـ ٦٨.

(١) كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع من انتسخ كتب دانيال وهو سبب تحديثه رضي الله عنه بالحديث السابق. وانظر: مجمع الزوائد ١/ ١٨٢، و٨/ ٢٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤١.

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

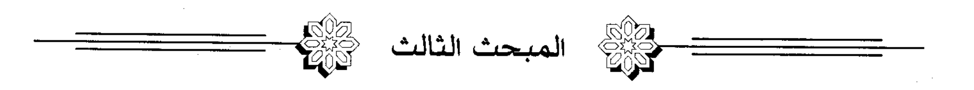
ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبين للدِّين كله، موضح لسبيل الهدى، كافٍ لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل.

وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[١][٢]. اهـ.



(١) تخريج الحديث: ورد مع اختلاف في الألفاظ في: مسلم ١/٥٩٢ (كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة)، والبخاري ١٠/٥٠٩ (كتاب الأدب باب الهدي الصالح)، و١٣/٢٤٩ (كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ)، والنسائي ٣/١٨٨ (كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة)، وابن ماجه ١/١٧ (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل)، ومسند أحمد ٣/٣١٠ ـ ٣١٩ ـ ٣٧١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٠/٣٠٣ ـ ٣٠٤.



المبحث الثالث

شدة حاجة البشر إلى القرآن

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو من أربعين موضعاً من القرآن، كقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول ﷺ، وجعل متابعة الرسول سبباً لمحبة الله عبده، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، فما أوحاه الله إليه يهدي الله به من يشاء من عباده كما أنه ﷺ بذلك هداه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ

---

(١) معنى الآية: يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر، والحث على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن ينقاد لهم المرسَل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده لمن اعترف وتاب واستغفر، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، أما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك. تفسير ابن سعدي ٢/ ٩٢ ـ ٩٣.

﴿ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فبمحمد[١] ﷺ تبين الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال[٢]، والغي من الرشاد، والزيغ من السداد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجار وأيْثار[٣] سبيل[٤] المغضوب عليهم والضالين، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا وذاك إذا فات حصل العذاب، فحق على كل أحد بذل جهده واستطاعته في معرفة ما جاء به وطاعته، إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم[٥]، والطريق إلى ذلك الرواية والنقل، إذ لا يكفي من ذلك مجرد العقل، بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامه، فكذلك نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة، فلهذا كان تبليغ الدين من أعظم فرائض الإسلام، وكان معرفة ما أمر الله به رسوله واجباً على جميع الأنام.

والله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالكتاب والسنة، وبهما أتم المنة، قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا

---

(١) أي برسالته وشريعته التي نزل بها.

(٢) الوبال: في الأصل الثقل والمكروه والشدة ويراد به هنا العذاب. انظر: اللسان ١١/ ٧٢٠.

(٣) أيثار: أصله آثر إيثاراً؛ أي: فضل، ومنه قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]. ومنه آثر كذا بكذا وكذا أي اتبعه إياه فالمقصود هنا الإتباع والتفضيل لهؤلاء اليهود والنصارى. انظر: اللسان ٤/ ٥ ـ ٧.

(٤) يبدو أن أيثار: معطوف على الفجار لأن كلا الصنفين قسيم للمتقين والمراد بهم أصحاب الإيثار.

(٥) قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقال النبي ﷺ كما في حديث جابر «إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم ١/ ٥٩٢، والنسائي ٣/ ١٨٨، وزاد «وكل ضلالة في النار» قال الألباني: وإسنادها صحيح. مشكاة المصابيح ١/ ٥١. وقد سبق تخريج الحديث ص١٢٨.

مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى عن الخليل: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقد قال غير واحد من العلماء منهم يحيى بن أبي كثير[١]، وقتادة[٢]، والشافعي وغيرهم: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: هي السنة؛ لأن الله أمر أزواج نبيه ﷺ أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول ﷺ يتلوه هو السنة.

ولما كان القرآن متميزاً بنفسه ـ لما خصه الله به من الإعجاز الذي باين به كلام الناس كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] وكان منقولاً بالتواتر ـ لم يطمع أحد في تغيير شيء من ألفاظه وحروفه، لكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل في معانيه بالتغيير والتأويل، وطمع أن يدخل في الأحاديث من النقص والازدياد ما يضل به العباد.

فأقام الله تعالى الجهابذة النقاد[٣]، أهل الهدى والسداد فدحروا حزب

---

(١) يحيى بن أبي كثير أبو نصر الطائي، واسم أبيه صالح، وقيل: يسار، وقيل: نشيط، من التابعين روى عن بعض الصحابة وبعض التابعين، وروى عنه تلاميذ كثيرون وكان طلّابه للعلم، حجة، قال أبو حاتم: هو إمام لا يروي إلا عن ثقة، توفي سنة ١٢٩هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين روى عن عدد من الصحابة وكبار التابعين، كان من أوعية العلم يضرب به المثل في الحفظ، وروى عنه عدد من تلاميذه أئمة الإسلام، حجة بالإجماع، توفي ١١٨هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩.

(٣) الجهابذة: جمع جِهبذ بالكسر، وهو النقاد الخبير. القاموس المحيط ٤٢٤.
النقاد: النقد تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، ثم استعمل لكل ما يخرج صحيحه ويميز عن سقيمه وضعيفه. وانظر: اللسان ٣/ ٤٢٥.

الشيطان، وفرقوا بين الحق والبهتان، وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن من الزيادة في ذلك والنقصان[١]. اهـ.

وتزداد حاجة البشر إلى القرآن إذا ما قورن بالمناهج العقلية الناقصة: ولقد أشار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى ذلك بقوله:

«فلو قيل بتقديم العقل على الشرع ـ وليست العقول شيئاً واحداً بيناً بنفسه ـ ولا عليه دليل معلوم للناس، بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب، لوجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته، ولا اتفاق للناس عليه.

وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق، وهذه صفة لازمة له، لا تختلف باختلاف أحوال الناس، والعلم بذلك ممكن، ورد الناس إليه ممكن، ولهذا جاء التنزيل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، وهذا يوجب تقديم السمع، وهذا هو الواجب، إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً، وشكاً وارتياباً[٢].

ولذلك قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فأنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه، إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١ ـ ٧.

(٢) كحال من يحكمون القوانين الوضعية اليوم في شتى بلاد العالم ففي كل يوم لهم حال، ولكل حالة أحكام، ولكل فئة وصنف أحكام، فهم في تخبط دائم مهما كانت مظاهرهم براقة ولماعة.

(٣) الموارد: هو من الموردة؛ أي: الطريق إلى الماء ويستعمل لكل طريق إلى أمر ما. اللسان ٤٥٦/٣.

النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء»[١] .اهـ.

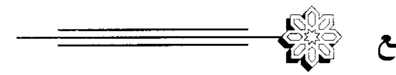
ويقول في موضع آخر:

«الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل، وهؤلاء المختلفون يدعي أحدهم: أن العقل أداه إلى علم ضروري ينازعه فيه الآخر، فلهذا لا يجوز أن يجعل الحاكم بين الأمة في موارد النزاع إلا الكتاب والسنة»[٢] .اهـ.



(١) درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) المصدر السابق ١/٢٢٩.



المبحث الرابع

القرآن آية صدق النبي ﷺ

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

«لما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين، جنّهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه أن تكون آيات نبوّته وبراهين[1] رسالته معلومة لكل الخلق الذين بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء[2].

وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية[3] والأفقية[4]، ما يبين به أن القرآن

---

(١) الآية: العلامة ومنه آيات الطريق؛ أي: علاماته المنصوبة للهداية. اللسان ١٤/٦٢، القاموس ص١٢٢٨.
البرهان: الحجة الفاصلة البينة، برهن يبرهن إذا جاء بحجة قاطعة. اللسان ١٣/٥١.

(٢) أي: قد يظهر لقوم ما لا يظهر لآخرين.

(٣) الآيات النفسية: هي ما يظهره الله من علامات وآثار قدرته في ذواتهم وأجسامهم من حواس وقوى، وقدرات عقلية وجسمية، وما يصابون به من شر أو خير، ومن نعمة أو نقمة، مما يقيم الحجة عليهم إن كانوا يبحثون عن الحق.

(٤) الآيات الأفقية: هي ما يظهره الله من علامات قدرته في الأشياء الخارجية؛ أي: الأشياء الحسية في أقطار السموات والأرض مما يدل على صحة آياته وأدلته وبراهينه التي أقامها لهم في كتابه الكريم. وانظر: التحرير والتنوير ٢٥/١٨، والتفسير الوسيط ١٢/٢٢٧.
الآفاق: جمع أفق وهو الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها، أو ما ظهر من نواحي الفلك والسماء. اللسان ١٠/٥، القاموس المحيط ١١١٦.

حق كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣].

أخبر سبحانه أنه سيري العباد الآيات في أنفسهم وفي الآفاق، حتى يتبين لهم أن القرآن حق، فإن الضمير عائد إليه، إذ هو الذي تقدم ذكره، كما قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢] والضمير في «كان» عائد إلى معلوم[١].

يقول: أرأيتم إن كان القرآن من عند الله، ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد، فإنه على هذا التقدير يكون الكافر في شقاق بعيد؛ قد شاق الله ورسوله، ولا أحد أضل ممن هو في مثل هذا الشقاق، حيث كان في شق والله ورسوله في شق، كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ[٢] وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦] بيَّن أن من تولى عن ذلك لم يكن متبعاً للحق قاصداً له، فإن هذا الذي قلتموه[٣] لا يتولى عنه من أهل الكتاب من قَصْده الحق، وإنما يتولى عنه من قَصْده المشاقة والمعاداة لهوى نفسه، وهذا يكفيك الله أمره.

---

(١) وهذا قول ابن كثير ٧/ ١٧٥، وأبي حيان في البحر ٧/ ٥٠٥، والقرطبي ١٥/ ٣٧٤، وغيرهم من المفسرين.

(٢) الأسباط: جمع سبط وهم القبيلة من اليهود، وهم أولاد يعقوب النبي ﷺ، وسموا بذلك من السبط، وهو التتابع، أو من السبط وهو الشجر مفرده: سبطة: شبهوا بالشجرة لكثرتهم وعددهم اثنا عشر قبيلة من اثني عشر ولداً، وهم أولاد يعقوب عليه السلام. اللسان ٧/ ٣١٠، البداية والنهاية ١/ ١٨٥، القاموس ص٨١٧.

(٣) أي: المأمور به في الآية ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ...﴾ الآية.

ووجه الاستدلال بها أن الله أخبر عنهم أنهم يكتمون الشهادة التي أمرهم الله ببيانها وهي صدق الرسول وأن ما جاء به حق وقد بشرت به أنبياؤهم حتى أنهم ليجدون أوصافه وعلاماته في كتبهم. وانظر: الجواب الصحيح ٣/ ٢٧٥ - ٣٣٣، و٤/ ١ - ٢٢.

والقرآن إن كان من عند الله، ثم كفر به من كفر، فلا أحد أضل ممن هو في مثل حاله، إذ هو في شقاق بعيد، وإن قدر أنه لم يعلم أنه حق، فهو ضال، والشقاق قد يكون مع العناد، وقد يكون مع الجهل، فإن الآيات إذا ظهرت، فأعرض عن النظر الموجب للعلم كان مشاقاً، ولهذا قال عقيب ذلك: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] فأخبر أنه سيري عباده من الآيات الأفقية والنفسية، ما يبين أنه حق، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] فإن شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وشهادته للقرآن ولمحمد ﷺ تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيائه كما قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وتكون بأقواله التي أنزلها على محمد ﷺ فإن القرآن نفسه آية بينة ومعجزة قاهرة.

وتكون بأفعاله، وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين الدالة على صدق رسله(١)، فإنه صدقهم فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

والقرآن نفسه هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ﷺ(٢)، وإنزاله على محمد ﷺ وإتيان محمد ﷺ به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله، إذ كان البشر لا يقدرون على مثله، ولا يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء(٣)، ولا السحرة(٤)، ولا غيرهم، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ

---

(١) أي: الآيات والمعجزات الحسية المرئية المدركة لكل أحد من الناس لتقوم الحجة على الخلق بها: كالعصا، والحية، والناقة، وانشقاق القمر...

(٢) شهادة الله لأنبيائه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] فالآيات والبراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم، دل بها العباد. وانظر: مجموع الفتاوى ١٤/١٨٨ ـ ١٩٥.

(٣) الأولياء: جمع ولي، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله، ومنه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] فهم المؤمنون المتقون.

(٤) السحر: خدع ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر حتى يخيل إلى المسحور الشيء بخلاف=

ﵟٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا[(١)] ٨٨ﵞ [الإسراء: ٨٨]، ومحمد ﷺ أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة «سبحان» وهي مكية[(٢)]، صدرها[(٣)] بذكر الإسراء[(٤)] الذي كان بمكة باتفاق الناس.

وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم عن جميع الثقلين، إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته.

ومنها[(٥)] إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجزون عنه.

وهذا لا يقدم عليه من يطلب من الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك، إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، فيفسد عليه ما قصده، وهذا لا يقدم عليه عاقل؛ مع اتفاق الأمم المؤمن بمحمد ﷺ والكافر به على كمال عقله ومعرفته وخبرته، إذ ساس العالم سياسة[(٦)] لم يسسهم أحد بمثلها[(٧)]، ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة، الذي يقرأ به في الصلوات، وسمعه العام والخاص،

= ماهو به. تفسير الطبري ٢/ ٣٦٤ (المحقق)، ومعجم الراغب ص٢٣١.

(١) ظهيراً: أي: معيناً، ومنه ظاهر فلان فلاناً عاونه. وانظر: اللسان ٥/ ٥٢٥.

(٢) المكي في تعريفه أقوال أشهرها: أنه ما نزل قبل الهجرة. البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٨٧.

(٣) صدر النهار والليل: أي: مقدمه وأوله وكل ما واجهك صدر. انظر: اللسان ٥/ ٤٤٥.

(٤) الإسراء: من السُّرَى وهو السفر ليلاً، والمقصود به انتقال النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقظة كما هو ظاهر القرآن. وانظر: اللسان ١٤/ ٣٨٢، وفتح الباري ١/ ٤٦٠، والبحر المحيط ٦/ ٥.

(٥) أي: من آيات الله الدالة على صدق النبي ﷺ، وفي المحققة بدون العطف بالواو.

(٦) السياسة: هي الأمر والنهي والإدارة بصفة عامة والقيام على الشيء بما يصلحه. اللسان ٦/ ١٠٨، والقاموس ٧١٠.

(٧) فكمال عقله ينفي أن يقول ذلك بدون أن يجزم بصدق نفسه.

والولي والعدو دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر، وإلا فلو كان شاكاً في ذلك لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير، بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه، وهذا لا يفعله من يقصد أن يصدقه الناس، فمن يصدقه الناس لا يقول مثل هذا ويظهره هذا الإظهار، ويشيعه هذه الإشاعة، وقصد أن يخلده هذا التخليد، إلا وهو جازم عند نفسه بصدقه، ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ علم العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، وهو من أعظم دلائل كونه معجزاً وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق، وهو وحده كافٍ في العلم بأن القرآن معجز.

دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز، مثل عجز الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته، وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة.

فلما كانت دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة وانتفت المعارضة، علم عجز جميع الأمم عن معارضته، هذا برهان بين[1] يعلم به صدق هذا الخبر، وصدق هذا الخبر آية لنبوته، غير العلم بأن القرآن معجز، فذلك[2] آية مستقلة لنبوته، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات، فإن كونه معجزاً يعلم بأدلة متعددة، والإعجاز فيه من وجوه متعددة، فتنوعت دلائل إعجازه وتنوعت وجوه إعجازه[3]، وكل وجه من

---

(١) في المحققة: ثان. (٢) في المحققة: فإن ذلك.

(٣) دلائل الشيء: أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، وهذا على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول والعربية والمناظرة. كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ٢٨٤.

ووجه الشيء: مستقبله وأوله، ووجه الكلام السبيل المقصود. القاموس المحيط ١٦٢٠.

ووجه العلاقة بين الدلائل والوجوه: هو أن كل وجه دليل، وليس كل دليل وجهاً من وجوه الإعجاز، كما هو ظاهر عبارة الشيخ رحمه الله. والله أعلم.

الوجوه، فهو دليل إعجازه، وهذه جمل لبسطها تفصيل طويل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١].

فهو كافٍ في الدعوة والبيان، وهو كافٍ في الحجج والبرهان». اهـ[١].

وقال في موضع آخر مبيناً دوام هذه الآية والبرهان واختصاص نبينا محمد ﷺ بذلك، فقال: «القرآن كلام الله، وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[٢]، والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه، جملة وتفصيلاً، أما الجملة[٣]: فإنه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم، علماً متواتراً أنه هو الذي أتى بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفة وغيرهم»[٤]. اهـ.

ثم نجد الشيخ يبين دلالة القرآن على صدق الرسول ﷺ وعلى صدق القرآن نفسه، فيقول رحمه الله: «إنه معجز في نفسه لا يقدر الخلائق على أن يأتوا بمثله، ففيه دعوة الرسول، وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول، وهو نفسه برهان على ما جاء به»[٥]. اهـ.

ويقول في موضع آخر: «وكون محمد ﷺ كان نبياً أمياً هو من تمام كون

---

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٦٣ ـ ٦٧، وفي النسخة المحققة ٤٨٠ ـ ٤٨٤.

(٢) رواه البخاري بمثله كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي ٩/ ٣، فتح الباري في الاعتصام باب بعثت بجوامع الكلم ١٣/ ٢٤٧، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ١٥٢ /١ ١٣٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هذه الجملة، أما التفصيل فسترد في الباب الثاني الفصل الثاني منه في المبحث الثاني ص٢٥٤.

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٧١، وفي المحققة ٤٩١.

(٥) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥.

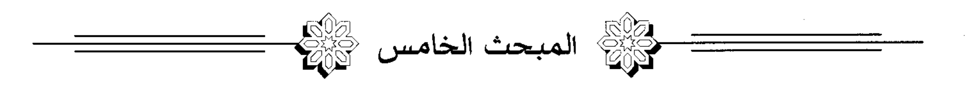
ما أتى به معجزاً خارقاً للعادة، ومن تمام بيان أن تعليمه أعظم من كل تعليم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] فغيره يعلم ما كتبه غيره، وهو علم الناس ما يكتبونه، وعلمه الله ذلك بما أوحاه إليه.

وهذا الكلام الذي أنزل عليه هو آية وبرهان على نبوته، فإنه لا يقدر عليه الإنس والجن ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ[(١)] قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، وفي الآية الأخرى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣، ١٤]»[(٢)]. اهـ.



(١) افتراه: أي: اختلقه وأتى به عند نفسه، والفرية: الكذب، وافتراه: اختلقه. اللسان ١٥/١٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/٢٦٦.



المبحث الخامس

إظهار معجزات الأنبياء في القرآن

إن من أبرز الدلائل على شمولية هذا الكتاب أننا نجده لم يهمل الأخبار الماضية عن الرسل ومعجزاتهم وحال مكذبيهم، وليس ذلك لمجرد الخبر، وإنما للاستدلال على نبوة النبي الخاتم[١]، فإن الإيمان بهم وبآياتهم يستلزم الإيمان بخاتمهم وبآيته المعجزة.

ولذا نجد شيخ الإسلام رحمه الله يؤصل ذلك بقوله: «وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولايمكن أحداً إبطالها لا من جنسهم ولا من غير جنسهم، فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضاً، فلا يتصور أن نبياً يبطل معجزة آخر، وإن أتى بنظيرها فهو يصدقه[٢].

ومعجزة كل منهما آية له وللآخر أيضاً، كما أن معجزات[٣] أتباعهم آيات لهم، بخلاف خوارق السحرة[٤] فإنها إنما تدل على أن صاحبها ساحر يؤثر

---

(١) لا يراد الحصر بهذا وإنما ذكرت الاستدلال لأنه هو المقصود بالنسبة لأتباع النبوات السابقة، وإلا فأخبار الأنبياء وأممهم ذات فوائد عديدة لنا المؤمنين بهذا القرآن ولغيرنا إن أراد النظر والاستدلال، أما المُعرض فلا ينتفع بشيء وكذا من يجادل بظلم مع معرفته الحق، ولكن ليس هذا موضع تعداد ذلك. والله أعلم.

(٢) النظير: المثل والشبه. وانظر: اللسان ٤/ ٢١٩.
وهذا كما وقع لغير واحد من الأنبياء وأتباعهم كإحياء الموتى كما سيأتي ص١٤٢.

(٣) وهو ما يسمى كرامات الأولياء والصالحين لأن شيخ الإسلام لايرى التفرقة بين معنى الآيات والبراهين ومعنى المعجزات والكرامات. وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٦٧ ـ ٧٠، والمحققة ٣/ ٤٨٥ ـ ٤٨٩.

(٤) سبق تعريف السحر ص١٣٦.

آثاراً غريبة مما هو فاسد في العالم»[(١)(٢)].

ويقول رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «جميع ما يفعله الله من الآيات في العالم فهو دليل على صدق الأنبياء ومستلزم له، وإن كانت الآيات معتادة لجنس الأنبياء أو لجنس الصالحين الذين يتبعون الأنبياء، فهي مستلزمة لصدق مدعي النبوة، فإنها إذا لم تكن إلا لنبي، أو من يتبعه، لزم أن يكون من أحد القسمين، والكاذب في دعوى النبوة ليس واحداً منهما، فالتابع للأنبياء الصالح لا يكذب في دعوى النبوة قط، ولا يدعيها إلا وهو صادق كالأنبياء المتبعين لشرع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا كان آية نبي إحياء الله الموتى، لم يمتنع أن يحيى الله الموتى لنبي آخر، أو لمن يتبع الأنبياء، كما قد أُحيي الميت لغير واحد من الأنبياء ومن اتبعهم[(٣)]، وكان ذلك آية على نبوة محمد ﷺ، ونبوة من قبله، إذ كان إحياء الموتى مختصاً بالأنبياء وأتباعهم.

---

(١) كما قال تعالى عنه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ [البقرة: ١٠٢] فالسحر فساد كما هو معلوم شرعاً وعقلاً لا يشك في ذلك عاقل.

(٢) كتاب النبوات ص٣٤.

(٣) فوقع إحياء الموتى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

ووقع لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

ووقع لصاحب القرية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فوقع إحياء الميت لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو (القتيل)، ووقع لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو آيته ومعجزاته، ووقع لصاحب القرية ليتبين له.

وكذلك ما يفعله الله من الآيات والعقوبات بمكذبي الرسل، كإغراق فرعون(١) وإهلاك قوم عاد بالريح الصرصر العاتية(٢)، وإهلاك قوم صالح بالصيحة(٣)، وأمثال ذلك، فإن هذا جنس لم يعذب به إلا من كذب الرسل، فهو دليل على صدق الرسل، وقد يميت الله بعض الناس بأنواع معتادة من البأس كالطواعين(٤) ونحوها، لكن هذا معتاد لغير مكذبي الرسل، أما ما عذب الله به مكذبي الرسل فمختص بهم، ولهذا كان من آيات الله كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) قال تعالى: ﴿۞ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].
وقال تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

(٢) قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: ٧].
والعاتية: الشديدة التي تجاوزت الحد. اللسان ١٥/٢٧، القاموس ص١٦٨٨.
وحسوماً: الحسم إزالة أثر الشيء. معجم المفردات للراغب ص١١٧.

(٣) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٦ ـ ٦٨].
وذلك بعد ذكره سبحانه لإرساله صالحاً إليهم لإنذارهم وإعطائه الناقة معجزة، فأصروا على كفرهم فذكر عاقبتهم، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: ٥].
والطاغية: أي بسبب طغيانهم: وهو تجاوزهم الحد، وقيل: عبر بالطاغية عن الصيحة لأنها تجاوزتهم فلم تترك أحداً منهم، وهذا أولى لقوله في الثانية ﴿بِرِيحٍ﴾. وانظر: تفسير الطبري ٢٩/٤٩، واللسان ١٥/٧، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٣٥.

(٤) الطواعين جمع طاعون وهو كما عرفه عبد المعطي قلعجي: مرض معد يتسبب عن بكتريا قصيرة بيضوية عضوية ٢ × ٠,٧ ميكرون تنتقل إلى الإنسان والقوارض بواسطة البراغيث.
وعرفه موفق الدين البغدادي: الموت من الوباء، وهذا هو تعريف القدماء، ويسمى: «الموت الأسود»؛ لأنه يحيل الحياة أثراً بعد عين. الطب من الكتاب والسنة ص٢١٧.

وكذلك ما يحدثه الله من أشراط الساعة[1]: كظهور الدجال[2]، ويأجوج ومأجوج[3] وظهور الدابة[4]، ومطلع الشمس من مغربها[5]، بل والنفخ في الصور[6]، وغير ذلك مما هو من آيات الأنبياء، فإنهم أخبروا به قبل أن يكون، فكذبهم المكذبون، فإذا ظهر بعد مئين أو ألوف من السنين، كما أخبروا به، كان هذا من آيات صدقهم، ولم يكن هذا إلا لنبي أو لمن يخبر عن نبي، والخبر عن النبي هو خبر النبي، ولهذا كان وجود ما أخبر به الرسول من

---

(١) أشراط: جمع شرط بالتحريك وهو العلامة. اللسان ٧/ ٣٢٩، والمراد علامات قرب الساعة كالدابة وغيرها.

(٢) الدجال: دجل: كذب وغطى: والمراد المسيح الدجال، رجل يخرج في آخر الزمان يغطي الأرض كلها ويدعي الألوهية فيتبعه الناس إلا المسلمين. اللسان ١١/ ٢٣٦ فتح الباري ١٣/ ٩١.

(٣) يأجوج ومأجوج: أناس من بني آدم ثم بني يافث بن نوح ﵇، واختلف هل هما اسمان أعجميان أم عربيان ثم اختلف في اشتقاقهما فقيل: من أجيج النار وهو التهابها، وقيل: من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة، ومن ماج إذا اضطرب، وهم أمة كثيرة العدد مختلفة الأوصاف وهم وراء ردم ذي القرنين يحفرونه ولا ينتهون إليه إلا عند قيام الساعة فخروجهم من علاماتها الكبرى. وانظر: فتح الباري ١٣/ ١٠٦، والبداية والنهاية ٢/ ١٠٠.

(٤) الدابة: الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يذكر الله ولا رسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر المقصود منها وأثرها وأنها من آيات الله تكلم الناس كلاماً خارقاً للعادة حين يقع القول على الناس وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهاناً للمؤمنين وحجة على المعاندين. والله أعلم. وانظر: اللسان ١/ ٣٧٠، وتفسير ابن سعدي ٥/ ٦٠٢.

(٥) طلوع الشمس من مغربها: أي: خروجها على غير المألوف فينعكس الحال، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة. فتح الباري ١١/ ٣٥٣.

(٦) الصور: القرن كما أخرج أبو داود في كتاب السنة باب ذكر البعث والصور ٥/ ١٠٧، والترمذي وحسنه كتاب صفة القيامة ٤/ ٦٢٠، وكتاب تفسير سورة الزمر ٥/ ٣٧٣، والنسائي في تفسيره ٢/ ٢٥ ـ ١٤٢ ـ ٢٤٤. وصححه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٣ ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن عمرو قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه». وانظر: اللسان ٤/ ٤٧٥، وفتح الباري ١١/ ٣٦٧.

المستقبلات من آيات نبوته، إذا ظهر المخبر به كما كان أخبر فيما مضى، عرف صدقه فيما أخبر به ـ إذا كان هذا ـ وهذا لا يمكن أن يخبر به من أخذ عن نبي، وهو ﷺ لم يأخذ عن أحد من الأنبياء شيئاً[(١)]، فدل على نبوته، ولهذا يحتج الله له في القرآن بذلك كما قد بسط في هذا الموضع»[(٢)][(٣)].اهـ.



(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

(٢) ومنه ما سيأتي من إخباره بالغيوب الماضية والمستقبلة في القرآن، كما في الجواب الصحيح ٤/٥٢ ـ ٥٩، و٤/١٢٩ ـ ١٣٣.

(٣) كتاب النبوات ص١٥٣ ـ ١٥٤.



المبحث السادس

التدرج في التحدي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
التحدي إجمالاً

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«التحدي: هو أن يحدوهم إلى أن يعارضوه، فيقال فيه: حداني على هذا الأمر، ومنه سمي حادي العيس، لأنه بحداه يبعثها على السير[(١)].

وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة، ولكن أصله الأول»[(٢)].

وتكلم عن التحدي فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكر ـ الله ـ براهين التوحيد والنبوة قبل ذكر الفرق بين أهل الحق والباطل، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤]، فلما تحداهم بالإيتان بعشر سور مثله مفتريت، هم وجميع من يستطيعون من دونه: كان في مضمون تحديه أن هذا لا يقدر أحد على الإتيان بمثله من دون الله، كما قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) حدو الإبل: زجرها خلفها وساقها. والحداء سوق الإبل والغناء لها. اللسان ١٤/ ١٦٨، ومختار الصحاح ٥٤.
وأول من حدا الإبل عبد لمضر. الأوائل لأبي هلال العسكري ص٨٨.
والعيس: الإبل تضرب إلى الصفرة. اللسان ٦/ ١٥٢.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٧١، والمحققة ٣/ ٤٩١.

وحينئذ فعلم أن ذلك من خصائص من أرسله الله، وما كان مختصاً بنوع فهو دليل عليه، فإنه مستلزم له، وكل ملزوم دليل على لازمه كآيات الأنبياء كلها، فإنها مختصة بجنسهم.

وهذا القرآن مختص بجنسهم، ومن بين جنسهم خاتمهم، لا يمكن أن يأتي به غيره، وكان ذلك برهاناً بَيِّناً على أن الله أنزله، وأنه نزل بعلم الله الذي أخبر بخبره[١]، وأمر بما أمر به، كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية، وثبوت الرسالة ملزوم لثبوت التوحيد، وأنه لا إله إلا الله: من جهة أن الرسول أخبر بذلك، ومن جهة أنه لا يقدر أحد على الإتيان بهذا القرآن إلا الله، فإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله، إلى غير ذلك من وجوه البيان فيه، كما قد بسط ونبه عليه في غير هذا الموضع، ولا سيما هذه السورة[٢]، فإن فيها من البيان والتعجيز ما لا يعلمه إلا الله، وفيها من المواعظ والحكم والترغيب والترهيب ما لا يقدر قدره إلا الله»[٣].

المطلب الثاني

تحدي أهل مكة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤] فهنا قال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في أنه تقوله، فإنه إذا كان محمد قادراً على أن يتقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر، كان هذا ممكناً للناس، الذين هم من جنسه فأمكن للناس أن يأتوا بمثله.

---

(١) في دقائق التفسير (هو الذي أخبر بخبره).

(٢) يعني بذلك: سورة هود بدليل أن هذا المقطع بعد كلامه عن قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، وبعدها الكلام عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧].

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/١٠٦ ـ ١٠٧.

ثم إنه تحداهم بعشر سور مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم بسورة واحدة منه[1]، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨]، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، هم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة هم ومن استطاعوا[2]، قال ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤] وهذا أصل دعوته، وهو الشهادة بأن محمداً رسول الله[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾، كما قال: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]؛ أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترى كما قال: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]؛ أي: ما كان لأن يفترى، يقول: ما كان ليفعل هذا، فلم ينفِ مجرد الفعل، بل نفى احتمال فعله، وأخبر بأن مثل هذا لا يقع، بل يمتنع وقوعه، فيكون المعنى: ما يمكن،

---

(١) اختلف العلماء في أيهما نزل أولاً سورة هود أم سورة يونس؟ وملخص الخلاف:
أ ـ أكثر العلماء على أن هذا التحدي (بعشر سور) وقع أولاً فلما عجزوا تحداهم (بسورة من مثله) وهو وإن تأخر تلاوة فهو متقدم نزولاً، ولا يجوز العكس إذ لا معنى للتحدي بعشر لمن عجز عن التحدي بواحدة.
ب ـ وذهب ابن عطية إلى أن هذا التحدي (بعشر سور) إنما وقع بعد التحدي (بسورة واحدة) وروى هذا عن المبرد، وأنكر تقدم سورة هود على سورة يونس بل قال: بل نزلت سورة يونس أولاً، ثم نزلت سورة هود.
وانظر: روح المعاني للألوسي ١٢/٢٠، والفخر الرازي ١٧/١٠٠، والمدخل لأبي شهبة ٨، ومعالم التنزيل ٤/١٦٥، والمحرر الوجيز ٧/٢٥١.

(٢) يبدو أن الكلام (ثم قال).

(٣) في المحققة: وهو الشهادة بأنه لا إله إلا الله، والشهادة بأن محمداً رسول الله.

ولا يحتمل ولا يجوز أن يفترى هذا القرآن من دون الله، فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك، وهذا التحدي كان بمكة فإن هذه السور مكية[١]؛ سورة: يونس، وهود، والطور».اهـ[٢].

المطلب الثالث

تحدي أهل المدينة

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال في البقرة وهي سورة مدنية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾، ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، فذكر أمرين:

أحدهما: قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق، فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب الذي وعد به المكذبين، هذا دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة، وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

والثاني: قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] فعم بأمره له أن يخبر بالخبر[٣] جميع الخلق معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم، لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك»[٤].

---

(١) المكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وقيل غير هذا ولكن هذا أرجحها. انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٨٧ ـ ١٩١.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٧١ ـ ٧٣، والمحققة ٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٣.

(٣) في المحققة: فعم بالخبر جميع الخلق.

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٧٣، والمحققة ٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

المطلب الرابع

نتيجة التحدي

قال كَلَّللهُ: «وهذا التحدي والدعاء هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حيث بعث، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما علم من أن الخلق كلهم[١] كانوا كفاراً قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.

وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق ممكن.

تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب، حتى يسألوه عنها، كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، كما تقدم[٢].

وتارة يجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه[٣]، وصاروا

---

(١) هذا تعميم من الشيخ كَلَّللهُ ولعله سبقة قلم منه أو من نساخ رسالته وإلا فالمشهور أنه كان يوجد حين بعثة النبي ﷺ بعض الحنفاء على ملة إبراهيم وبعض أهل الكتاب الذين كانوا على الحق كما قال النبي ﷺ: «وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب..» الحديث رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي كتاب الجنة حديث ٦٣ ٣/ ٢١٩٧، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٦٢.

وانظر: ما كتبه ابن كثير كَلَّللهُ عن وجود الحنفاء وما أثر من مقالاتهم. في البداية والنهاية ٢/ ٢١٤ ـ و٢٢١ و٢/ ٢٢٧، وذكر منهم: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهما.

(٢) أي: في الجواب الصحيح ٤/ ٥٧، والمحققة ٣/ ٤٧٠.

(٣) ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤٧: أنه اجتمع عليه من أشراف قريش عند الكعبة وبعثوا إلى النبي ﷺ فجاء سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء ـ أي: أن يتبعوه على دين الله ـ ثم حاجوه وزعموا أنهم يعطونه ما شاء من الأموال أو الرياسة أو يعالجوه إن كان به جن فلما رأوا إصراره على تبليغ الرسالة طلبوا منه مطالب على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد من إزاحة الجبال وتكشفها عن ذهب وبعث آبائهم وأجدادهم وإنزال الملائكة... إلخ. الخبر بطوله. اهـ. ملخصاً.

يضربون له الأمثال فيشبهونه بمن ليس بمثله لمجرد شبهة ما، مع ظهور الفرق:

فتارة يقولون: مجنون[١]، وتارة يقولون: ساحر[٢].

وتارة يقولون: كاهن[٣]، وتارة يقولون: شاعر[٤]. إلى أمثال ذلك من الأقوال، التي يعلمونها[٥]، هم وكل عاقل سمعها أنها افتراء عليه.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة[٦]، مرة بعد مرة، وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض[٧]، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، بحيلة وبغير حيلة.

وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأتِ أحد بنظيره». اهـ[٨].

ولازم هذا ثبوت صدق النبي ﷺ وصحة هذا الدين وأنه من عند الله وانتفاء الشبهة وانقطاع حجة المعاندين.

---

(١) الجنون: اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً. اللسان ١٣/ ٩٢، التعريفات للجرجاني ص٧٩.

(٢) ساحر: هو من السحر: وهو كل ما لطف وخف ودق والمراد به عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وانظر: اللسان ٤/ ٣٤٨، وقد سبق تعريفه ص١٣٦.

(٣) كاهن: وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علوم الغيب. وانظر: اللسان ١٣/ ٣٦٢، والتعريفات للجرجاني ص١٨٣.

(٤) شاعر: قائل الشعر وهو الكلام الموزون المقفى على سبيل القصد. اللسان ٤/ ٤١٠، والتعريفات للجرجاني ص١٢٧.

(٥) في المحققة يعلمون هم وكل عاقل.

(٦) من عارضه في المسير؛ أي: سار حياله وحاذاه، وعارضه بمثل ما صنع؛ أي: أتى إليه بمثل ما أتى به وفعل مثل ما فعل. وانظر: اللسان مادة عرض ٧/ ١٦٥ ـ ١٨٧. وقال الجرجاني: هي إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم. التعريفات ٢١٩.

(٧) في الأصل هكذا [يعجز عن جميع أهل الأرض] والتصحيح من المحققة.

(٨) الجواب الصحيح ٤/ ٧٣ ـ ٧٤، والمحققة ٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥.





أوجه الإعجاز التي تكلم عليها شيخ الإسلام

وفيه مباحث:

المبحث الأول: إعجاز القرآن في أسمائه وأوصافه.

المبحث الثاني: إعجاز القرآن في السورة القصيرة والآية والآيتين.

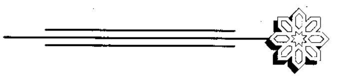
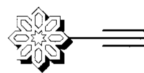
المبحث الثالث: إعجاز القرآن في حروف المعجم.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن في الإخبار بالمغيبات.

المبحث الخامس: إعجاز القرآن ليس في الأمثال اللغوية فقط والرد على من زعم الإعجاز بالصرفة.

المبحث السادس: إعجاز القرآن في تناسبه وارتباط بعضه ببعض.

المبحث السابع: الإعجاز العلمي والكوني في القرآن.


المبحث الأول


إعجاز القرآن في أسمائه وأوصافه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

أسماء القرآن وأوصافه

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

«أسماء القرآن: القرآن(١)، الموعظة(٢)، الرحمة(٣)، بصائر(٤)، البلاغ(٥)، الكريم(٦)،

---

(١) كما في غير آية من كتاب الله ومنها قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(٢) قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].
قال ابن جرير رحمه الله: «وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن، وهو الموعظة من الله» ١٥/ ١٠٥ فينبغي على الداعية اتخاذه مواعظ ففيه العظة والعبرة وترك ما لا يقوم بذاته كالضعاف وأحاديث القصاص ونحوها.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

(٤) قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام: ١٠٤ ـ ١٠٥].

(٥) قال تعالى: ﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].
قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «هذا القرآن بلاغ للناس» ١٣/ ٢٥٨ (دار الفكر).

(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

المجيد[١]، العزيز[٢]، المبارك[٣]، التنزيل[٤]، المنزَّل[٥]، الصراط المستقيم، حبل الله[٦]، الذكر[٧]، الذكرى[٨]، تذكرة ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨][٩]، ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧][١٠]، المهيمن عليه[١١]، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١][١٢]، ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩][١٣]، المتشابه،

---

(١) قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

(٣) قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢].

(٥) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

(٦) قال شيخ الإسلام: وفي حديث علي ﷺ الذي رواه الترمذي وأبو نعيم من عدة طرق قال رسول الله ﷺ «إنها ستكون فتن»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال: «كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم..» الحديث. درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٦٧ فهذا وجه إدخال الشيخ لهذه الأسماء الثلاثة المذكورة في الحديث.
والحديث رواه الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ماجاء في فضل القرآن ٥/ ١٧٢ (ت إبراهيم عطوة).
قال الألباني في شرح الطحاوية ص٧١: هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف ولعل أصله موقوف، وقد ضعفه الترمذي نفسه. انظر: الطحاوية ص٧١ السلسلة الضعيفة ١٧٧٦، وضعيف الجامع ٢٠٨١ وسيأتي ص١٥٧.

(٧) إضافة إلى ما ذكر في الحديث قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٨].

(٨) قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [الأعراف: ٢].

(٩) وقال تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: ٢، ٣].

(١٠) الآية ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١]، ومنه يسمى القرآن مصدقاً ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩].

(١١) قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١٢) قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١].

(١٣) قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

المثاني[(١)]، الحكيم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ٢]، محكم[(٢)]، المفصَّل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] البرهان ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] على أحد القولين[(٣)]، ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[(٤)]، عربي مبين[(٥)]، أحسن الحديث[(٦)]، أحسن القصص[(٧)] على قول[(٨)]، كلام الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، العلم ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]، العلي الحكيم ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٤]، القيم ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢، ٣]، وحي في قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، حكمة في قوله: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٢) قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

(٣) والقولان في معنى «البرهان»، قال قتادة: القرآن، وقال سفيان الثوري: هو النبي ﷺ أما النور المبين فهو القرآن. زاد المسير ٢/ ١٦٤.

وأما القرطبي فلم يذكر سوى قول سفيان؛ أي: أن البرهان هو النبي ﷺ، والطبري ذكر آثاراً عن مجاهد والسدي أنه بمعنى حجة، قال القرطبي: والمعنى متقارب. انظر: الطبري ٩/ ٤٢٨ (المحققة)، والقرطبي ٦/ ٢٧، وابن كثير ٢/ ٤٣٤ (الشعب).

(٤) قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] وفيها تسمية القرآن حقاً.

(٥) قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

(٦) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٧) قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣].

(٨) القولان في أحسن القصص: قال قتادة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، قال: من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم. وقال الضحاك: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، قال: القرآن.

والثاني أوضح وأولى لأنه هو سبب النزول كما سيأتي في مبحث الإعجاز في قصص القرآن إن شاء الله تعالى ص٢٢٤. وانظر: تفسير الطبري ١٥/ ٥٥١ (المحققة)، والدر المنثور ٤/ ٤.

جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ [القمر: ٤، ٥] وفي قوله: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ [الرعد: ٣٧]، ونبأ على قول[1] في قوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: ٢]، ونذير على قول[2]: ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٦]، في حديث أبي موسى: «شافعاً مشفعاً وشاهداً مصدقاً»[3] وسماه النبي ﷺ: «حجة لك أو عليك»[4]، وفي حديث الحارث عن علي «عصمة لمن تمسك به»[5].

---

(١) اختلف أهل التفسير في المراد بقوله ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ على ثلاثة أقوال:
أحدها: القرآن: وهو الذي أشار إليه الشيخ ابن تيمية وهو قول مجاهد ومقاتل والفراء.
الثاني: البعث: قاله قتادة.
الثالث: أنه أمر النبي ﷺ وهذا حكاه الزجاج.
انظر: ابن جرير ١٥/ ٢ (الفكر) وقد رجح الأول ولم يذكر سوى الاثنين، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٧١، والقرطبي ١٦٨/٢٠ ولم يذكر سوى الاثنين، وزاد المسير ٩/ ٤ وهو الذي نقل الثالث أيضاً.

(٢) اختلف أهل التفسير في المراد بقوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ﴾ وفيه قولان:
الأول: أنه القرآن: وهو قول قتادة.
الثاني: أنه النبي ﷺ وهو قول ابن جريج.
انظر: زاد المسير ٨/ ٨٥.

(٣) الحديث: لم أجده عن أبي موسى الأشعري، ولكن قال المنذري: وفي حديث عبد الله بن مسعود موقوفاً قال: «إن هذا القرآن شافع مشفع» رواه البزار موقوفاً ورواه مرفوعاً من حديث جابر وإسناد المرفوع جيد، وصححهما الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢١.
وروى مسلم ١/ ٥٥٣، وأحمد ٥/ ٢٤٩ ـ ٢٥١، وابن الضريس ١٠٨، والحاكم ١/ ٧٤٣ عن أبي أمامة مرفوعاً «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه».

(٤) الحديث عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً أخرجه مسلم كتاب الطهارة ١/ ٢٠٣، والترمذي في كتاب الدعوات باب ٨٦ ـ ٥/ ٥٣٥، والنسائي في كتاب الزكاة باب ١ ـ ٥/ ٧، وابن ماجه كتاب الطهارة باب ٥ ـ ١/ ١٠٢.

(٥) هو حديث علي السابق وقد أشار الترمذي إلى ضعفه ٥/ ١٣٢، وأشار الألباني إلى ضعفه أيضاً في تعليقه على الطحاوية ص٧١ كما سبق ص١٥٥.
وروى الدارمي مثله عن عبد الله بن مسعود في السنن كتاب فضائل القرآن باب١ ص٨٢٧، وأخرجه الحاكم كتاب فضائل القرآن حديث ٢٠٤٠ وقال صحيح الإسناد ١/ ٧٤١، وقال عنه الذهبي: إبراهيم بن مسلم أحد رجال إسناده: ضعيف، قال الألباني=

وأما وصفه بأنه يقص وينطق ويحكم ويفتي ويبشر ويهدي، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل: ٧٦]، ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ [الجاثية: ٢٩]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧]؛ أي: يفتيكم أيضاً، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]. [الإسراء: ٩]. اهـ[2].

ثم يفصل أكثر فيقول عن الأوصاف: وهو سبحانه يصف كلامه بأنه يحكم ويقص ويفتي، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وكقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: وما يتلى عليكم يفتيكم فيهن، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وإذا أضيف الحكم والقصص والإفتاء إلى القرآن الذي هو كلام الله فالله هو الذي حكم به، وأفتى به، وقص به كما أضاف ذلك إلى نفسه في غير موضع[3]. اهـ[4].

= وهذا إسناد لا بأس به في المتابعات رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، غير الهجري واسمه إبراهيم بن مسلم وهو لين الحديث. السلسلة الصحيحة ٢/٢٦٧ وله متابع آخر. أخرجه الحاكم كتاب فضائل القرآن ١/٧٥٥، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، ولفظه «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه..» الحديث.

والحارث: هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمذاني صاحب علي كذبه الشعبي، ورمي بالرفض، في حديثه ضعف مات في خلافة ابن الزبير. تقريب التهذيب ١/١٤١.

(١) ولقد تكلم عن دلالة هذه الآية على أن القرآن أقوم الطرق إلى أشرف المطالب في الرد على المنطقيين ص١٦٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/١ ـ ٢.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨]، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠].

(٤) منهاج السنة ٢/٢٥٥.

المطلب الثاني

الحكمة من تعدد الأسماء والأوصاف

ونجد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ كذلك لم يكتفِ بسرد الأسماء والأوصاف والاستدلال لبعضها ويشير إلى الحكمة من ذلك، بقوله: «الأسماء المترادفة والمتباينة[١]، كلفظ الصارم والمهند والسيف فإنها تشترك في دلالتها على الذات، فهي من هذا الوجه كالمتواطئة[٢]، ويمتاز كل منها بدلالته على معنى خاص؛ فتشبه المتباينة، وأسماء الله وأسماء رسوله وكتابه من هذا الباب». اهـ[٣].

ثم يفصّل في هذه القاعدة عملياً فيتكلم عن اسم الكتاب والقرآن والفرق بينهما فيقول: قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] «والكتاب» اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق، فإن الكلابية[٤] أو بعضهم

---

(١) الترادف: الاتحاد في المفهوم العام، أو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.
والتباين: عدم صدق أحد الأمرين على شيء مما صدق عليه الآخر. ومراد الشيخ هنا التباين الجزئي. التعريفات ٥١ ـ ٥٦.

(٢) المتواطئ: هو الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السواء. التعريفات ص١٩٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٩٤.
ويقول في موضع آخر من مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٨: «القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر». اهـ. وانظر: مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٧.

(٤) الكلابية: أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ومذهبهم إثبات الأسماء والصفات على طريقة المتكلمين، فهم من متكلمة أهل الإثبات ويوافقون أهل السنة والجماعة في كثير من مسائل العقيدة بل أقرب إلى أهل السنة من الأشاعرة في مسائل القدر والأسماء والأحكام..
وانظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٠٣، و٤/ ١٢ ـ ١٤ ـ ١٤٧ ـ ١٥٦ ـ ١٧٤ ـ ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٥٠.

يفرق بين كلام الله وكتاب الله، فيقول: كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق، وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق.

و«القرآن» يراد به هذا تارة وهذا تارة، والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآناً وكتاباً وكلاماً، فقال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر: ١]، وقال: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١]، وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠] فبين أن الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨]، وقال: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣]، وقال: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧].

ولكن لفظ الكتاب، قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام، وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨]، وقال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

و«المقصود هنا» أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] يتناول نزول القرآن العربي على كل قول. اهـ[١].

ويقول عن لفظ القرآن وأصله المراد به المصدر أم المفعول به فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «ولفظ «القرآن» يراد به المصدر، ويراد به الكلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٧ ـ ١٩]، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: «إن علينا أن نجمعه في قلبك، وتقرأه بلسانك»[٢]، وقال أهل العربية: يقال: قرأت الكتاب قراءة

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) رواه البخاري (الفتح) ٨/ ٦٨١ كتاب التفسير باب ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، و٨/ ٦٨٢ =

وقرآناً[١]، ومنه قول حسان[٢]:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا[٣]

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وهم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون مسمى المصدر الذي هو الفعل فإن ذلك لا يسمع، فقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] من هذا الباب، من باب نقرأ عليك أحسن القصص، ونتلو عليك أحسن القصص، كما قال تعالى: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ [القصص: ٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ [القيامة: ١٨]، قال ابن عباس: أي: قرأه جبريل[٤]: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] فاستمع له حتى يقضي قراءته.

والمشهور في قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنه منصوب على المفعول به فكذلك أحسن القصص، لكن في كليهما معنى المصدر أيضاً كما تقدم، ففيه معنى المفعول به ومعنى المصدر جميعاً، وقد يغلب هذا كما في قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧] فالمراد هنا نفس مسمى المصدر، وقد يغلب هذا تارة، كما في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

= باب ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾، وكتاب فضائل القرآن باب الترتيل في القراءة ٩/٨٨، ومسلم في كتاب الصلاة رقم ٤٤٨.

(١) وانظر: اللسان ١/١٢٨، والقاموس المحيط ٦٢.

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر شاعر رسول الله ﷺ صحابي معروف ت٤٠هـ أو بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٥١٢، والإصابة ٢/٨.

(٣) البيت في ديوان حسان ص٢١٦، ولسان العرب ١٣/٢٩٤، والبداية والنهاية ٧/٢٠٥.

(٤) رواه البخاري (الفتح) ٨/٦٨٢ كتاب التفسير سورة القيامة باب ٢.

وغالباً ما يذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام، لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى المصدر.

ومثل هذا كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائماً وإما غالباً فيطلق الاسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة.اهـ[1].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن اسم «الفرقان»:

قال تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٤].

قال جماهير المفسرين: هو القرآن، روى ابن أبي حاتم بإسناده[2] عن الربيع بن أنس[3] قال: هو الفرقان، فرق بين الحق والباطل. قال روي عن عطاء[4]، ومجاهد[5]، ومِقسم[6] ....

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٦/١٧ ـ ٣٧. والذي يشير لأحدهما هو السياق، والله أعلم.

(٢) وإسناده: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع. قال محقق أول سورة آل عمران د.حكمت بشير: «إسناده حسن»، تفسير ابن أبي حاتم ١ ق٣٦/٢.

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخرساني المروزي بصري، سمع من أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري، وعنه روى سليمان التيمي والأعمش وابن المبارك وآخرون. كان عالم مرو في زمانه، وحديثه في السنن الأربعة توفي سنة ١٣٩هـ. سير أعلام النبلاء ١٦٩/٦.

(٤) عطاء بن يسار حدث عن أبي أيوب وزيد وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، وروى عنه زيد بن أسلم وصفوان وعمرو بن دينار وغيرهم، ثقة يرسل مات سنة ١٠٣هـ. سير أعلام النبلاء ٤٤٨/٤، والتقريب ٢٢/٢، ٤٤٨/٤، ٢٢/٢.

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي أمام القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس كثيراً وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وروى عن أبي هريرة وعائشة وغيرهما، وروى عنه عكرمة وطاووس وعطاء وعمرو بن دينار وغيرهم كثير، توفي ١٠٤هـ. سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤.

(٦) مقسم بكسر أوله، ابن بجرة بضم أول وسكون الجيم، أبو القاسم مولى عبد الله بن=

وقتادة[١]، ومقاتل[٢] بن حيان، نحو ذلك.

وروى بإسناده عن شيبان[٣] عن قتادة في قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، قال: هو القرآن الذي أنزل الله على محمد ﷺ ففرق به بين الحق والباطل وبيّن فيه دينه، وشرع فيه شرائعه، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحدّ حدوده، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته.

وعن عباد بن منصور[٤] سألت الحسن[٥] عن قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، قال: هو كتاب بحق[٦].

والفرقان: مصدر فرق فرقاناً، مثل الرجحان والكفران والخسران، وكذلك القرآن هو في الأصل: مصدر قرأ قرآناً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]

= الحارث، ويقال له: مولى ابن عباس للزومه له، صدوق وكان يرسل مات سنة ١٠١هـ. التقريب ٢/ ٢٧٣.

(١) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، سمع من أنس وسعيد بن المسيب وأبي رافع، وسمع منه أيوب السختياني والأوزاعي وشعبة بن الحجاج وغيرهم، وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع، وهو مدلس من الطبقة الثالثة مات سنة١١٨هـ. طبقات المدلسين ٦٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩، التقريب ٢/ ١٢٣.

(٢) مقاتل بن حيان بن دوال دور، محدث ثقة، حدث عن الشعبي ومجاهد والضحاك وعكرمة وغيرهم، وعنه علقمة بن مرثد وبكير بن معروف وإبراهيم بن أدهم وابن المبارك وغيرهم، ت١٥٠هـ تقريباً. سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٠، التقريب ٢/ ٢٧٢.

(٣) شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم، ثقة صاحب كتاب، روى عن الحسن ويحيى بن كثير وقتادة وغيرهم، وعنه أبو حنيفة وأبو داود وأبو نعيم وغيرهم، ت١٦٤هـ. سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٠٦، التقريب ١/ ٣٥٦. وإسناده قال عنه محقق تفسير ابن أبي حاتم؛ د. حكمت: إسناده صحيح.

(٤) عباد بن منصور أبو سلمة الناجي، روى عن عكرمة والقاسم وعطاء وغيرهم، وعنه يحيى القطان ويزيد بن هارون وروح وغيرهم، صدوق رُمِيَ بالقدر وكان يدلس، واختلط بآخر عمره ت١٥٢هـ. سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٥، والتقريب ٣٩٣.

(٥) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، سيد أهل زمانه علماً وعملاً روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وخلق من الصحابة، وروى عنه خلق من التابعين، ثقة فاضل، يرسل ويدلس من الثانية توفي ١١٠هـ. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، والتقريب ١/ ١٦٥، وطبقات المدلسين ص٤٦.

(٦) قال محقق تفسير ابن أبي حاتم؛ د. حكمت بشير: في إسناده موسى بن محكم لم أقف على ترجمة له. ابن أبي حاتم ق٢ ١/ ٣٢ - ٣٧.

ويسمى الكلام المقروء نفسه «قرآناً» وهو كثير كما في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، كما أن الكلام اسم مصدر كلمة تكليماً، وتكلم تكلماً، ويراد به الكلام نفسه، وذلك لأن الإنسان إذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر، وحصل من الحركة صوت يقطع حروفاً هو نفس التكليم، فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا، ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعاً من العمل إذا أريد به المصدر، وتارة يجعل قسيماً له إذا أريد ما يتكلم به، وهو يتناول هذا وهذا، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

و«المقصود هنا» أن لفظ الفرقان إذا أريد به المصدر كان المراد: أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل، وهذا منزل في الكتاب، فإن في الكتاب الفصل وإنزال الفرق: هو إنزال الفارق، وإن أريد بالفرقان ما يفرق، فهو الفارق، فهما في المعنى سواء، وإن أريد بالفرقان نفس المصدر فيكون إنزاله كإنزال الإيمان والعدل، فإنه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن، كما جعل فيها الإيمان والعدل، وهو ﷺ أنزل الكتاب والميزان، والميزان قد فسر بالعدل، وفسر بأنه ما يوزن به ليعرف العدل[١]، وهو كالفرقان يفسر بالفرق، ويفسر بما يحصل به الفرق، وهما متلازمان، فإذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه، وإذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق، ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الأخرى، سُمِّيَ كتاباً باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب، وسُمِّيَ فرقاناً باعتبار أنه يفرق بين الحق والباطل كما تقدم، كما سمي هدى باعتبار أنه يهدي إلى الحق، وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه. اهـ[٢].

---

(١) التفسير الأول: ينسب إلى ابن عباس وقتادة، والثاني: ينسب إلى ابن زيد ومقاتل. وانظر: زاد المسير ٨/ ١٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٧ ـ ٩.

وأما عن الأوصاف فنجده عندما تحدث عن وصف الإحكام والتشابه يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه، وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه متشابه، فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه، والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه، قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١] فأخبر أنه أحكم آياته كلها، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] فأخبر أنه كله متشابه.

والحَكَمُ هو الفصل بين الشيئين، فالحَاكِم يفصل بين الخصمين، والحُكْمُ فصل بين المتشابهات، علماً وعملاً، إذا ميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والنافع والضار، وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار، فيقال: حكمت السفية وأحكمته، إذا أخذت على يديه، وحكمت الدابة وأحكمتها، إذا جعلت لها حِكْمَة، وهو ما أحاط بالحنك من اللجام، وإحكام الشيء إتقانه، فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، وتمييز الرشد من الغي في أوامره[١]، والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان، فقد سماه الله حكيماً بقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١] فالحكيم بمعنى الحاكم، كما جعله يقص بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦﴾ [النمل: ٧٦]، وجعله مفتياً في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧]؛ أي: ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن، وجعله هادياً ومبشراً في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الإسراء: ٩].

وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢] وهو الاختلاف المذكور في قوله ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩﴾ [الذاريات: ٨، ٩].

---

(١) وانظر: اللسان ١٢/ ١٤٠ ـ ١٤٥.

فالتشابه هنا: هو تماثل الكلام وتناسبه[١]: بحيث يصدق بعضه بعضاً، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته[٢]، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر، بل نهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته، إذا لم يكن هناك نسخ.

وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك، بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته، بل ينفيه أو ينفي لوازمه، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضاً، فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهي عنه في وقت واحد، ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر.

فالأقوال المختلفة هنا: هي المتضادة، والمتشابهة هي المتوافقة، وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ، فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضاً، ويعضد بعضها بعضاً، ويناسب بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، ويقتضي بعضها بعضاً: كان الكلام متشابهاً، بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضاً.

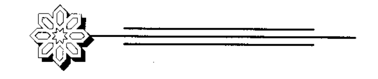
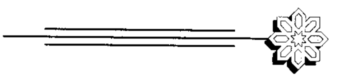
فهذا التشابه العام: لا ينافي الإحكام العام، بل هو مصدق له، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً لا يناقض بعضه بعضاً، بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص، والتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك، والإحكام هو الفصل بينهما: بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر، وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما». اهـ[٣].

---

(١) والقرآن مملوء من التسوية بين المتماثلين. انظر: الرد على المنطقيين ص٣٨٢. وتماثل الكلام وتناسبه: هو تصديق بعضه بعضاً كما عرفه الشيخ بذلك. وانظر: اللسان ١١/ ٦١٠.

(٢) الملزومات: واحدها ملزوم والملازمة: وهي كون الشيء مقتفياً للآخر، والأول الملزوم والثاني اللازم، كوجود النهار لطلوع الشمس فطلوع الشمس ملزوم ووجود النهار لازم. التعريفات ص٢٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٥٩ ـ ٦٢، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

 المبحث الثاني 

إعجاز القرآن في السورة القصيرة والآية والآيتين

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «قال ابن عقيل(١)... وإنما يبين تعجيز القوم إذا طال وجمع من استعاراتهم(٢) وأمثالهم وصفاتهم، ولا نص بجواز الألفاظ إلا إذا طالت، ولهذا لا يحصل التحدي بمثل بيت(٣)، ولا بالآية والآيتين! ولهذا جُعِل حكم القليل منه غير محترم احترام الطويل، فسوغ الشرع للجنب والحائض تلاوته، كل ذلك لأنه لا إعجاز فيه..».

قلت: [القائل شيخ الإسلام] ما ذكره من أن السورة القصيرة لا إعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء(٤)، ويقولون: بل السورة معجزة بل ونازعه بعض

---

(١) هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد، العالم الفقيه الحنبلي، برع في الفقه وأصوله، وله مؤلفات كثيرة منها: كتاب الفنون في شتى العلوم، والفصول، والمفردات، والإرشاد، ونفي التشبيه وغيرها، توفي ٥١٣هـ. وانظر: الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ١٤٢ ـ ١٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣.

(٢) الاستعارة: ادعاء معنى زائد في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البيِّنِ، كقولك لقيت أسداً، وأنت تعني الرجل الشجاع. وانظر: التعريفات ص٢٠.

(٣) البيت من الشعر مشتق من بيت الخباء، وهو يقع على الصغير والكبير كالرجز والطويل وذلك لأنه يضم الكلام كما يضم البيت أهله. اللسان ٢/ ١٤.

(٤) أكثر العلماء على أن السورة القصيرة معجزة أو ما هو بقدر السورة القصيرة من الآيات. وانظر: إعجاز القرآن للباقلاني ٢٥٤، وابن كثير ١/ ٦٢ طبعة دار المعرفة ١٣٨٨هـ، وهو غير موجود في طبعة الشعب فتأمل.

قال ابن كثير: «فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها وهذا لا أعلم فيه نزاعاً بين الناس سلفاً وخلفاً».اهـ. وانظر أيضاً البرهان ٢/ ١٠٨، والإتقان ٤/ ١٧، وذكروا لذلك أقصر سورة وهي الكوثر وما فيها من وجوه الإعجاز.

الأصحاب[١] في الآية والآيتين، قال أبو بكر ابن العماد[٢] ـ شيخ جدي أبي البركات ـ[٣]: قوله: إنما جاز للجنب قراءة اليسير من القرآن لأنه لا إعجاز فيه، ما أراه صحيحاً، لأن الكل محترم، وإنما ساغ للجنب قراءة بعض الآية توسعة على المكلف، ونظراً في تحصيل المثوبة والحرج مع قيام الحرمة، كما سوغ الصلاة مع يسير الدم مع نجاسته[٤]. اهـ[٥].

---

(١) الأصحاب: أي: أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، لأن المذكورين كلهم علماء الحنابلة.

(٢) هو محمد بن معالي بن غنيمة، البغدادي المأمولي المقرئ الزاهد أبو بكر الحلاوي، ويلقب عماد الدين ولد بعد سنة ٥٣٠هـ، سمع من أبي الفتح الكروخي وابن الزاغوني وسعيد بن البنا وابن المني وغيرهم، برع في المذهب وانتهت إليه معرفته مع الديانة والورع والانقطاع عن الناس، أثنى عليه ابن القادسي وابن الناصح كثيراً. قال الذهبي هو شيخ الحنابلة في زمنه ببغداد وعليه تفقه الشيخ المجد جد شيخنا ابن تيمية. اهـ. وتفقه عليه أيضاً ابن الصيرفي وابن القطيعي، توفي ﷺ سنة ٦١١هـ.
انظر ترجمته في: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٧٧ ـ ٧٩، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ص٨١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الله الخضر بن تيمية مجد الدين أبو البركات، فقيه إمام مقرئ محدث مفسر أصولي نحوي، من مصنفاته: المنتقى من أحاديث الأحكام، الأحكام الكبرى والمحرر في الفقه، والمسودة في أصول الفقه، توفي يوم عيد الفطر من سنة ٦٥٢هـ. وانظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٩١، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص٢٠٨. وسبق ذكر شيء من ترجمته ص٢٨.

(٤) قال ابن قدامة في المغني: «أكثر أهل العلم يرون العفو عن يسير الدم والقيح وممن روي عنه ذلك: ابن عباس وأبو هريرة وجابر وابن أبي أوفى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهد وعروة ومحمد بن كنانة والنخعي وقتادة والأوزاعي والشافعي في أحد قوليه وأصحاب الرأي، وكان ابن عمر ينصرف من قليله وكثيره، وقال الحسن: كثيره وقليله سواء، ونحوه عن سليمان التيمي، لأنه نجاسة فأشبه البول... ثم شرع في الترجيح. انظر: المغني ١/ ٧٢٥.

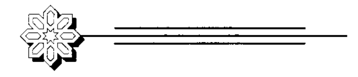
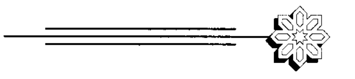
(٥) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٢.

ثم نراه أيضاً يؤكد أسلوب القرآن وتميزه عن ألوان الكلام البشري في كل جزء منه سواء طال أو قصر فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن القرآن له شأن اختص به، لا يشبهه كلام البشر؛ لا كلام نبي ولا غيره، وإن كان نزل بلغة العرب، فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله». اهـ[١].



(١) مجموع الفتاوى ١٦/٥٣٦.

 المبحث الثالث 

إعجاز القرآن في حروف المعجم

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما حرف مجرد فلا يوجد لا في القرآن ولا في غيره، ولا ينطق بالحرف إلا في ضمن ما يأتلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني، وأما الحروف التي ينطق بها مفردة مثل: ألف، لام، ميم، ونحو ذلك، فهذه في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفاً باسم مسماها، كما يسمى ضرب: فعل ماض باعتبار مسماه، ولهذا لما سأل الخليل أصحابه كيف تنطقون بالزاء من زيد؟ قالوا: نقول «زا» قال جئتم بالاسم، وإنما يقال «زه»[1].

وليس في القرآن من حروف الهجاء ـ التي هي أسماء الحروف ـ إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً، وهي نصف أجناس الحروف: نصف المجهورة[2]، والمهموسة[3]، والمستعلية،[4] ....

(١) ونقل القصة أيضاً في الرد على المنطقيين ص١٢٩ مع اختلاف بعض الألفاظ، والقصة ذكرها الزمخشري في الكشاف بعبارة كيف تنطقون بالكاف والباء. وانظر: الكشاف ١٣/١.

(٢) المجهورة: المجهور من الحروف: ما أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع من أن يجري معه النفس حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، وهو لغة الإعلان، وحروف الجهر هي البقية الباقية بعد حروف الهمس العشرة وهي مجموع قولك «ظل قو ربض إذا غزا جند مطيع». التمهيد في علم التجويد ص٩٧، الدقائق المحكمة ص٣٩، إعجاز القرآن للباقلاني ص٤٤، والقاموس المحيط ص٤٧١.

(٣) المهموس: كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبني عليه أصول العربية. وهو لغة الخفاء، وحروف الهمس مجموعة في قولك: «فحثه شخص سكت». المراجع السابقة، والنشر ٢٠٢/١، والقاموس المحيط ص٧٥٠، وإعجاز القرآن للباقلاني ص٤٤.

(٤) المستعلية: الاستعلاء: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى. =

والمطبقة[(١)]، والشديدة[(٢)] والرخوة[(٣)]، وغير ذلك من أجناس الحروف، وهو أشرف النصفين[(٤)].

والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء، أو الأفعال، أو حروف المعاني[(٥)] ـ التي ليست باسم ولا فعل، فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم[(٦)] بأسمائها جميعها موجودة في القرآن، لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض[(٧)] الكلام موجودة في القرآن بل قد اجتمعت في آيتين: «إحداهما» آل عمران، «والثانية» في سورة الفتح؛ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ [آل عمران: ١٤٥] الآية، و﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية. اهـ[(٨)].

= وهو لغة من العلو وهو الارتفاع، وحروفه: «خص ضغط قظ». المراجع السابقة، والقاموس ص١٦٩٤.

(١) المطبقة: الإطباق: انطباق طائفة من اللسان بالحرف على الحنك الأعلى عند النطق وهو لغة الالتصاق، وحروفه أربعة: الصاد والضاد والظاء والطاء. المراجع السابقة، والقاموس المحيط ص١١٦٥.

(٢) الشديدة: الشدة: منع النفس أن يجري معها لقوتها في مخرجها، وهو لغة القوة، وحروفها ثمانية مجموعة في قولك: «أجدت كقطب». المراجع السابقة، والقاموس المحيط ص٣٧٢.

(٣) الرخوة: الرخاوة: هي جريان النفس مع الحرف، وهي لغة اللين، وحروفها ثلاثة عشر حرفاً وهي غير الشديدة وغير المتوسطة «لن عمر» والواو والياء، والرخو في اللغة الهش. المراجع السابقة، والقاموس المحيط ص١١٦١.

(٤) ولقد قرر ذلك الباقلاني في إعجاز القرآن ص٤٤ ـ ٤٦.
والزمخشري في الكشاف حتى قال: «والملغاة مكثورة بالمذكورة» الكشاف ١/١٧.

(٥) حروف المعاني: هي ما دل على معنى في غيره، نحو: من وإلى وثم. الأشباه والنظائر للسيوطي في النحو ٢/١٦.

(٦) حروف المعجم: هي أصوات غير مؤلفة ولا مقترنة ولا دالة على معنى من معاني الأسماء والأفعال والحروف إلا أنها أصل في تركيبها. الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٢/١٥.
والإعجام: هو النقط وسميت بذلك تغليباً.

(٧) حروف أبعاض الكلام: البعض حد منسوب إلى ما هو أكثر منه، كما أن الكل منسوب إلى ما هو أصغر منه، والمراد بها هنا أجزاء الكلمات، فكل كلمة تتكون من حروف. وانظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/١٦.

(٨) مجموع الفتاوى ١٢/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

 المبحث الرابع 

إعجاز القرآن بالإخبار بالمغيبات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
إخباره عما يسأل عنه من المغيبات

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً، لم ينزل جملة[(١)]، بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب، بين الذين آمنوا به وباطنوه[(٢)] واطلعوا على أسراره، وهو لا يعلم شيئاً من ذلك[(٣)]، ثم يخبرهم[(٤)]، وهم مطلعون على أمره، خبراً بعد خبر وسؤالاً بعد سؤال، وهذا كان بمكة، وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب لا اليهود ولا النصارى، ثم هاجر إلى المدينة وبها خلق كثير من يهود بني قينقاع،[(٥)] ....

(١) كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

(٢) باطنوه: من بطنت الأمر إذا عرفت باطنه، وأبطنت الرجل إذا جعلته من خواصك، وبطانة الرجل صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله، والمراد هنا: اطلعوا على أسراره وعرفوا ما قد يغمض على من بعد عنه من أخباره وأحواله. وانظر: اللسان ١٣/ ٥٣ ـ ٥٦.

(٣) جملة بين الذين آمنوا. .وجملة وهو لا يعلم شيئاً. . حاليتان لوصف حال النبي ﷺ عند سؤالهم له.

(٤) في المحققة «ثم يخبرهم به».

(٥) قينقاع: اسم شعب من اليهود كانوا بقرب المدينة ويضاف إليهم سوق كان بها، ويقال: سوق بني قينقاع، ثم أجلاهم النبي ﷺ لما أفسدوا وغدروا فنقضوا العهد. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٢٤.

وقريظة،[١] والنضير[٢]، ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها أو أقل أو أكثر، وهم أيضاً يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلا نبي فيخبرهم بها ويتلو عليهم ما سأله عنه المشركون من الغيب، وما أخبرهم به، ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله إليه، ويبين أن الله أعلمه ذلك، لم يعلمه إياه بشر، فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى، والطائفتان ليس فيهم من يقول: إن هذا تعلمه منا، أو من إخواننا، أو نظرائنا، ولا أنك قرأته في كتبنا[٣]، مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم، لكان شيوخه منهم وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم، يمتنع أن يصدقوه باطناً وظاهراً بل تصديقهم الكتاب الأول، وعلمهم بكذب من ادعى نزول كتاب ثانٍ، وقد تعلم منهم، يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه، ويقولوا للناس تعلم منّا، ونحن أخبرناه بذلك.

لا سيما مع ما فعله باليهود من القتل،[٤] والحصار،[٥] والجلاء،[٦]

---

(١) قريظة: اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة، وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون عليه السلام. اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٦.

(٢) النضير: جماعة من اليهود سكنوا حصناً قريباً من المدينة ثم أخرجهم النبي ﷺ منه لما نقضوا العهد. وانظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٣١٤.

(٣) مع أن هذا الأمر مما تتوفر الدواعي على نقله قطعاً فالطائفة الكافرة تقول على سبيل الذم والتنقص والمؤمنة تقوله على سبيل الفخر وبيان العلم.

(٤) كما فعل النبي ﷺ في بني قريظة حين نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه كما في البخاري ومسلم. وانظر: فتح الباري ٧/ ٤٠٧ كتاب المغازي باب مرجع النبي من الأحزاب، ومسلم ٢/ ١٣٨٨. وكما فعل في بعض يهود خيبر. وانظر: فتح الباري ٧/ ٤٦٩. وسبب حصار النبي لهم هو نقضهم العهد ـ للمرة الثانية بعد أن مَنَّ عليهم في الأولى ـ الذي بينهم وبين النبي ﷺ في أخطر وأحرج وقت وهو محاصرة الأحزاب للنبي ﷺ. وانظر: صحيح البخاري ٧/ ٣٢٩، ومسلم ٢/ ١٣٨٨، كتاب الجهاد والسير باب ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) كما وقع لبني النضير وقريظة كما سبق حاصرهم ثم قتل مقاتلتهم، وقبلهم بنو قينقاع. وانظر: فتح الباري ٧/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠، و٧/ ٤٠٧ كتاب المغازي، وسبب ذلك الغدر ونقض العهد.

(٦) الجلاء كما وقع لبني قينقاع حيث أجلاهم إلى أذرعات، ثم نقض بنو النضير فأجلاهم إلى خيبر. وانظر: فتح الباري ٧/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤، وذلك بسبب نقضهم العهد أيضاً.

والسبي،[١] وغير ذلك، وهذا لو وقع لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ينقله الموافق والمخالف فلما لم ينقل[٢] ذلك أحد، ولم ينقل أحد[٣] مع ما أظهره من الأخبار المستفيضة المتواترة التي علمها الخاص والعام، بأن هذا مما أنبأني الله، لم يخبرني به بشر، كان هذا دليلاً قاطعاً بيناً في أن هذه الأخبار الغيبية التي لا يعلمها إلا نبي أعلمه الله بها، أو من تعلمها من نبي أعلمه الله بها، وهي مما أنبأه الله به ولم يعلمه ذلك بشر، وهذا من الغيب الذي قال الله فيه في السورة التي ذكر فيها استماع الجن للقرآن، وإنذار قومهم به حيث قال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ١ ـ ٣]، إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝٢٨﴾ [الجن: ١٩ ـ ٢٨]، فقوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ يبين أنه غيب يضاف إليه يختص به، لا يعلمه أحد إلا من جهته، بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ

---

(١) السبي كما وقع ليهود خيبر. وانظر: صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٥، كتاب النكاح وسبب الغزوة هو استمرار العداء والمؤامرات من هؤلاء اليهود لا سيما بعد أن انضم إليهم يهود بني النضير. وانظر: السيرة لابن هشام ٣/ ١٩١ ـ ٢٧٣، وفتح الباري ٧/ ٤٦٤.

(٢) في المحققة (يقل).

(٣) في المحققة ولم ينقله أحد. وعليه تكون العبارة [فلما لم يقل ذلك أحد ولم ينقله أحد] والله أعلم.

غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

فهذه أنباء الغيب التي أوحاها إليه هي من الغيب الذي لا يظهر الله عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً يرصدون من يأتيه من إنسي وجني فيدفعونه ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل، وهي غير المسائل التي كان يسئل عنها وهو بمكة، كما كان مشركوا قريش يرسلون إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد، فيرسل اليهود إليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته»(١)(٢). .

المطلب الثاني

إخباره عن الغيبيات الماضية

قال شيخ الإسلام عن دلالة أخبار الأمم السالفة وأحوالهم مع أنبيائهم وصالحيهم بعد كلامه عن قصة أهل الكهف: «قلت:(٣) والأمر على ما ذكر السلف، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإن مكثهم نياماً لا يموتون ثلاثمائة سنة(٤) آية دالة على قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء فليس كما يقوله أهل الإلحاد، وهي آية على معاد الأبدان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١] وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم، هل تعاد الأرواح دون الأبدان، أم الأرواح والأبدان؟ فجعل الله أمرهم آية لمعاد الأبدان.

وإخبار النبي ﷺ بقصتهم من غير أن يعلمه بشر، آية على نبوته فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والإيمان

---

(١) كما أرسلوا إليهم أن يسألوه: عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وذي القرنين وغيرهم، ولقد فصّل فيها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح ٤/ ٥١ ـ ٥٣، والمحققة ٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦٣.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٥٧ ـ ٥٩، والمحققة ٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧٢.

(٣) القائل شيخ الإسلام.

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥].

برسله، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب، بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك.

وقد ذكر الله تعالى سؤالهم له عن الآيات التي كانوا يسألونه عنها ليعلموا: هل هو نبي صادق أم كاذب؟ فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣][1]، وقال: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢] إلى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١٠٥ ـ ١١١]، وقال تعالى لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣]؛ أي: يسألونك ذاك[2] ويسألونك عن هذا.

والقرآن مملوء من أخبار عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه أحد من البشر إلا من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي

---

(١) ذو القرنين: هو عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل: مصعب بن عبد الله، وينتهي إلى قحطان كان قبل المسيح بنحو ٢٣٠٠ سنة وهو المذكور في سورة الكهف وهو ملك من الملوك العادلين، قيل: كان نبياً، وقيل: كان رسولاً، وقد أسلم على يد إبراهيم الخليل عليه السلام، وسمي بذي القرنين لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض، وهو ذو القرنين الأول تمييزاً له عن ذي القرنين الثاني «اسكندر بن فيليبس». وانظر: البداية والنهاية ٢/ ٩٥ ـ ٩٨، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، راجع: التعليق الجيد للشيخ محمد حامد الفقي على ما ذكره ابن القيم بشأن ذي القرنين.

(٢) في المحققة (عن ذاك).

تزعمه ملاحدة المتفلسفة[١]، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة، لا يؤخذ خبرها قط إلا عن نبي كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وليس أحد ممن يدعي المكاشفات[٢]، لا من أولياء الله، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم، التي لا يشركهم فيها غيرهم». اهـ[٣].

المطلب الثالث

إخباره عن المغيبات المستقبلة

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات شيء كثير كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: ١ ـ ٤] فغلبت الروم فارس[٤] في بضع سنين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما

---

(١) للمزيد من الرد على قول ملاحدة الفلاسفة ألف كتابه الصفدية.

(٢) المكاشفات جمع مكاشفة: وهي عند أصحابها: حضور لا ينعت بالبيان. فأصحابه لم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيحاء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بمقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، ولا يكون إلا عن طريق تبني الفلسفة الفيضية وإكمالها بالتصوف عن طريق الرياضة والذوق. وانظر: التعريفات للجرجاني ٢٢٧، وبغية المرتاد ٢١٧.
ولا يخفى على القارئ أن هذا النوع من المكاشفات باطل وما يترتب عليه باطل فإن المدار على ما ثبت في الكتاب والسنة على ما يدعونه من الغيب.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٥٢ ـ ٥٣، والمحققة ٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٤.

(٤) الروم: جيل معروف واحدهم رومي، ينتمون إلى عيصو بن إسحاق عليه السلام. اللسان ١٢/ ٢٥٨.
وروى النسائي في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝﴾ قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروا لأبي بكر فذكر أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أما إنهم سيغلبون» فذكره أبو بكر رضي الله عنه، فقالوا: «اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين».
وفي الترمذي «فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ، فقال: ألا جعلتها إلى دون ـ أراه قال: العشر ـ ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ=

مضى[(١)]، وكقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] وكان كما أخبر.

وروى الدارمي[(٢)] عن أبي بن كعب[(٣)]، قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله ﷻ؟ فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥] إلى آخر الآية[(٤)]، وكان كذلك استخلف الله المؤمنين في الأرض ومكَّن لهم دينهم في مشارق الأرض ومغاربها.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]، وكان كما أخبر ووعد، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٧] وكان كما أخبر، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي

= بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾. رواه النسائي في التفسير ٢/ ١٤٩، والترمذي ٥/ ٣٤٣، وقال: حسن صحيح غريب، وذكره ابن كثير عنهما في التفسير ٨/ ٣٠٤، وقد أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٦ ـ ٣٠٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٥ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(١) يعني رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب الصحيح ١/ ٨٨.

(٢) هو: أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان الدارمي السرخسي الإمام الفقيه الحافظ الثبت، أبو جعفر، سمع الحديث، وأكثر التطواف، وتوسع في العلم، وظهر صيته وتولى قضاء سرخس، وتوفي بنيسابور ٢٥٣هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٣٣، وتقريب التهذيب ١/ ١٥، وأسباب النزول للواحدي ص٢٤٨.

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيد القراء، أبو منذر الأنصاري ويكنى أبا الطفيل، توفي سنة ٣٠هـ، وقيل: ٢٢هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩ ـ ٤٠٢، والتقريب ١/ ٤٨.

(٤) قال الهيثمي ٧/ ٨٣: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.اهـ.
ورواه الحاكم ٢/ ٤٣٥ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فأخبر أنهم لن يفعلوا وكان كما أخبر.

وأخبر أنه قال للمسيح: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] وكان كما أخبر.

وأنزل في مكة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٤، ٤٥] فكان كما أخبر، هزم الجمع وولوا الدبر[(١)].

وقال: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفتح: ٢٢] فكان كما أخبر، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤] وكان كما أخبر[(٢)].

وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] وكان كما أخبر[(٣)].

وقال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ[(٤)] ﴿١١١﴾

---

(١) وذلك يوم بدر كما أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: اللهم أني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ـ وهو يثب في الدرع ـ فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].
والحديث في البخاري كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الفتح ٨/ ٦١٩، وانظر: ابن كثير في تفسيره ٧/ ٤٥٦، وتفسير النسائي ٢/ ٣٦٩.

(٢) قال ابن كثير: «وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها..». وانظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢.

(٣) فدارت الدائرة عليهم في كل موقف حاولوا فيه حرب أحد غلبوا، فلما خالفوا التوراة سلط الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس، ثم بعده المجوس، ثم المسلمين. وانظر: روح المعاني ٦/ ١٨٣.

(٤) قال ابن كثير في تفسيرها: «وهكذا وقع فإنهم يوم خيبر أذلهم الله وأرغم آنافهم، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، كلهم أذلهم الله، وكذلك=

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ[1] وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١١، ١١٢].

وقال: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الفتح: ٢٢]، وقال ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] وكان كذلك، فلم يقاتلوهم بعد نزول الآية إلا انتصر عليهم المسلمون، وما زال الإسلام في عزٍّ وظهور حتى ظهر على أهل المشرق والمغرب.

وقال تعالى خطاباً لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٦]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة: ٦، ٧] فأخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبداً وكان كما أخبر، فلا يتمنى اليهود الموت أبداً، وهذا دليل من وجهين: من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً، ومن جهة صرف الله لدواعي اليهود عن تمني الموت مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة، وهم مع حرصهم على تكذيبه لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمني الموت.

وقال في سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا

= النصارى بالشام كسرهم الصحابة في غير ما موطن وسلبوهم ملك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولا تزال عصابة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم كذلك» ٢/ ٨٦.

(١) ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بذمة من الله وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة، ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أمان منهم لهم كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين» .اهـ. تفسير ابن كثير ٢/ ٨٦.

مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ٢٨]، وقال عن أبي لهب[1] عمه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ [المسد: ١ ـ ٣] فكان كما أخبر به، مات الوليد[2] كفّاراً، ومات أبو لهب كافراً.

وقال في سورة الفتح: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠]، وقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ[3] سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح: ١٦] وهذا كله وقع كما أخبر، فحصلت لهم الغنائم الكثيرة ودخلوا المسجد الحرام آمنين، ودعيت الأعراب إلى قتال الروم والفرس، يقاتلونهم أو يسلمون، فلا بدّ من القتال أو الإسلام، وليس هناك هدنة بلا قتال ولا إسلام[4] كما كان يكون قبل نزول آية الجزية[5].

---

(١) هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، كني بأبي لهب لإشراق وجهه، وأمه لبنى بنت هاجر الخزاعي، وامرأته أروى بنت حرب (أم جميل) مات بعد سبع ليال من وقعة بدر سنة ٢هـ بمكة وهو على كفره وذلك بالقرحة القاتلة وتسمى (العدسه). وانظر: سيرة ابن هشام ١/١٠٨ ـ ١١٠ ـ ٣٥٤، والفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٢٣٢.

(٢) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو المخزومي من زعماء قريش ورؤسائها وهو الوحيد الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١].
كما أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٠، وقال على شرط البخاري، وأقره الذهبي على شرط البخاري.
وكما ذكر ذلك أيضاً ابن كثير في التفسير ٨/ ٢٩١، وفي البداية والنهاية ٣/ ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٢٣٤، وذكر وفاته سنة ٢هـ، وسيأتي ذكر سبب نزول الآيات فيه ص٢٩٧ ـ ٣٣٨ ـ ٣٤٤.

(٣) جمع أعرابي وهو البدوي. وانظر: اللسان ١/ ٥٨٦.

(٤) في المحققة بدون كلمة (ولا إسلام).

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ=

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر] فدخل الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح، فما مات النبي ﷺ وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام.

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾ [الحشر: ١١، ١٢] وكذلك كان، فروى أهل التفسير والمغازي والسير أن هذه الآية نزلت في المنافقين: كعبد الله بن أبي[١]، وعبيد الله[٢]، بن نبتل[٣]، ورفاعة بن تابوت[٤] ونحوهم، كانوا يقولون لبني النضير، وهم اليهود حلفاؤهم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الحشر: ١١] الآية فأخبر الله عنهم أنهم لن يفعلوا ذلك، وكذلك كان.

وضرب لهم مثلاً بالشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] كذلك المنافقون وبنو النضير، وآياته ﷺ قد استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية: فإخباره[٥] عن

= ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

(١) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج قبل الإسلام، مات سنة ٩هـ. وانظر: جمهرة أنساب العرب ص٣٥٤، والأعلام ٤/ ٦٥.

(٢) في المحققة (عبدالله بن نبتل).

(٣) عبد الله بن نبتل بن الحارث من بني لوذان بن عمرو بن عوف، هو وأبوه من المنافقين. وانظر: السيرة لابن هشام ٢/ ٥٢١ ـ ٥٢٢، والبداية والنهاية ٣/ ٢٣٧.

(٤) رفاعة بن زيد بن تابوت، من بني قينقاع، كان عظيماً من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات أثناء رجوع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٦هـ. وانظر: السيرة لابن هشام ٣/ ٢٩٢.

(٥) في المحققة (وإخباره)، ويؤيدها السياق اللاحق.

الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين، ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير كما تقدم بعض ذلك». اهـ[1].

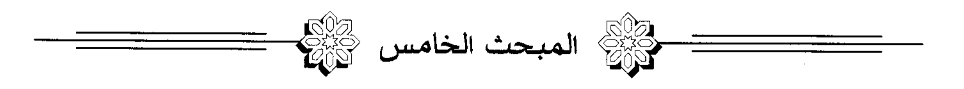
وقال في موضع آخر: «وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعاً[2] من القرآن مع إخباره في مواضع أكثر من ذلك أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد أخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بما شاء الله». اهـ[3].



(١) الجواب الصحيح ٤/١٢٩ ـ ١٣٣، والمحققة ٣/٦١٢ ـ ٦٢١.

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]، وقوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤].
ملاحظة: الآيات المخبرة عن علم الله بأشياء بعد تكوينها لا تدل على نسخ الآيات المخبرة بعلم الله للأشياء قبل تكوينها كما زعمت القدرية، فالعلم بالأشياء بعد حصولها قدر زائد على العلم بأنها ستكون. وانظر: مجموع الفتاوى ١٦/٣٠٤، و٥/٦٥ ـ ٦٨.

(٣) الرد على المنطقيين ص٤٦٥.



إعجاز القرآن ليس في الأمثال اللغوية فقط
والرد على من زعم الصرفة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
حصر الإعجاز في الأمثال اللغوية فقط

قال رَحِمَهُ اللهُ: «وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته[1] وبلاغته[2] فقط، أو نظمه[3] وأسلوبه[4] فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط.

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة

---

(١) الفصاحة في اللغة: عبارة عن الإبانة والظهور، وهي في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس، وفي الكلام: خلوصه عن ضعف التأليف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، وقد جمع الله ذلك كله لكتابه الكريم، وانظر: التعريفات للجرجاني ص١٦٧.

(٢) البلاغة عند أهل المعاني: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهي أخص مطلقاً من الفصاحة فكل بليغ فصيح ولا عكس، كشاف اصطلاحات الفنون ١/١٩٨.

(٣) النظم في الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل. التعريفات ٢٤٢.

(٤) الأسلوب: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف الكلام واختيار المفردات. انظر: الكليات ص٨٢، وخصائص القرآن للرومي ص١٨.

النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانية التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيَّن فيه الدلائل(١) اليقينية(٢)، والأقيسة(٣) العقلية، التي هي الأمثال المضروبة(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك(٥)، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له». اهـ(٦).

المطلب الثاني

بيان القول في إعجاز القرآن بالصرفة والرد عليه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: إنه

---

(١) الدلائل: جمع دليل، وهو في اللغة: المرشد وما به الإرشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم العلم به العلم بشيء آخر. التعريفات للجرجاني ص١٠٤.

(٢) اليقين لغة: العلم الذي لاشك فيه وتحقيق الأمر، وهو ضد الشك، والعلم نقيض الجهل. وانظر: اللسان ١٣/ ٤٥٧، والتعريفات ص٢٥٩.

(٣) الأقيسة جمع قياس وهو في اللغة: عبارة عن التقدير والمساواة، واصطلاحاً: هو رد الشيء إلى نظيره. وانظر: التعريفات ١٨١.

(٤) الأمثال المضروبة سيأتي تعريفها ص٢١١ في مبحث إعجاز القرآن في ضرب الأمثال.

(٥) في المحققة «ولا تناقض في ذلك».

(٦) الجواب الصحيح ٤/ ٧٤ ـ ٧٥، والمحققة ٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦، وانظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٤.

معجز بصرف الدواعي مع قيام[1] الموجب لها، أو بسلب القدرة الجازمة[2]؛ وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى التام[3]، أو سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله تعالى لزكريا[4]: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠] فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل[5]: وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس الإتيان بمثله، فامتناعهم ـ جميعهم ـ عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة ـ من أبلغ الآيات الخارقة للعادات ـ بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم ـ مع ذلك ـ من يشتكي! فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

ولو قدر أن واحداً صنف كتاباً، يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً يقدر[6] أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد، فإذا لم يعارضوه، كان هذا من العجائب[7] الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم

---

(١) في المحققة (تمام).

(٢) في المحققة (التامة) والمعنى سلب قدرتهم عن المعارضة فلا يستطيعون المعارضة.

(٣) جملة (هو أن الله صرف... المقتضى التام) بعد الآية في المحققة.

(٤) زكريا بن برخيا، ويقال: ابن دان، ويقال: ابن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم، ويمتد إلى سليمان بن داود عليهما السلام فهو من بني إسرائيل وكان نجاراً كما رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقد قص الله علينا قصة كفالته لمريم عليها السلام في سورة آل عمران ٣٧، وقصة طلبه من ربه الولد على كبر سنه في سورة آل عمران ٣٨ ـ ٤١، وفي سورة مريم ٢ ـ ١٥. وانظر: البداية والنهاية ٢/٤٣، وتفسير ابن كثير ٢/٢٨ ـ ٢٩.

(٥) التقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته. وانظر: اللسان ٥/٧٦.
التنزيل: أي التدرج في الاستدلال والمناقشة. وانظر: التعريفات ص٦٨.

(٦) في المحققة (يقدر أمثاله أن يقولوا).

(٧) في المحققة (من أبلغ العجائب).

وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم ـ كلهم ـ طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحداً لا يأتي بمثله.

فيقال: لايخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين ـ فإن كانوا قادرين ـ ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها من أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه ـ(١) فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد ـ(٢) فهذا من أبلغ الخوارق وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة.

فثبت كونه خارقاً للعادة على تقدير النقيضين(٣) النفي والإثبات، فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر، فهذا غاية التنزيل(٤)، وإلا فالصواب المقطوع به، أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد نفسه ﷺ من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن(٥)، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه، لكل من له أدنى تدبر(٦)، كما قد أخبر في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة، ولكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة، ولو كانوا قادرين لعارضوه.

---

(١) بداية جملة اعتراضية طويلة.

(٢) نهاية الجملة الاعتراضية.

(٣) التناقض: اختلاف الجملتين بالنفي والإثبات اختلافاً يلزم منه لذاته كون أحدهما صادقة والأخرى كاذبة. الكليات ص٣٠٥.

(٤) أي: التدرج في الاستدلال والمناقشة. التعريفات ص٦٨ وسبق تعريفه.

(٥) كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [يونس: ١٥].

(٦) التدبر في الأمر: التفكر فيه. وانظر: اللسان ٤/ ٢٧٣.

وقد انتدب[١] غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب[٢]، كقوله: «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين»[٣].

وكذلك أيضاً يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه.

وأيضاً فلا نزاع بين العقلاء ـ المؤمنين بمحمد ﷺ والمكذبين به ـ أنه كان قصده أن يصدقه الناس لا يكذبوه، وكان مع ذلك من أعقل الناس وأخبرهم وأعرفهم بما جاء به، ينال مقصوده، سواء قيل: إنه صادق أو كاذب، فإنه من دعا الناس إلى مثل هذا الأمر العظيم، ولم يزل حتى استجابوا له طوعاً وكرهاً، وظهرت دعوته وانتشرت ملته هذا الانتشار، هو من عظماء الرجال على أي حال كان.

فإقدامه ـ مع هذا القصد ـ في أول الأمر وهو بمكة، وأتباعه قليل، على أن يقول خبراً، يقطع به، أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، لا في ذلك العصر، ولا في سائر الأعصار المتأخرة، لا

---

(١) انتدب: استجاب وأسرع للداعي الذي ندبه، وهو دواعي المعارضة. وانظر: اللسان ١/ ٧٥٤.

(٢) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة في نجد، ادعى النبوة والوحي فقاتله أبو بكر ﷺ بجيش كبير بقيادة خالد بن الوليد فقتل سنة ١٢هـ. وانظر: الكامل ٢/ ٢٤٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٧٧ ـ ٢٨٢، وشذرات الذهب ١/ ٢٣.

(٣) ذكر هذه المقولة الطبري في تاريخه ٢/ ٢٧٦، وانظر: الكامل ٢/ ٢٤٤، البداية والنهاية ٦/ ٢٣١، وإعجاز القرآن للباقلاني ص١٥٦ وقال: فأما كلام «مسيلمة» الكذاب، وما زعم أنه قرآن، فهو أخس من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكر فيه وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ، وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، وميدان جهله واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله، كان جديراً أن يحمد الله: على ما رزقه من فهم، وأتاه من علم». اهـ.

يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقنه له، وإلا فمع الشك والظن، لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه فيفتضح، فيرجع الناس عن تصديقه.

وإذا كان جازماً بذلك، متيقناً له، لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله له بذلك.

وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه، إلا إذا علم العالم أنه خارج عن قدرة البشر، والعلم بهذا يستلزم كونه معجزاً، فإنا نعلم ذلك، وإن لم يكن علمنا بذلك خارقاً للعادة، ولكن يلزم من العلم ثبوت المعلوم، وإلا كان العلم جهلاً، فثبت أنه ـ على كل تقدير ـ يستلزم كونه خارقاً للعادة.

ولو قال مفتر[١]: بل أنا أقول: الذي أتى بهذه الغيوب وأتى بهذه العجائب كان جاهلاً أخرق[٢]، ولا يدري ما يقول.

قيل له: فهذا أبلغ في الإعجاز، وخرق العادة، أن يكون مجنوناً[٣] قد أتى بهذه الغيوب والعجائب التي لا يقدر عليها أحد من العقلاء ولا المجانين». اهـ[٤].

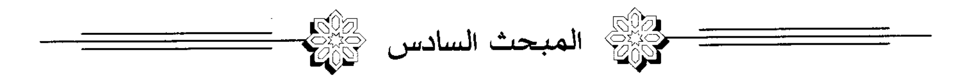


(١) المفتري: من الافتراء وهو: إطلاق الكذب. اللسان ١٥/ ١٥٤.

(٢) الأخرق: الجاهل الأحمق. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦، واللسان ١٠/ ٧٥.

(٣) المجنون: من الجنون بالضم وهو لغة: ذهاب العقل، وتكاثر الشجر والعشب، والجنون: اختلال القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة، المدركة للعواقب بأن لا يظهر آثارها ويتعطل أفعالها. كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٨٠.

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٧٥ ـ ٧٨، والمحققة ٣/ ٤٩٦.



المبحث السادس

إعجاز القرآن في تناسبه وارتباط بعضه ببعض

لم ينزل القرآن جملة واحدة ولم ينزل مرتباً حسب ترتيب المصحف[١] الآن، بل كان ينزل مفرقاً حسب الوقائع والأحداث والأسئلة وخلال ثلاث وعشرين سنة، ومع هذا كله نجد أنه متناسب الآيات والموضوعات والسور فكأنه وحدة موضوعية واحدة، ولقد أشار شيخ الإسلام إلى ذلك، في أثناء كلامه عن ما تضمنته سورة البقرة إجمالاً، وبعد ذكره لأكثر ما تضمنته، قال: «فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض، وكيف ذكر أحكام الحج فيها في موضعين: مع ذكر بيته وما يتعلق بمكانه[٢]، وموضع ذكر فيه الأهلة فذكر ما يتعلق بزمانه[٣].

وذكر أيضاً القتال في المسجد الحرام[٤]، والمقاصة في الشهر

---

(١) اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن: هل هو توقيفي، أو اجتهادي، أم فيه تفصيل؟ قال الزركشي: والخلاف يرجع إلى اللفظ، لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ مع قوله ـ أي مالك ـ بأن ترتيب السور اجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي، وهذا الرأي هو الذي رجحه أبو جعفر بن الزبير، وأبو جعفر النحاس، وأبو بكر بن الأنباري، وابن حجر، وابن الحصار. وانظر: البرهان للزركشي ١/٢٥٧ ـ ٢٦١، والإتقان للسيوطي ١/١٧٦ ـ ١٧٩. أما ترتيب الآيات فتوقيفي. وانظر: البرهان للزركشي ١/٢٥٧.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

(٣) في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا . . .﴾ [البقرة: ١٨٩].

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١].

الحرام[١]، لأن ذلك مما يتعلق بالزمان المتعلق بالمكان، ولهذا قرن سبحانه ذكر كون الأهلة مواقيت للناس والحج.

وذكر أن «البر» ليس أن يشقي الرجل نفسه ويفعل ما لا فائدة فيه من كونه يبرز للسماء فلا يستظل بسقف بيته حتى إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلا من ظهره، فأخبر أن الهلال الذي جعل ميقاتاً للحج شرع مثل هذا[٢]، وإنما تضمن شرع التقوى، ثم ذكر بعد ذلك ما يتعلق بأحكام النكاح والوالدات، وما يتعلق بالأموال والصدقات والربا والديون وغير ذلك.

ثم ختمها بالدعاء العظيم المتضمن وضع الآصار[٣]، والأغلال[٤]، والعفو، والمغفرة، والرحمة، وطلب النصر على القوم الكافرين، الذين هم أعداء ما شرعه من الدين في كتابه المبين، والحمد لله رب العالمين»[٥]. اهـ.

وهذا الذي ذكره الظاهر من كلامه أنه أراد به تناسب الآيات، وأما تناسب السور فنجده يعقد له فصلاً عن السور القصيرة في أواخر المصحف، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فصل: السور القصيرة في أواخر المصحف متناسبة، فسورة (اقرأ) هي أول ما نزل من القرآن[٦]، ولهذا افتتحت بالأمر بالقراءة، وختمت بالأمر

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٢) هكذا في المطبوع ولعل الصواب: «لم يشرع لمثل هذا» كما يدل عليه الكلام.

(٣) الأصر: العهد الثقيل، وقيل: الأصر عقوبة الذنب التي تشق علينا. اللسان ٤/ ٢٢.

(٤) الأغلال: جمع غل وهو جامعة توضع في العنق أو اليد، والمراد الأعمال التي هي كالأغلال، وهي أيضاً مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة. اللسان ١١/ ٥٠٤.

(٥) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٦ ـ ٤٧.

(٦) الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ الجهد مني ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني=

بالسجود، ووسطت بالصلاة التي أفضل أقوالها وأولها بعد التحريم هو القراءة، وأفضل أفعالها وآخرها قبل التحليل هو السجود، ولهذا لما أمر بأن يقرأ أنزل عليه بعدها المدثر لأجل التبليغ، فقيل له: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ٢] فبالأولى صار نبياً، وبالثانية صار رسولاً، ولهذا خوطب بالمدثر، وهو المتدفئ من برد الرعب والفزع الحاصل بعظمة ما دهمه(١) لما رجع إلى خديجة(٢) ترجف بوادره(٣)، وقال: دثروني دثروني، فكأنه نهى عن الاستدفاء وأمر بالقيام إلى الصلاة، فلما أمر في هذه السورة بالقراءة ذكر في التي تليها نزول القرآن ليلة القدر، وذكر فيها تنزل الملائكة والروح، وفي المعارج عروج الملائكة والروح، وفي النبأ قيام الملائكة والروح، فذكر الصعود والنزول والقيام، ثم في التي تليها(٤) تلاوته على المنذرين حيث قال: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣].

فهذه السور الثلاث منتظمة للقرآن: أمراً به، وذكراً لنزوله، ولتلاوة الرسول له على المنذرين، ثم سورة (الزلزلة)، و(العاديات)، و(القارعة)، و(التكاثر)، متضمنة لذكر اليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب، وكل واحد من القرآن واليوم الآخر قيل هو النبأ العظيم(٥).

= الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده...» الحديث.
أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ١/٢٢ (الفتح) وفي كتاب التفسير ٨/٧١٥، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(١) قال في اللسان: «الدثار الثوب الذي يستدفأ به من فوق الشعار». اللسان ٤/٢٧٦.

(٢) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين، أم القاسم ابن رسول الله ﷺ وسائر أولاد رسول الله ﷺ سوى إبراهيم، وأول من آمن به وصدقه، وثبتت جأشه، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جميلة دينة مصونة كريمة، من أهل الجنة وكان النبي ﷺ يثني عليها، ويبالغ في تعظيمها، ووجد لفقدها، وتوفيت في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة.
سير أعلام النبلاء ٢/١٠٩ ـ ١١٧، شذرات الذهب ١/١٤.

(٣) البوادر: جمع بادرة وهي من الإنسان: اللحمة التي بين المنكب والعنق. اللسان ٤/٥٠، والقاموس المحيط ص٤٤٣.

(٤) أي: تلي سورة القدر.

(٥) وانظر: زاد المسير ٩/٤.

ثم سورة (العصر)، و(الهمزة)، و(الفيل)، و(الإيلاف)، و(أرأيت)، و(الكوثر)، و(الكافرون)، و(النصر)، و(تبت)، متضمنة لذكر الأعمال حسنها وسيئها، وإن كان لكل سورة خاصة.

وأما سورة (الإخلاص) و(المعوذتان) ففي الإخلاص الثناء على الله، وفي المعوذتين دعاء العبد ربه ليعيذه، والثناء مقرون بالدعاء، كما قرن بينهما في أم القرآن المقسومة بين الرب والعبد: نصفها ثناء للرب، ونصفها دعاء للعبد[١]، والمناسبة في ذلك ظاهرة، فإن أول الإيمان بالرسول الإيمان بما جاء به من الرسالة وهو القرآن، ثم الإيمان بمقصود ذلك وغايته وهو ما ينتهي الأمر إليه من النعيم والعذاب، وهو الجزاء، ثم معرفة طريق المقصود وسببه وهو الأعمال: خيرها ليفعل، وشرها ليترك.

ثم ختم المصحف بحقيقة الإيمان وهو ذكر الله ودعاؤه، كما بنيت عليه أم القرآن، فإن حقيقة الإنسان المعنوية هو المنطق، والمنطق قسمان: خبر، وإنشاء[٢]، وأفضل الخبر وأنفعه وأوجبه ماكان خبراً عن الله، كنصف الفاتحة وسورة الإخلاص، وأفضل الإنشاء الذي هو الطلب وأنفعه وأوجبه ما كان طلباً لله، كالنصف الثاني من الفاتحة والمعوذتين». اهـ[٣].



(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفيين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي...» الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٣٩٥ ١/٢٩٦.

(٢) الخبر: كلام يحتمل التصديق أو التكذيب. والإنشاء: كل كلام اقترن معناه بلفظه، وقيل غير ذلك. وانظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١/٣١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/٤٧٧ ـ ٤٧٩.



المبحث السابع

الإعجاز العلمي والكوني في القرآن

لقد كان شيخ الإسلام من العلماء السابقين الذين نوهوا بالإعجاز العلمي والكوني[1] للقرآن فنجده عند حديثه عن الطريق التي يُعَرِّفُ الله بها عباده صدق رسله، يقول: «وأما الطريق العياني فهو أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[2] [فصلت: ٥٣]. اهـ[3].

ويقول رحمه الله عن القرآن أيضاً: «وفيه أيضاً من ضرب الأمثال وبيان الآيات[4] على تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما في القرآن، ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون

---

(١) الإعجاز العلمي والكوني: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ـ التي تتحدث عن الكون وأجزائه ـ ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان».

وهذا هو الذي اختاره د. فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢/ ٥٤٤ ـ ٥٥٠.

(٢) الآفاق: أي: النواحي من الأرض. النهاية في غريب الحديث ١/ ٥٦، ومفردات الراغب ص١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٩، ويقول في الرد على المنطقيين: «وأما استدلاله تعالى بالآيات فكثير في القرآن» ص١٥١. ووجه دلالة الآيات على الخالق ﷻ ص٣٤٥.

(٤) الآيات: أي: العلامات ولم تخصص هنا فتشمل القولية والأفقية والنفسية وغيرها..

في أصول الدين، والعلوم الإلهية، وأمور المعاد، والنبوات، والأخلاق، والسياسات، والعبادات، وسائر مافيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها، لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ومن أهل الرأي كالمتفلسفة(١) وغيرهم إلا بعض ماجاء به القرآن». اهـ(٢).

ويقول عن طريقة سلف هذه الأمة: «والسلف كان نظرهم في خير الكلام وأفضله وأصدقه وأدله على الحق، وهو كلام الله تعالى، وهم ينظرون في آيات الله تعالى التي في الآفاق وفي أنفسهم فيرون في ذلك من الأدلة ما يبين أن القرآن حق، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(٣) [فصلت: ٥٣]». اهـ(٤).

ولقد أبان أيضاً عن بعض الأسس والقواعد(٥) الكونية في القرآن فنجده

---

(١) سبق بيان هذه المصطلحات ص١١٨ ـ ١١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٥، ولقد نقل د. صبري هذا المقطع واستدل به على سبق الإمام ابن تيمية لكل الباحثين الذين نوهوا بالإعجاز العلمي للقرآن، وأن القرآن هو نفس المعجزة ونفس المنهج. وانظر: كتاب منهج ابن تيمية في تفسير القرآن للدكتور صبري ص٢٥٧.

(٣) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي: ستظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله عَزَّوَجَلَّ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان.

قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمداً وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه.

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها». اهـ. تفسير ابن كثير ٧/ ١٧٥.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٦٧.

(٥) الأساس: أصل البناء وكل مبتدأ شيء يسمى أساساً.

القواعد: جمع قاعدة وهي أصل الأس والقواعد الأساس.

=

مثلاً عندما سئل عن كيفية السماء والأرض يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام، مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي[١]، أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربعمائة مصنف[٢].

وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم[٣]، وأبو الفرج بن الجوزي[٤]، وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل[٥] السمعية. وإن كان قد أقيم على ذلك أيضاً دلائل حسابية.

ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك، إلا فرقة يسيرة من أهل الجدل لما ناظروا المنجمين[٦]، فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم في الأحوال والتأثير، خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب، وقالوا على

= وقواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء. وانظر: اللسان ٣/ ٣٦١ و٦/ ٦.

(١) هو الإمام أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن أبي داود بن المنادي البغدادي صاحب التواليف، سمع من جده أبي جعفر محمد بن عبيد الله، ومن أبي داود السجستاني، وعبد الله اليزيدي، وحدث عنه أبو عمر بن حيويه، وأحمد بن نصر الشذائي المقرئ وجماعة آخرون، وكان من القراء المقرئين، غاية في الإتقان نهاية في علم العربية مع علم بالآثار واتباع للسنة، ثقة مأمون، توفي ٣٣٦هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦١، وتاريخ بغداد ٤/ ٦٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٤٣، ومقدمة تحقيق متشابه القرآن العظيم للشيخ عبد الله الغنيمان.

(٢) كما ذكر ذلك أيضاً عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين.

(٣) تقدمت ترجمته ص١٠٨.

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي من أولاد محمد بن أبي بكر الصديق، حافظ مفسر واعظ محدث صاحب تصانيف كثيرة، منها المغني في التفسير، وزاد المسير، وفنون الأفنان، والوجوه والنظائر، وتذكرة الأريب، وصيد الخاطر... وغيرها، توفي ٥٩٧هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩.

(٥) يعني: الأدلة المسموعة عن طريق الرسول ﷺ من القرآن والسنة.

(٦) المنجم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها. اللسان ١٢/ ٥٧٠.

سبيل التجويز: يجوز أن تكون مربعة أو مسدسة أو غير ذلك، ولم ينفوا أن تكون مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك، وما علمت من قال إنها غير مستديرة ـ وجزم بذلك ـ إلا من لا يؤبه له من الجهال.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠]، قال ابن عباس وغيره من السلف، في فلكة مثل فلكة المغزل[١] وهذا صريح بالاستدارة والدوران.

وأصل ذلك أن «الفلك» في اللغة: هو الشيء المستدير، يقال: تفلك ثدي الجارية إذا استدار، ويقال لفلكة المغزل المستديرة: فلكة لاستدارتها[٢]، فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن «الفلك» هو المستدير، والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل بها القرآن، وهي لغة العرب.

وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، قالوا: و«التكوير» التدوير، يقال: كورت العمامة، وكورتها: إذا دورتها، ويقال: للمستدير كاره[٣]، وأصله «كورة» تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، ويقال أيضاً: «كرة» وأصله كورة وإنما حذفت عين الكلمة كما يقال في ثبة وقلة.

والليل والنهار، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة، فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفاً بالاستدارة كان الجسم أولى بالاستدارة.

وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣] وليس في السماء إلا أجسام ما هو متشابه ـ فأما التثليث والتربيع والتخميس والتسديس،

---

(١) وانظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٩ (الفكر). (٢) انظر: لسان العرب ١٠/ ٤٧٨.

(٣) وانظر: اللسان ٥/ ١٥٤.

وغير ذلك، ففيها تفاوت واختلاف بالزوايا والأضلاع ـ لا خلاف فيه ولا تفاوت، إذ الاستدارة التي هي الجوانب[١]...»

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما من ادعى ما يخالف الكتاب والسنة فهو مبطل في ذلك وإن زعم أن معه دليلاً حسابياً، وهذا كثير فيمن ينظر في «الفلك وأحواله». اهـ[٢].

ولما سُئِلَ عن الفرق بين السموات والأفلاك أجاب بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما قوله: الأفلاك هل هي السموات أو غيرها؟ ففي ذلك قولان معروفان للناس، لكن الذين قالوا إن هذا هو هذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥، ١٦] قالوا: فأخبر الله أن القمر في السموات.

وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠] فأخبر في الآيتين أن القمر في الفلك، كما أخبر أنه في السموات، ولأن الله أخبر أنا نرى السموات بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣، ٤]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦]، وأمثال ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهدة، والمشاهد هو الفلك فدل على أن أحدهما هو الآخر.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فلا يمنع أن يكون ما ذكره من أنهم يسبحون تابعاً لحركة الفلك، كما في الليل والنهار، فإن تعاقب الليل

---

(١) العبارة كأنها غير مكتملة، أو أنها: (إذ الاستدارة هي الجوانب)، أو: (التي هي الجوانب غير مختلفة).

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٨٦ ـ ٥٨٩. تكلم عن استدارة الأفلاك في الرد على المنطقيين من ص٢٦١ إلى ٢٦٤.

والنهار تابع لحركة غيرهما، وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يتناول الليل والنهار والشمس والقمر، كما بين ذلك في سورة الأنبياء.

وكذلك في سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

فتناول قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ما تقدم، بالليل والنهار والشمس كما ذكر في سورة الأنبياء، وإذا كان أخبر عن الليل والنهار بما أخبر به من أنهما يسبحان، وذلك تابع لحركة غيرهما، مثل ذلك ما أخبر به من أن الشمس والقمر يسبحان تبعاً للفلك، وعلى ذلك أدلة ليس هذا موضع بسطها». اهـ(١).

وتكلم رحمه الله عن الفرق بين العلقة والنطفة والاستدلال لكل واحدة منهما في القرآن فقال عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: ٢]:

«وذكر سبحانه خلق الإنسان من العلق ـ وهو جمع «علقة» وهي القطعة الصغيرة من الدم(٢) ـ لأن ما قبل ذلك كان نطفة، والنطفة قد تسقط في غير الرحم كما يحتلم الإنسان، وقد تسقط في الرحم ثم يرميها الرحم قبل أن تصير علقة، فقد صار مبدأ لخلق الإنسان، وعلم أنها صارت علقة ليخلق منها الإنسان.

وقد قال تعالى في سورة القيامة: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٤٠] ففي القيامة استدل بخلقه من نطفة، فإنه معلوم لجميع الخلق، وفي الحج ذكر خلقه من تراب، فإنه قد علم بالأدلة القطعية، وذكر أول الخلق أدل على إمكان الإعادة.

وأما هنا فالمقصود ذكر ما يدل على الخالق تعالى ابتداء فذكر أنه خلق الإنسان من علق، وهو من العلقة ـ الدم، يصير مضغة وهو قطعة كاللحم الذي

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤. (٢) وانظر: اللسان ١٠/ ٢٦٧.

يمضغ بالفم، ثم تخلق فتصور، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥] ـ فإن الرحم قد يقذفها غير مخلقة، فبيّن للناس مبدأ خلقهم، ويرون ذلك بأعينهم.

وهذا الدليل ـ وهو خلق الإنسان من علق ـ يشترك فيه جميع الناس، فإن الناس هم المستدلون، وهم أنفسهم الدليل والبرهان والآية، فالإنسان هو الدليل وهو المستدل، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] وهو دليل يعلمه الإنسان من نفسه، ويذكره كلما تذكر في نفسه، وفيمن يراه من بني جنسه، فيستدل به على المبدأ والمعاد، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧]. . . إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وليس جعل الإنسان نبياً بأعظم من جعله العلقة إنساناً، حياً، عالماً، ناطقاً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، قد عَلِمَ أنواع المعارف، كما أنه ليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته[1]، والقادر على المبدأ كيف لا يقدر على المعاد؟ والقادر على هذا التعليم كيف لا يقدر على ذاك التعليم؟ وهو بكل شيء عليم، ولا يحيط أحد من علمه إلا بما شاء». اهـ[2].



(١) كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].
(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٤.



الباب الثاني

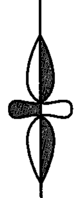
إعجاز القرآن البياني
وكلام شيخ الإسلام فيه

وفيه فصلان:

الفصل الأول: إعجاز القرآن في أساليبه.

الفصل الثاني: خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن.





الفصل الأول

إعجاز القرآن في أساليبه

وفيه مباحث:

المبحث الأول: إعجاز القرآن في الأقسام.

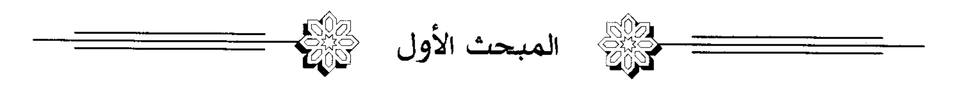
المبحث الثاني: إعجاز القرآن في الاستفهام.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن في ضرب الأمثال.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن في القصص.

المبحث الخامس: إعجاز القرآن في المخاطبات بحسب الحاجات.

المبحث السادس: بيان القرآن للحق بالأدلة العقلية والقياس البين.



المبحث الأول

إعجاز القرآن في الأقسام

لقد نزل القرآن بلغة العرب ومن عادتها القسم(١) إذا أرادت أن تؤكد أمراً، ولقد أفرد شيخ الإسلام الكلام على الأقسام في رسالة(٢) نذكر منها ما يتعلق بالإعجاز في الأقسام، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته، فالقسم إما على جملة خبرية، وهو الغالب كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وإما على جملة طلبية كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المُقْسَم عليه، فيكون من باب الخبر، وقد يراد به محض القسم، والمُقْسَم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلابد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر، والليل والنهار، والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب عَزَّ وَجَلَّ فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس.

وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب، وتارة يحذفه كما

---

(١) القسم: اسم من الإقسام وهو أخص من اليمين والحلف. الكليات ٧٢٥.

(٢) اسمها قاعدة في أقسام القرآن أو كتاب أقسام القرآن، كما ذكر الأول ابن القيم في كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ص١٨، وذكر الثاني ابن عبد الهادي في كتابه العقود الدرية ص٥٢، وقد طبعت ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١٤ ـ ٣٢٨.

يحذف جواب لو كثيراً، كقوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]، ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام، لأن المراد أنك لو رأيته لرأيت هولاً عظيماً، فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل (عليه الشرط)[1].اهـ[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما أقسم بـ[الصافات][3]، و[الذاريات][4]، و[المرسلات][5]، ذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ [الصافات: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [المرسلات: ٧] ولم يذكره في النازعات[6]، فإن الصافات هي الملائكة وهو لم يقسم على وجودها، كما لم يقسم على وجود نفسه، إذ كانت الأمم معترفة بالصافات، وكانت معرفته ظاهرة عندهم لا يحتاج إلى إقسام، بخلاف التوحيد، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم، كما ذكر الله عن قوم نوح، وعاد وثمود، وفرعون، مع شركهم وتكذيبهم بالرسل، أنهم كانوا يعرفون الملائكة،

---

(١) بعد قوله على مادل سقط فأكملته حسب فهمي للجملة، وكلام ابن القيم إذ تكلم عن ذلك وقال مثل كلام شيخه في كتابه التبيان في أقسام القرآن، فقال: (فليس في ذكر الجواب زيادة على ما دل عليه الشرط، وهذه عادة الناس في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبة وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها يقول أحدهم: لو رأيت ما جرى يوم كذا بموضع كذا!).اهـ. وانظر: التبيان في أقسام القرآن ص٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١٤ ـ ٣١٦.

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ [الصافات: ١].

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الذاريات: ١].

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١].

(٦) في سورة النازعات لم يذكر الجواب قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾ فتقدير الجواب: إنما توعدون لواقع... [النازعات: ١ ـ ٦].

قال قوم نوح ـ كما حكى الله عنهم ـ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وقال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت: ١٣، ١٤]، وقال فرعون ـ كما حكى الله عنه ـ: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف: ٥٢، ٥٣].

وكذلك مشركوا العرب قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنعام: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧].

وقال تعالى عن الأمم مطلقاً: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥] فكانت هذه الأمم المكذبة للرسل، المشركة بالرب مقرة بالله وبملائكته، فكيف بمن سواهم؟ فعُلِم أن الإقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم، فلهذا لم يقسم الله عليه وإنما أقسم على التوحيد لأن أكثرهم مشركون.

وكذلك [الذاريات]، و[الحاملات]، و[الجاريات]، هي أمور مشهودة للناس[1] و[المقسمات أمراً] هي الملائكة، فلم يكن فيما أقسم به ما أقسم عليه، فذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ٥، ٦].

و[المرسلات] سواء كانت هي الملائكة النازلة بالوحي والمقسم عليه الجزاء في الآخرة، أو الرياح، أو هذا وهذا[2] فهي معلومة أيضاً.

---

(١) فالذاريات: الرياح، والحاملات: السحاب، والجاريات: السفن الجارية.
انظر: زاد المسير ٨/ ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) المرسلات فيها أربعة أقوال: =

وأما ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١] فهي الملائكة، القابضة للأرواح، وهذا يتضمن الجزاء، وهو من أعظم القسم عليه». اهـ[١].

وقال عند تفسيره سورة الشمس: «فالأقسام التي في القرآن عامتها بالذوات الفاعلة وغير الفاعلة.

يقسم بنفس الفعل كقوله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ [الصافات: ١ ـ ٣]، وكقوله ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ ونحو ذلك، وهو سبحانه تارة يقسم بنفس المخلوقات، وتارة بربها وخالقها كقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: ٣] وتارة يقسم بها وبربها.

وفي هذه السورة أقسم بمخلوق وبفعله، وأقسم بمخلوق دون فعله، فأقسم بفاعله، فإنه قال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ [الشمس: ١ ـ ٤] فأقسم بالشمس والقمر والليل والنهار، وآثارهما[٢] وأفعالهما، كما فرق بينهما في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] فإنه بأفعال هذه الأمور وآثارها تقوم مصالح بني آدم وسائر الحيوان، وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشمس: ١] ولم يقل «ونهارها» ولا «ضيائها» لأن الضحى يدل على النور والحرارة جميعاً، وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد.

ثم أقسم بالسماء والأرض، وبالنفس، ولم يذكر معها فعلاً فذكر فاعلها،

= **الأول**: الرياح يتبع بعضها بعضاً، كما قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة.
الثاني: الملائكة أرسلت بالمعروف، قاله ابن مسعود وأبو هريرة ومقاتل.
الثالث: الرسل بما يعرفون به من المعجزات، وهو معنى قول أبي صالح.
الرابع: الملائكة والريح، قاله أبو عبيد وابن جرير الطبري.
انظر: ابن جرير (الفكر) ٢٩/ ١٤١، وزاد المسير ٨/ ٤٤٤، وابن كثير ٨/ ٣٢٠

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣١٨ ـ ٣٢٠.
(٢) الأثر: بقية الشيء، وأثّر في الشيء ترك فيه أثراً. اللسان ٤/ ٥.
والمقصود هنا ما ينتج من الفعل فالنهار أثر لطلوع الشمس.

فقال: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٥ ـ ٧].

فلم يصلح أن يقسم بفعل النفس، لأنها تفعل البر والفجور، وهو سبحانه لا يقسم إلا بما هو معظم من مخلوقاته.

لكن ذكر في ضمير القسم أنه خالق أفعاله بقوله: ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨] فإذا كان قد بين أنه خالق فعل العبد الذي هو أظهر الأشياء فعلاً واختياراً وقدرة، فلأن يكون خالق فعل الشمس والقمر، والليل والنهار بطريق الأولى والأحرى.

وأما السماء والأرض فليس لهما فعل ظاهر يعظم في النفوس حتى يقسم بها إلا ما يظهر من الشمس والقمر والليل والنهار،والسماء والأرض أعظم من الشمس والقمر والليل والنهار، والنفس أشرف الحيوان المخلوق، فكان القسم بصانع هذه الأمور العظيمة مناسباً، وكان إقسامه بصانعها تنبيهاً على أنه صانع مافيها من الشمس والقمر، والليل والنهار.

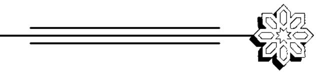
فتضمن الكلام الإقسام بصانع هذه المخلوقات، وبأعيانها ومافيها من الآثار والمنافع لبني آدم.

وختم القسم بالنفس التي هي آخر المخلوقات، فإن الله خلق آدم يوم الجمعة آخر المخلوقات[1] وبين أنه خالق جميع أفعالها، ودل على أنه خالق جميع أفعال ما سواها». اهـ[2].



(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ في ابتداء الخلق مرفوعاً: (وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل) صحيح مسلم، كتاب صفة المنافقين حديث (٢٧) ٣/ ٢١٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠.



المبحث الثاني

إعجاز القرآن في الاستفهام

من أساليب العرب في كلامها طلب الفهم وهو من أنواع الإنشاء في الكلام ولكنه جاء في القرآن معجزاً، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «صيغة الاستفهام[1] يحسب من أخذ ببادئ الرأي أنها لا تدخل في القياس المضروب، لأنه لا يدخل فيه إلا القضايا الخبرية، وهذه طلبية، فإذا تأمل وعلم أن أكثر استفهامات القرآن أو كثيراً منها إنما هي استفهام إنكار: معناه الذم والنهي إن كان إنكاراً شرعياً، أو معناه النفي والسلب إن كان إنكار وجود ووقوع، كما قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الآية [الروم: ٢٨]، وكذلك قوله ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله: في تعديد الآيات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: أفعل هذه إله مع الله؟ والمعنى: ما فعلها إلا الله، وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] وما معها[2].

وهذا الذي ذكرناه الذي جاء به القرآن هو ضرب الأمثال من جهة

---

(١) الاستفهام: طلب حصول صورة الشيء في الذهن. التعريفات ١٨.

(٢) وما معها: أي: وما بعدها من الآيات وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطور: ٣٦ ـ ٤٣].

المعنى». اهـ[(١)(٢)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: «النفي بصيغة الاستفهام المضمن معنى الإنكار، هو نفي مضمن دليل النفي، فلا يمكن مقابلته بمنع، وذلك أنه لا ينفي باستفهام الإنكار إلا ما ظهر بيانه أو ادعى ظهور بيانه، فيكون ضاربه إما كاملاً في استدلاله وقياسه[(٣)] وإما جاهلاً، كالذي قال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس: ٧٨]». اهـ[(٤)].

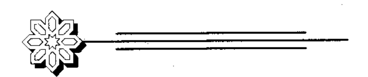


(١) سيأتي مزيد تفصيل عن أمثال القرآن في المبحث التالي.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٣.

(٣) كما في الآيات السابقة ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ ...﴾، ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٥.


المبحث الثالث


إعجاز القرآن في ضرب الأمثال

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول

تعريف الضرب، والأمثال

قال: شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ «المثل في الأصل هو الشبيه[١]، وهو نوعان: لأن القضية المعينة إما أن تكون مشبهاً معيناً أو عاماً كلياً، فإن القضايا الكلية التي تعلم وتقال هي: مطابقة مماثلة لكل ما يندرج فيها، وهذا يسمى قياساً في لغة السلف واصطلاح المنطقيين، وتمثيل الشيء المعين بشيء معين هو أيضاً يسمى قياساً في لغة السلف واصطلاح الفقهاء، وهو الذي يسمى قياس التمثيل»[٢][٣]، وقال في موضع آخر: «قياس التمثيل: إلحاق الشيء بنظيره»[٤].

«والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن، كما سأذكره، أن كليهما قياس وتمثيل واعتبار وهو في قياس التمثيل ظاهر، وأما قياس التكليل[٥] والشمول فإنه يقاس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام

(١) وانظر: اللسان ١١/ ٦١٠.

(٢) قياس التمثيل: هو الحكم على جزئي بما حكم به على غيره. الكليات لأبي البقاء ص٧١٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٥٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٩/ ٢٥٩.

(٥) لعله يعني: قياس القضايا الكلية التي ذكرها قبل أسطر فسماه قياس تكليل ـ والله أعلم ـ، ولعله هو المقصود بالقياس الذي عرفه بقوله عن القياس: «هو انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي». مجموع الفتاوى ٩/ ١٢٠.

الثابت في العلم والقول، وهو الأصل، كما يقاس الواحد بالأصل الذي يشبهه فالأصل فيهما هو المثل، والقياس هو ضرب المثل، وأصله ـ والله أعلم ـ تقديره: فضرب المثل للشيء تقديره له، كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء[١]، ومنه ضرب الدرهم وهو تقديره[٢]، وضرب الجزية والخراج وهو تقديرهما، والضريبة المقدرة، والضرب في الأرض، لأنه يقدر أثر الماشي بقدره، وكذلك الضرب بالعصي لأنه تقدير الألم بالآلة، وهو جمعه وتأليفه وتقديره، كما أن الضريبة هي المال المجموع، والضريبة الخلق، وضرب الدرهم جمع فضة مؤلفة مقدرة، وضرب الجزية والخراج إذا فرضه وقدره على مرّ السنين، والضرب في الأرض الحركات المقدرة المجموعة إلى غاية محدودة، ومنه تضريب الثوب المحشو وهو تأليف خلله طرائق طرائق.

ولهذا يسمون الصورة القياسية الضرب، كما يقال للنوع الواحد ضرب لتألفه واتفاقه، وضرب المثل لما كان جمعاً بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد، ولهذا يقسمون الضرب إلى: ناتج وعقيم، كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم»[٣].اهـ.

المطلب الثاني

أنواع ضرب الأمثال

قال شيخ الإسلام: «كل واحد من نوعي ضرب المثل ـ وهو القياس ـ: تارة يراد به التصوير[٤] وفهم المعنى، وتارة يراد به الدلالة على ثبوته

---

(١) وانظر: القاموس ص٧٣٣.

(٢) وكذا ذكره أيضاً أبو البقاء في الكليات ص٥٧٢ ـ ٥٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٥٤ ـ ٥٦.

(٤) قياس التصور: حصول صورة الشيء في العقل. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٤/ ٢٣١.

والمراد إدراك صورة المفرد. وانظر: السلم للأخضري ص٤٤٣ ضمن المجموع الكبير من المتون.

والتصديق به[١]، فقياس تصور، وقياس تصديق فتدبر هذا.

وكثيراً ما يقصد كلاهما، فإن ضرب المثل يوضح صورة المقصود وحكمه، وضرب الأمثال في المعاني نوعان هما: نوعا القياس:

أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر، وهي في القرآن بضع وأربعون مثلاً كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] إلى آخره، وقوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٦٤] الآية، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فإن التمثيل بين الموصوفين الذين يذكرهم من: المنافقين، والمنفقين، والمخلصين منهم والمرائين، وبين ما يذكره سبحانه من تلك الأمثال هو من جنس قياس التمثيل، الذي يقال فيه: مثل الذي يقتل بكودين القصار[٢] كمثل الذي يقتل بالسيف، ومثل الهرة تقع في الزيت كمثل الفأرة تقع في السمن ونحو ذلك، ومبناه على الجمع بينهما، والفرق في الصفات المعتبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه، وقوله مثله كمثل كذا، تشبيه للمثل العلمي بالمثل العلمي، لأنه هو الذي بتوسطه يحصل القياس، فإن المعتبر ينظر في أحدهما فيتمثل في علمه وينظر في الآخر فيتمثل في علمه ثم يعتبر أحد المثلين بالآخر فيجدهما سواء، فيعلم أنهما سواء في أنفسهما لاستوائهما في العلم، ولا يمكن اعتبار أحدهما بالآخر في نفسه حتى يتمثل كل منهما في العلم فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره»[٣].اهـ.

---

(١) والتصديق: إدراك نسبة الشيء. وانظر: السلم للأخضري ص٤٤٣ ضمن المجموع الكبير من المتون.

(٢) كودين القصار: القصار: المحور للثياب لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب. وانظر: اللسان ٥/ ١٠٤، والقاموس ص٥٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٥٦ ـ ٥٧.

المطلب الثالث

ذكر الأصل دون الفرع

قال شيخ الإسلام «وبعض المواضع يذكر سبحانه الأصل المعتبر به ليستفاد حكم الفرع منه من غير تصريح بذكر الفرع، كقوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فإن هذا يحتاج إلى تفكر، ولهذا سأل عمر عنها من حضره من الصحابة فأجابه ابن عباس بالجواب الذي أرضاه».اهـ[(١)(٢)]. ثم تكلم عن علاقة القصص بالأمثال ثم قال:

«النوع الثاني: الأمثال الكلية، وهذه التي أشكل تسميتها أمثالاً، كما أشكل تسميتها قياساً، حتى اعترض بعضهم قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الحج: ٧٣] فقال: أين المثل المضروب؟ وكذلك إذا سمعوا قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨] يبقون حيارى لا يدرون ما هذه الأمثال، وقد رأوا عدد ما فيه من تلك الأمثال المعينة بضعاً وأربعين مثلاً...».اهـ[(٣)(٤)].

المطلب الرابع

خفاء إحدى القضيتين

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأيضاً مما يجب أن يعلم أن غالب الأمثال المضروبة، والأقيسة إنما يكون الخفي فيها إحدى القضيتين[(٥)]، وأما الأخرى فجلية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الفتح ٨/٢٠١ عن عبيد بن عمير.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٥٧.

(٣) وهذا كما نص عليه ابن القيم في مقدمة القصيدة النونية «الكافية الشافية» ص٩.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/٥٨.

(٥) القضية: قول يصح أن يقال لقائله: أنه صادق فيه، أو كاذب فيه. التعريفات ص١٧٦.

معلومة، فضارب المثل وناصب القياس إنما يحتاج أن يبين تلك القضية الخفية فيعلم بذلك المقصود لما قاربها في الفعل من القضية السلبية، والجلية هي الكبرى التي هي أعم، فإن الشيء كلما كان أعم كان أعرف في العقل لكثرة مرور مفرداته في العقل، وخير الكلام ماقل ودل، فلهذا كانت الأمثال المضروبة في القرآن تحذف منها القضية الجلية لأن في ذكرها تطويلاً وعياً، وكذلك ذكر النتيجة المقصودة بعد ذكر المقدمتين يعد تطويلاً واعتبر ذلك بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ما أحسن هذا البرهان! فلو قيل بعده: وما فسدتا فليس فيهما آلهة إلا الله، لكان هذا من الكلام الغث الذي لا يناسب بلاغة التنزيل، وإنما ذلك من تأليف المعاني في العقل، مثل تأليف الأسماء من الحروف في الهجاء والخط إذا علمنا الصبي الخط نقول: «با» «سين» «ميم» صارت «بسم» فإذا عقل لم يصلح له بعد ذلك أن يقرأه تهجياً[١]، فيذهب ببهجة الكلام، بل قد صار التأليف مستقراً، وكذلك النحوي إذا عرف أن «محمد رسول الله» مبتدأ وخبر، لم يلفِ[٢] كلما رفع مثل ذلك أن يقول لأنه مبتدأ وخبر.

فتأليف الأسماء من الحروف لفظاً ومعنىً، وتأليف الكلام من الأسماء، وتأليف الأمثال من الكلم جنس واحد.

ولهذا كان المؤلفون للأقيسة يتكلمون أولاً في مفردات الألفاظ والمعاني التي هي الأسماء، ثم يتكلمون في تأليف الكلمات من الأسماء الذي هو الخبر والقصة والحكم، ثم يتكلمون في تأليف الأمثال المضروبة الذي هو: «القياس»، و«البرهان»، و«الدليل»، و«الآية»، و«العلامة»، فهذا مما ينبغي التفطن له». اهـ[٣].

---

(١) الهجاء: تقطيع اللفظة بحروفها. اللسان ١٥/ ٣٥٣.

(٢) ألفى الشيء: وجده، وألفيت الشيء: إذا وجدته وصادفته ولقيته، فمعنى العبارة لا يلزمه كلما وجد ذلك أو أمثاله فرفعه أن يقول لأنه مبتدأ وخبر.

وانظر: اللسان ١٥/ ٢٥٢، والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٦٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٠ ـ ٦٢.

المطلب الخامس

ترك ذكر المقدمة الجلية

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن من أعظم كمال القرآن تركه في أمثاله المضروبة، وأقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة، ثم إتباع ذلك بالأخبار عن النتيجة التي قد علم من أول الكلام أنها هي المقصودة، بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره وينتفع بمعرفته، فذلك هو البيان، وهو البرهان، وأما ما لا حاجة إلى ذكره فذكره عي[1].

وبهذا يظهر لك خطأ قوم من البيانيين[2] الجهال، والمنطقيين[3] الضلال حيث قال بعض أولئك: الطريقة الكلامية البرهانية[4] في أساليب البيان ليست في القرآن إلا قليلاً، وقال الثاني: إنه ليس في القرآن برهان تام، فهؤلاء من أجهل الخلق باللفظ والمعنى، فإنه ليس في القرآن إلا الطريقة البرهانية المستقيمة لمن عقل وتدبر». اهـ[5].

ثم ذكر أن مدار ضرب المثل على العموم والخصوص، والسلب والإيجاب[6]، وتكلم عن صيغ النفي والعموم وأنها من ضرب الأمثال في المعنى.

---

(١) العي: خلاف البيان، وعيي: أعجز عن الشيء ولم يطق إحكامه. اللسان ١٥/ ١١١ ـ ١١٤.

(٢) البيانيين: نسبة إلى المشتغلين بعلم البيان وهو: إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله. وانظر: التعريفات ص٤٧. ولم أعرف أسماء من عنى بهذين الوصفين.

(٣) المنطقيين: نسبة إلى المنطق لكثرة اشتغالهم به، وهو: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر. هكذا عرفه صاحب التعريفات ص٢٣٢.

(٤) البرهان: القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداء وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات. التعريفات ص٤٤.

(٥) مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٢، وهذا المقطع دليل على بلاغة وكمال الأدلة العقلية في القرآن كما سيأتي إن شاء الله تعالى ص٢٤٣.

(٦) السلب: انتزاع النسبة، والإيجاب إيقاع النسبة. التعريفات ص١٢١ ـ ١٤١.

المطلب السادس

الفرق بين المثل القرآني والمثل العربي

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الذي ذكرناه جاء به القرآن هو ضرب الأمثال من جهة المعنى، وقد يعبر في اللغة بضرب المثل أو بالمثل المضروب عن نوع من الألفاظ فيستفاد منه التعبير كما يستفاد من اللغة[١]، لكن لا يستفاد منه الدليل على الحكم كأمثال القرآن، وهو أن يكون الرجل قد قال كلمة منظومة أو منثورة لسبب اقتضاه فشاعت في الاستعمال، حتى يصار[٢] يعبر بها عن كل ما أشبه ذلك المعنى الأول، وإن كان اللفظ في الأصل غير موضوع لها[٣]، فكأن تلك الجملة المثلية نقلت بالعرف من المعنى الخاص إلى العام كما تنقل الألفاظ المفردة فهذا نقل في الجملة، مثل قولهم: «يداك أوكتا وفوك نفخ»[٤]،

---

(١) وهي ما يسمى بالأمثال العربية: والمثل: الشبيه والمساوي فهي كلمة تسوية، ومثل الشيء: أي: قام منتصباً فكأن المقولة انتصبت لتشابه وتساو بين الحالين، الذي قيلت فيه ابتداء وما يتمثل بها له. وانظر: اللسان ١١/ ٦١٠، ومجمع الأمثال للميداني ١/ ٧. وأما تعريفها الاصطلاحي فسيذكره الشيخ فيما بعد.

(٢) هكذا رسمت في المطبوع ولعلها «حتى صار».

(٣) تكلم العلماء في حكم استعمال الآيات أمثالاً فقالوا:

أ ـ إن كان القائل بذلك قصده الاستهزاء والاستخفاف بالقرآن حرم، وقائله يكفر بذلك وفيه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ب ـ وما عدا ذلك فيه قولان:

الأول: أنه يحرم جعل القرآن بدلاً من الكلام وقالوا هو صرف لكلام الله عن وجهه الذي أريد به واستعمال له في غير ما هو له كاستعمال المصحف للتوسد، وممن قال بهذا ابن قدامة والحجاوي وابن مفلح والسفاريني وابن القيم وغيرهم.

القول الثاني: إنه يكره جعل القرآن بدلاً من الكلام وقال به القرطبي والباجوري وأبو عبيد وغيرهم.

انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٥٨، البرهان للزركشي ١/ ٤١٣، والإتقان للسيوطي ١/ ٣١٦، وآداب القاري والقراءة لكتاب الله (ماجستير) بالجامعة الإسلامية إعداد: عبد العزيز الجربوع ص٩٩٥ ـ ٩٩٩.

(٤) وانظر: جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٣٣٤، ومجمع الأمثال للميداني ٣/ ٥١٩ وأصله: =

وهو موازٍ لقولهم: «أنت جنيت هذا» لأن هذا المثل قيل ابتداءاً لمن كانت جنايته بالإيكاء والنفخ، ثم صار مثلاً علماً.

وكذلك قولهم: «الصيف ضيعت اللبن»[١]، مثل قولك: «فرطت وتركت الحزم، وتركت ما يحتاج إليه وقت القدرة عليه حتى فات» وأصل الكلمة قيلت للمعنى الخاص، وكذلك «عسى العويدا بؤساً»[٢]؛ أي: أتخاف أن يكون لهذا الظاهر الحسن باطن رديء؟ فهذا نوع من البيان يدخل في اللغة والخطاب، فالمتكلم به حكمه حكم المبين بالعبارة الدالة، سواء كان المعنى في نفسه حقاً أو باطلاً، إذ قد يتمثل به في حق من ليس كذلك، فهذا تطلبه في القرآن من جنس تطلب الألفاظ العرفية[٣]، فهو نظر في دلالة اللفظ على المعنى، لا نظر في صحة المعنى ودلالته على الحكم.

وليس هو المراد بقوله ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۢ﴾ فتدبر هذا فإنه يجلو عنك شبهة لفظية ومعنوية.

= «أن رجلاً كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زق نفخ فيه فلم يحسن إحكامه، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح فغرق فلما غشيه الموت استغاث برجل فقال له: «يداك أوكتا وفوك نفخ»، وهو يضرب لمن يجني على نفسه الحين. مجمع المثال للميداني ٣/٥١٩.

(١) جمهرة الأمثال للعسكري ١/٤٧٣ وأصله أن عمرو بن عمرو بن عدس تزوج بنت عمه بعد ما أسن وكان أكثر قومه مالاً ففركته فطلقها فتزوجها فتىً ذو شباب وجمال فأغارت عليهم بكر بن وائل فنبهته فجعل يقول: الغارة ويضرط حتى مات فأخذوها سبية، فأدركهم الحي وعمر بن عمرو فاستنقذوها وقال فيها شعراً، فتزوجت منهم شاباً مملقاً فمرت بها إبل عمرو كأنها الليل، فقالت لخادمها: قولي له ليسقينا من اللبن، فأتته فقال: قولي لها «الصيف ضيعت اللبن» فذهبت مثلاً.

(٢) المصدر السابق ٢/٤٥ وفيه (عسى الغوير أبؤساً) ومعجم الأمثال للميداني ٢/٣٤١ وفيه (عسى الغوير أبؤساً). والغوير: تصغير غار، والأبؤس جمع بأس. اللسان ٥/ ٣٥، و٦/٢٣.
وأصله من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه: «عسى الغوير أبؤساً»؛ أي: لعل الشر يأتيكم من قِبل الغار. مجمع الأمثال للميداني ٢/٣٤١.

(٣) العرف: ما استقرت النفوس عليه وتلقته الطبائع بالقبول. التعريفات ص١٤٩.

وهذه الأمثال اللغوية أنواع موجودة في القرآن منها أجناسها وهي معلنة ببلاغة لفظه ونظمه، وبراعة بيانه اللفظي، والذين يتكلمون في علم البيان وإعجاز القرآن يتكلمون في مثل هذا». اهـ[(١)(٢)].

المطلب السابع

من أمثال القرآن

وقال شيخ الإسلام: «إذا تبين ذلك فالأمثال المضروبة في القرآن منها ما يصرح فيه بتسميته مثلاً، ومنها ما لا يسمى بذلك[(٣)]. . . ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، والذي يليه[(٤)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، والذي بعده[(٥)] ليس فيه لفظ مثل:

---

(١) قال السيوطي في الإتقان: «عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب باباً في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل وأورد من ذلك آيات منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وانظر: الإتقان ٤/٤٣ وسبق بيان كلام العلماء على مسألة استعمال القرآن بدلاً من الكلام المعتاد.

ملاحظة: جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن مختار الأفضلي المصري القوصي توفي ٦٢٢هـ. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٦٣ ـ ٦٥.

(٣) بياض بالأصل وعبارة السيوطي: «أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به، وكامن لا ذكر للمثل فيه، فمن أمثلة الأول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ. . .﴾» انظر: الإتقان ٤/٣٩.

(٤) والذي يليه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩].

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١] في الثلاثة[١]، ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١١٧]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦].

ومن هذا الباب قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٠][٢] الآية، ويسمى جدالاً[٣] ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤] الآية، ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [هود: ٢٤]، ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الرعد: ١٤]، وقول يوسف: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ٥٠][٤] الآية، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]،[٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الرعد: ٣٥]، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤] إلى آخره، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥] والذي بعده[٦]، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿ٱنظُرْ

---

(١) وهي السابق، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في [الأنفال: ٥٢]، والثالث قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤].

(٢) وردت في موضعين ولعله أرادهما، أو الأول منهما، وهما: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، والثاني: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٣١].

(٣) يعني: هذا المثل يعتبر مثلاً ويعتبر جدالاً فهو جامع للأمرين. والله أعلم.

(٤) في موضعين: الأول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. الثاني: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

(٥) وانظر: ما تكلم به عن دلالة هذين المثلين وما ضربا له في درء تعارض العقل والنقل ١٨٦/٣.

(٦) وهو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٧٦].

كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: ٩][(١)] في موضعين، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء: ٨٩] بعد أدلة التوحيد والنبوة والتحدي بالقرآن، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] القصة، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤] ينبه على أنها براهين وحجج تفيد تصوراً أو تصديقاً[(٢)]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور: ٣٤] ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور: ٣٩] المثلين، مثل نور المؤمنين في المساجد وأولئك في الظلمات، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] فـ«التفسير» يعم التصوير، ويعم التحقيق بالدليل، كما في تفسير الكلام المشروح، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [العنكبوت: ٤١] الآية، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ [الروم: ٥٨] الآية، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨]، وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الزمر: ٢٧] إلى قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ [الزمر: ٢٩]، ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧] إلى آخره، لمّا أوردوه نقضاً على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨]

---

(١) في موضعين: الأول ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [السراء: ٤٨]. والثاني: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٩].

(٢) التصور: إدراك المفرد.
التصديق: إدراك النسبة. وانظر: السلم للأخضري ضمن المجموع الكبير من المتون ص٤٤٣.

فهم الذين ضربوه جدلاً، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣]، ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ [الحشر: ١٥]، ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] الآية، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التحريم: ١١]، و﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التحريم: ١١][1]، ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، ﴿كَٱلْفَرَاشِ﴾ [القارعة: ٤]، و﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ [القارعة: ٥][2]. اهـ[3].

المطلب الثامن

إعجاز القرآن ببيانه فائدة المثل

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «هو سبحانه الخالق العليم، الحق الحي الذي لا يموت، ومن سواه لا يخلق شيئاً، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

وهذا مثل ضربه الله، فإن الذباب من أصغر الموجودات، وكل من يدعي

---

(١) أي: وآية: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١].

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٥ ـ ٦٧.

(٣) والذي ذكره الشيخ هنا هو الأمثال المعينة المصرح بتسميتها مثلاً، أما الكامنة فقال السيوطي في الإتقان: قال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين ابن الفضل قلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها» قال نعم في أربعة مواضع قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [البقرة: ٦٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، الإتقان ٤/ ٤١.

فائدة: عدد ما ذكره الشيخ سبع وستون مثلاً.. والله أعلم.

والملاحظ لهذه الأمثال يجد أنها كلها أمثال محسوسة إلا مثلاً جاء للتبشيع وهو قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ والفائدة هي إقناع السامع بدخول الدين وانقطاع حجته مهما كانت.

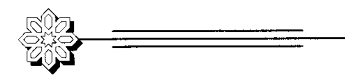
من دون الله لا يخلقون ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، فإذا تبين أنهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدرون على انتزاع ما يسلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبته أعجز وأعجز.

و«المثل»: هو الأصل والنظير المشبه به[١]، كما قال: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧]؛ أي: لما جعلوه نظيراً قاسوا عليه آلهتهم، وقالوا إذا كان قد عبد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا، فضربوه مثلاً لآلهتهم، وجعلوا يصدون؛ أي: يضجون ويعجبون منه احتجاجاً به على الرسول، والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر، كما بينه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال في فرعون: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٦]؛ أي: مثلاً يعتبر به ويقاس عليه غيره، فمن عمل بمثل عمله جوزي بجزائه، ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النور: ٣٤] وهو ما ذكره من أحوال الأمم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١] فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة، ومن كان من أهل الكفر قيس بهم، وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة». اهـ[٢].



(١) كما سبق في المطلب الأول.
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٤ ـ ١٦.


المبحث الرابع


إعجاز القرآن في القصص

إن أخبار القرآن بأحوال القرون السالفة والشرائع الماضية كما وقعت حتى اعترف بذلك من يعرفه ممن أفنى عمره بتعلم ذلك مع أمية من أتى بالقرآن وعدم مدارسته لأحد لأمر ملفت للانتباه محير للعقول مبطل لدعوى المعارضة، وقد قسمت هذا المبحث إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول

معنى أحسن القصص

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] فأخبر أنه أحسن الحديث، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

و«أحسن القصص» قيل: إنه مصدر، وقيل: إنه مفعول به[١].

قيل المعنى: نحن نقص عليك أحسن الأقصاص، كما يقال: نحن نكلمك أحسن التكليم ونبين لك أحسن البيان، قال الزجاج: نحن نبين لك أحسن البيان. والقاص: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها[٢].

(١) وانظر: للمزيد حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ وقد اختار الشيخ أنه مفعول به كما سيأتي في كلامه.

(٢) قال في اللسان القاص: الذي يأتي بالقصة من قصها ٧/ ٧٤، وقال في القاموس المحيط: القاص من يأتي بالقصة ص٨٠٩.

قال: وقوله ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ أي: بوحينا إليك هذا القرآن[١].

ومن قال هذا قال بما أوحينا إليك هذا القرآن، وعلى هذا القول فهو كقوله: نقرأ عليك أحسن القراءة، ونتلو عليك أحسن التلاوة.

والثاني: أن المعنى نقص عليك أحسن ما يقص؛ أي: أحسن الأخبار المقصوصات كما قال في السورة الأخرى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ وقال: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] ويدل على ذلك قوله في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥] وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١] المراد خبرهم ونبأهم وحديثهم، ليس المراد مجرد المصدر[٢].

والقولان متلازمان في المعنى كما سنبينه، ولهذا يجوز أن يكون هذا المنصوب قد جمع معنى المصدر والمفعول به لأن فيه كلا المعنيين، بخلاف المواضع التي يباين فيها الفعل المفعول به فإنه إذا انتصب بهذا المعنى امتنع المعنى الآخر. اهـ[٣].

المطلب الثاني

علاقة أحسن القصص بقصة يوسف عليه السلام

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قصة يوسف: «والذين يجعلون قصة يوسف أحسن القصص منهم من يعلم أن «القصص» بالفتح هو النبأ والخبر، ويقولون: هي أحسن الأخبار والأنباء[٤]، وكثير منهم يظن أن المراد أحسن القصص بالكسر، وهؤلاء جهال بالعربية.

---

(١) مقولة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٣/ ٨٧ ـ ٨٨، ونقله أيضاً النحاس في معاني القرآن ٣/ ٣٩٦ ولم يعزه.

(٢) والقولان ذكرهما البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٧/ ١٨ ـ ١٩.

(٤) وانظر: اللسان ٧/ ٧٤، والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٧٠.

وكلا القولين(١) خطأ، وليس المراد بقوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قصة يوسف وحدها، بل هي مما قصه الله، ومما يدخل في أحسن القصص، ولهذا قال تعالى في آخر السورة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١٠٩ ـ ١١١].

فبين أن العبرة في قصص المرسلين، وأمر بالنظر في عاقبة من كذبهم، وعاقبتهم بالنصر.

ومن المعلوم أن قصة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون وغيره أعظم وأشرف(٢) من قصة يوسف عليه السلام بكثير كثير، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثَنَّاها الله أكثر من غيرها، وبسطها وطولها أكثر من غيرها، بل قصص سائر الأنبياء ـ كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم من المرسلين عليهم الصلاة والسلام ـ أعظم من قصة يوسف، ولهذا ثَنّى الله(٣) تلك القصص في القرآن ولم يثنِ قصة يوسف، وذلك لأن الذين عادوا يوسف لم يعاوده على الدين، بل عادوه عداوة دنيوية، وحسدوه على محبة أبيه له وظلموه فصبر واتقى الله، وابتلي صلوات الله عليه بمن ظلمه، وبمن دعاه إلى الفاحشة فصبر واتقى الله في هذا وفي هذا وابتلي أيضاً بالملك، فابتلي بالسراء والضراء فصبر واتقى الله في هذا وهذا، فكانت قصته من أحسن القصص، وهي أحسن من القصص التي لم تقص في القرآن، فإن الناس قد يظلمون

---

(١) «القولين: يريد بهما ما ذكره قبل ذلك من أن بعض العامة يظن أن القصص جمع قصة.

والثاني: أن بعضهم يظن أن المراد أحسن القصص بالكسر».

(٢) أي: من ناحية المعاني التي اشتملت عليها كما سيبينه.

(٣) الثني: الأمر يعاد مرتين وأن يفعل الشيء مرتين. اللسان ١٤/ ١٢٠، ومراد الشيخ هنا كرر.

ويحسدون، ويدعون إلى الفاحشة، ويبتلون بالملك، لكن ليس من لم يذكر في القرآن ممن اتقى الله وصبر مثل يوسف عليه السلام، ولا فيهم من كانت عاقبته أحسن العواقب في الدنيا والآخرة مثل يوسف.

وهذا كما أن قصة أهل الكهف(١)، وقصة ذي القرنين(٢) كل منهما هي في جنسها أحسن من غيرها.

فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك، وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة.

فقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يتناول كل ما قصه في كتابه، فهو أحسن مما لم يقصه، ليس المراد أن قصة يوسف أحسن ما قص في القرآن، وأين ما جرى ليوسف مما جرى لموسى ونوح وإبراهيم وغيرهم من الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ؟ وأين ما عودي به أولئك مما عودي فيه يوسف؟ وأين فضل أولئك عند الله وعلو درجتهم من يوسف صلوات الله عليهم أجمعين؟ وأين نصر الله أولئك من نصر يوسف؟ فإن يوسف كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٦].

وأذل الله الذين ظلموه ثم تابوا، فكان فيها من العبرة أن المظلوم

---

(١) الكهف: كالغار في الجبل إلا أنه واسع. القاموس المحيط ص١١٠٠.
واختلف في مكانه فقال بعضهم: في الشام قرب عمان، وقال آخرون: في أرض الروم قرب عمورية، وقيل غير ذلك، ورجح ياقوت: بأنه بأرض الروم بين عمورية ونيقية، ورجح محمد تيسير ظبيان: أنهم في الأردن قرب عمان بالقرب من قرية الرقيم المشهورة عند العوام بالرحيب، ويقول: إن الآثار تدل على ذلك. والله أعلم بالصواب.
فإن مثل هذه المسائل الجهل بها لا يضر فإن الله ذكر لنا ماهو أنفع من خبرهم والأهم من أمرهم دون غيره من التفاصيل. وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٠٥، ومعجم البلدان ٣/ ٦٠ ـ ٦١.
وأهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية لمحمد تيسير ظبيان ص٣٩ وما بعدها.
(٢) تقدمت ترجمته ص١٧٦.

المحسود إذا صبر واتقى الله كانت له العاقبة وأن الظالم الحاسد قد يتوب الله عليه ويعفو عنه، وأن المظلوم ينبغي له العفو عن ظالمه إذا قدر عليه». اهـ[(١)].

ثم استمر كَلَّلَهُ في الحديث عن قصة يوسف وأنواع الصبر ثم لخص الموضوع بقوله:

«والمقصود هنا أن قوله: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قد قيل: إنه مصدر، وقيل: إنه مفعول به، والقولان متلازمان، لكن الصحيح أن القصص مفعول به وإن كان أصله مصدراً، فقد غلب استعماله في المقصوص كما في لفظ الخبر والنبأ، والاستعمال يدل على ذلك كما تقدم ذكره، وقد اعترف بذلك أهل اللغة، قال الجوهري: وقد قص عليه الخبر قصصاً، والاسم أيضاً القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه[(٢)]، فقوله أحسن القصص كقوله: نخبرك أحسن الخبر، وننبؤك أحسن النبأ، ونحدثك أحسن الحديث». اهـ[(٣)].

وتحدث شيخ الإسلام كَلَّلَهُ عن معنى «أحسن القصص» وعلاقته بإعرابها فقال في موضع آخر: «قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] المراد الكلام الذي هو أحسن القصص وهو عام في كل ما قصه الله لم يخص به سورة يوسف، ولهذا قال: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ ولم يقل بما أوحينا إليك هذه السورة، والآثار المأثورة في ذلك عن السلف تدل كلها على ذلك، وعلى أنهم كانوا يعتقدون أن القرآن أفضل من سائر الكتب[(٤)]، وهو المراد.

والمراد من هذا حاصل على كل تقدير فسواء كان أحسن القصص مصدراً

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٠ ـ ٢٣.
(٢) وانظر: الصحاح للجوهري ٣/ ١٠٥١ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
(٣) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٢.
(٤) كما سبق في ص١١٦ في مبحث «أن القرآن جمع علم الكتب السابقة».

أو مفعولاً أو جامعاً للأمرين، فهو يدل على أن القرآن وما في القرآن من القصص أحسن من غيره، فإنا قد ذكرنا أنهما متلازمان فأيهما كان أحسن كان الآخر أحسن، فتبين أن قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] كقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] والآثار السلفية تدل على ذلك.

والسلف كانوا مقرين بأن القرآن أحسن الحديث وأحسن القصص كما أنه المهيمن على ما بين يديه من كتب السماء، فكيف يقال: إن كلام الله لا فضل لبعضه على بعض(١).

روى ابن أبي حاتم، عن المسعودي(٢)، عن القاسم(٣)، أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة(٤)، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله فنزلت: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦](٥).

---

(١) هذه مسألة هل يتفاضل القرآن في نفسه؟ فيكون بعضه أفضل من بعض؟ فيها قولان: وأكثر السلف والخلف على أن بعض القرآن أفضل من بعض وفي حديث أبي بن كعب المرفوع «أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فضرب بيده في صدره وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر» أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين رقم ٨١٠، ١/٥٥٦، وغيره من الأدلة مما يدل على ذلك. وانظر ما كتبه الشيخ حول هذه المسألة في: مجموع الفتاوى ١٧/٢٠٨ وما بعدها.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المسعودي الهذلي ت١٦٠هـ ثقة اختلط في آخر عمره.
تهذيب التهذيب ٦/٢١٠، وتاريخ بغداد ١٠/٢١٨، والكواكب النيرات ص٥٤.

(٣) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود المسعودي ثقة ت١٢٠هـ، وقيل ١١٦هـ.
تهذيب التهذيب ٨/٣٢١، وقد نص على أنه روى عنه عبد الرحمن وأخوه عتبة ابنا عبد الله المسعوديان.

(٤) الملال: هو أن تمل شيئاً وتعرض عنه وتبرم به. اللسان ١١/٦٢٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يوسف «دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم بن عبيد البنجابي «ماجستير» ص١٨ ـ ١٩، وقال: مرسل إسناده حسن إلى القاسم وهو عند ابن مردوية عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد روى أبو عبيد[1] في «فضائل القرآن» عن بعض التابعين، فقال: «حدثنا حجاج[2]، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله بن عتبة[3] قال: ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، قال: ثم نعته فقال: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] إلى آخر الآية، قال: ثم ملوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ١ ـ ٣]، قال: فإن أرادوا الحديث دلهم على أحسن الحديث، وإن أرادوا القصص دلهم على أحسن القصص»[4].

---

(١) أبو عبيد: القاسم بن سلام بن عبد الله إمام حافظ مجتهد صاحب فنون، سمع من سفيان بن عيينة ووكيع وعبد الله بن المبارك وجماعة كثيرون، وقرأ القرآن على الكسائي، وسمع الحروف من طائفة، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد وجماعة، له تصانيف كثيرة منها: الأموال، والغريب، وفضائل القرآن، والناسخ والمنسوخ وغيرها كثير، ثقة مأمون ت٢٢٤هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠ ـ ٥٠٩.

(٢) حجاج بن محمد المصيصي الأعور ثقة ثبت إلا أنه تغير في آخر عمره ت٢٠٦هـ.
تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٥، تاريخ بغداد ٨/ ٢٣٦، الكواكب النيرات ص٥٥ فقد ذكر أنه ممن أخذ عن المسعودي بعد الاختلاط.

(٣) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، ثقة عابد زاهد كثير الإرسال عن الصحابة، وذكر البخاري أنه سمع من أبي هريرة وابن عمر. تهذيب التهذيب ٨/ ١٧١.

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٢ بدون العبارة الأولى فإن أراد الحديث...
والأثر رواه ابن جرير أيضاً بهذا اللفظ ١٥/ ٥٥٢ (شاكر) عن المسعودي عن عون بن عبد الله. كما أورده الشيخ هنا وقال محققه محمود شاكر: الخبر مرسل.
ولعل وجه الفرق بين أحسن الحديث وأحسن القصص:
الحديث هو: الخبر لأن شأن الإخبار يكون عن أمر حدث وجد. وسمى الله القرآن حديثاً لما اشتمل عليه من أخبار الأمم والوعد والوعيد، وأما ما فيه من الإنشاء فباعتبار أن النبي ﷺ مبلغه للناس آل إلى أنه إخبار عن أمر الله ونهيه... ومعنى كونه أحسن الحديث أنه أفضل الأخبار لأنه أشتمل على أفضل ما تشتمل عليه من المعاني=

ورواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن[١] مرفوعاً عن مصعب بن سعد[٢] عن سعد[٣] قال: نزل على رسول الله ﷺ القرآن فتلاه عليهم زماناً، فقالوا:

يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ - إلى قوله -: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ١ - ٣] فتلاه عليهم زماناً»[٤]. اهـ[٥].

ثم ذكر الشيخ الكلام عن مسألة النهي عن اتباع ما سواه لأنه أحسن الكلام ثم قال: «وروى ابن أبي حاتم عن قتادة[٦] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قال: من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم[٧] ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ

= النافعة والتنبيهات، ومن فصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه؛ البالغين حد الإعجاز، ولما فيه من الهيمنة على ما قبله من الكتب... أما كونه أحسن القصص: لأن قصصه أحسن من قصص غيره، من جهة: حسن نظمه، وإعجاز أسلوبه، وبما تضمنه من العبر والحكم، فالعلاقة بينهما أن القصص جزء من أجزاء الحديث فهي علاقة عموم وخصوص... وللاستزادة انظر: تفسير الفخر الرازي ١٨/٨٦، و٢٦/٢٦٨، والتحرير والتنوير ١٢/٢٠٢ و ٢٣/٣٨٤، والهدى والبيان في أسماء القرآن ص٦٧.

(١) وإسناده: حدثنا أبو يحيى محمد بن سعيد بن غالب العطار، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا خلاد وهو ابن مسلم الصفار عن عمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد... كما في تفسير ابن أبي حاتم لسورة يوسف تحقيق محمد البنجابي ص١٥.

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني، ثقة كثير الحديث وهو من التابعين ت١٠٣هـ. تهذيب التهذيب ١٠/١٦٠.

(٣) سعد بن مالك بن أبي وقاص الصحابي المشهور ت٥٥هـ. تهذيب التهذيب ٣/٤٨٣.

(٤) انظر: تفسير سورة يوسف لابن أبي حاتم ص١٥. دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم البنجابي وقال: إسناده حسن.

(٥) مجموع الفتاوى ١٧/٣٩ - ٤١.

(٦) سبقت ترجمة قتادة ص١٣١. وإسناده: حدثنا علي بن الحسن، حدثنا أبو الجماهر، أنبأنا سعيد بن بشير، عن قتادة.

(٧) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٥٥١. وأخرجها ابن أبي حاتم في تفسير سورة يوسف تحقيق ودراسة محمد بن عبد الكريم ص١٩ وقال: إسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير لكنه توبع فيرتقي إلى الحسن لغيره.

﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾، وهذا يدل على أن أحسن القصص يعم هذا كله، بل لفظ «القصص» يتناول ما قصه الأنبياء من آيات الله غير أخبار الأمم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال[١] في موضع آخر: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٧١]». اهـ[٢].

المطلب الثالث

تكرار القصص

تكلم شيخ الإسلام في أثناء رسالته «معارج الوصول»[٣] عن تكرار القصة، فقال بعد ذكره لقصة موسى مع فرعون: «وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمي الله ورسوله وكتابه أسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل: أسماء النبي ﷺ[٤]، إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر[٥]،

---

(١) أي: وقال الله تعالى في موضع... (٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٢.

(٣) وهي مطبوعة ضمن المجلد التاسع عشر «أصول الفقه».

(٤) أسماء النبي ﷺ وردت في أحاديث منها: ما رواه البخاري ٨/ ٦٤١ (الفتح) عن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». في كتاب التفسير؛ تفسير سورة الصف. ورواه الإمام مسلم في صحيحه ٢/ ١٨٢٨ في كتاب الفضائل برقم ٢٣٥٤، وفسر العاقب بالذي ليس بعده أحد. وروى مسلم أيضاً ٢/ ١٨٢٨ برقم ٢٣٥٥ عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ص٦٧ عن أبي موسى قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والحاشر، والمقفى، ونبي الرحمة والتوبة والملحمة». انظر: ابن كثير ٨/ ١٣٥.

(٥) والحاشر: أي: الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره. النهاية ١/ ٣٨٨.

والعاقب[١]، والمقفى[٢]، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة[٣]، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة.

وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن[٤]، وفرقان[٥]، وبيان[٦]، وهدىً[٧]، وبصائر[٨]، وشفاء[٩]، ونور[١٠]، ورحمة[١١]، وروح[١٢]، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر.

وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر[١٣]، الخالق، البارئ، المصور[١٤]، فكل

---

(١) والعاقب: هو آخر الأنبياء ﷺ، والعاقبة والعاقب: الذي يخلف من كان في الخير. النهاية ٣/٢٦٨.

(٢) والمقفى: قال ابن الأثير: هو المولي الذاهب، يعني: أنه آخر الأنبياء ﷺ المتبع لهم فإذا قفى فلا نبي بعده. النهاية ٤/٩٤.

(٣) ونبي الملحمة: يعني: نبي القتال، وهو كقوله: «بعثت بالسيف». النهاية ٤/٢٤٠.

(٤) كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧].

(٥) كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

(٦) كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

(٧) كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].

(٨) كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٠٤، ١٠٥].

(٩) كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

(١٠) كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

(١١) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

(١٢) كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ...﴾ [الشورى: ٥٢].

(١٣) كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

(١٤) كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الأسماء المفردة.

وكذلك في الجمل التامة، يعبر عن القصة بجمل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معانٍ أخر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجمل معنىً ليس في الجمل الأخر.

وليس في القرآن تكرار أصلاً، وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن فيكون ذلك كافياً، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة، لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع(١)، فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره». اهـ(٢).

ولما تكلم عن التكرار في القرآن عند تفسيره لسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ قال: «وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم». اهـ(٣).

المطلب الرابع

فائدة القصص

قال رحمه الله: «وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتثبيت ليتأسى بهم في الصبر على ما كذبوا وأوذوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]. . .

ولهذا قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]،

---

(١) ذكر ذلك أبو الفرج ابن الجوزي عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] في زاد المسير ٧/ ١٧٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٧ ـ ١٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٧.

وقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]. اهـ(١).

وعندما تعرض الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠](٢) قال بعدها: «وفي قصص هذه الأمور عبرة للمؤمنين بهم، فإنهم لا بدّ أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فليتيقن المرتاب، ويتوب المذنب ويقوى إيمان المؤمنين، فبها يصح الاتساء(٣) بالأنبياء كما في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. اهـ(٤).

المطلب الخامس

العلاقة بين القصص والأمثال

قال شيخ الإسلام بعد كلامه عن الأمثال: «ونظير ذلك ذكر القصص، فإنها كلها أمثال هي أصول قياس واعتبار، ولا يمكن هناك(٥) تعدد ما يعتبر بها، لأن كل إنسان له في حالة منها نصيب، فيقال فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، ويقال عقب حكايتها ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]، ويقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣](٦) والاعتبار:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٧٢.

(٢) وتمامها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

(٣) التأسي في الأمور: الأسوة وهي القدوة. وانظر: اللسان ١٤/ ٣٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٧٨.

(٥) لعل الصواب «لا يمكن هنا».

(٦) يتبين من هذا أن قصص القرآن ليس مجرد قصص تاريخي وإنما هو صياغة لقواعد في هذا الأسلوب الفني البديع.

هو القياس بعينه[١]، كما قال ابن عباس لما سئل عن دية الأصابع، فقال: هي سواء واعتبروا ذلك بالأسنان»[٢]، أي: قيسوها بها، فإن الأسنان مستوية الدية مع اختلاف المنافع، فكذلك الأصابع، ويقال: اعتبرت الدراهم بالصنجة[٣] إذا قدرتها بها». اهـ[٤].



---

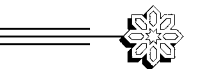
(١) قال في التعريفات: الاعتبار: هو النظر في الحكم الثابت، وإلحاق نظيره به وهذا عين القياس. التعريفات ص٣٠.

(٢) كما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس مرفوعاً قال: «هذه وهذه سواء، يعني: الخنصر والإبهام» رواه البخاري في كتاب الديات باب دية الأصابع. انظر: (الفتح) ١٢/ ٢٢٥.

وعند الترمذي رواية أخرى بلفظ: «دية أصابع اليدين والرجلين سواء عشرة من الإبل لكل إصبع». وانظر: الترمذي كتاب الديات باب في دية الأصابع ١٣/٤، وأما السن ففيها قوله تعالى: ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ وحديث أنس ﷺ أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها فأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص» رواه البخاري كتاب الديات باب السن بالسن. انظر: (الفتح) ١٢/ ٢٢٣.

(٣) الصنجة: هي صنجة الميزان معرب من الفارسي. وانظر: اللسان ٢/ ٣١١، والإفصاح ٦٨٣. الظاهر أن المقصود بها الكفة أو ما يوضع فيها ليوزن به.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٥٧ ـ ٥٨.

 المبحث الخامس 

إعجاز القرآن في المخاطبات بحسب الحاجات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله تعالى قد أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى جميع العالمين، وضرب الأمثال فيما أرسله به لجميعهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الزمر: ٢٧] فأخبر أنه ضرب لجميع الناس في هذا القرآن من كل مثل.

ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات...»[(١)]، ثم تكلم عن استعمال السلاح حسب الحاجة، ثم قال: «فكما أن الله بيّن في كتابه مخاطبة أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم بما بينه من أعلام رسالة محمد ﷺ، وبما في كتبهم من ذلك، وما حرفوه[(٢)] وبدلوه[(٣)] من دينهم، وصدق بما جاءت به الرسل من قبله، حتى إذا سمع ذلك الكتابي العالم المنصف وجد ذلك كله من أبين الحجة وأقوم البرهان.

والمناظرة[(٤)] والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف، وإلا فالظالم

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٠٦ ـ ١٠٧. وانظر ما قاله عن الجدل وأنه من باب دفع الصائل في كتابه: الرد على المنطقيين ص٤٦٧ ـ ٤٦٨.

(٢) التحريف: تحريف الشيء إمالته، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾. مفردات الراغب ص١١٣.

(٣) التبديل: هو جعل الشيء مكان آخر وهو أعم من العوض بأن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، أما التبديل فقد يقال للتغيير مطلقاً وإن لم يأتِ ببدله قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾. مفردات الراغب ص٣٦.

(٤) المناظرة: لغة من النظير أو من النظر، واصطلاحاً: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب. التعريفات ص٢٣١.

يجحد الحق الذي يعلمه: وهو المسفسط[١] والمقرمط[٢]، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم: هو المعرض عن النظر والاستدلال[٣]... ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن»[٤]. اهـ.

وقال رحمه الله عن طرق الدعوة الثلاث:

«إن الله أمر نبيه أن يدعو إلى سبيل ربه: بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن.

وهذه الطرق الثلاث هي النافعة في العلم والعمل، وتشبه ما يذكره أهل المنطق من: البرهان[٥]، والخطابة[٦]، والجدل[٧]... إلى أن قال: وأما الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل الأحسن، فإنه يعطي التصديق والعمل فهو نافع منفعة عظيمة.

وإنما قلت:[٨] إن هذه الثلاثة تشبه من بعض الوجوه الأقيسة الثلاثة التي هي:

---

(١) السفسطة: قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته. التعريفات ١١٨.

(٢) القرمطة: هي فعل أفعال القرامطة: بأن يجعلوا للنص ظاهراً وباطناً كي يتمشى مع مذهبهم الباطل، وغرضهم إبطال الشريعة. وانظر: القرامطة لابن الجوزي ٣٦ ـ ٣٧.

(٣) هنا كلام عن الإحساس الظاهر والشهود الباطن والبحث عن العلم ثم استأنف وقال: «ولما كانت المحاجة...».

(٤) مجموع الفتاوى ٤/١٠٨ ـ ١٠٩.

(٥) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات، أو بواسطة وهي النظريات. التعريفات ص٤٤.

(٦) الخطابة: قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه. التعريفات ص٩٩.

(٧) الجدل: القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. التعريفات ص٧٤.
والداعي لنقل هذه الأقيسة هو مقارنة أسلوب القرآن بأسلوب غيره.

(٨) القائل: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

البرهانية، والخطابية، والجدلية، وليست هي بل أكمل من وجوه كثيرة لوجوه:

أحدها: أن التي في القرآن تجمع نوعي: العلم والعمل، الخبر والطلب، على أكمل الوجوه بخلاف الأقيسة المنطقية.

وذلك أن القياس العقلي المنطقي: إنما فائدته مجرد التصديق في القضايا الخبرية، سواء تبع ذلك عمل أو لم يتبعه، فإن كانت مواد القياس يقينية[١] كان برهاناً[٢]، سواء كانت مشهورة أو مسلمة[٣] أو لم تكن، وهو يفيد اليقين وإن كانت مشهورة، أو مقبولة سمي خطابة، سواء كانت يقينية أو لم تكن، وذلك يفيد الاعتقاد والتصديق الذي هو بين اليقين والظن، ليس أنه يفيد الظن دون اليقين، إذ ليس في كونها مشهورة ما يمنع أن تكون يقينية مفيدة ليقين.

وفرق بين ما لا يجب أن يفيد اليقين، وما يمنع إفادة اليقين، فالمشهورة من حيث هي مشهورة: تفيد التصديق والإقناع والاعتقاد ثم إن عرف أنها يقينية أفادت اليقين أيضاً، وإن عرف أنها غير يقينية لم تفد إلا الظن، وإن لم تشعر النفس بواحد منهما: بقي اعتقاداً مجرداً، لا يثبت له اليقين ولا ينفى عنه.

وأما الحكمة في القرآن: فهي معرفة الحق وقوله والعمل به.

والموعظة الحسنة: تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر، ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيب وترهيب، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٦][٤]، وقوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧]، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً﴾ [البقرة: ٦٦]؛ أي: يتعظون بها فينتبهون وينزجرون.

---

(١) اليقين: لغة العلم الذي لا شك معه، واصطلاحاً: اعتقاد الشيء بأنه مطابق للواقع غير ممكن الزوال.
وقيل: طمأنينة القلب على حقيقة الشيء. انظر: التعريفات ص٢٥٩.

(٢) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات سواء ضروريات أو نظريات.
والأوسط لا بد فيه أن يكون علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر. انظر: التعريفات ص٤٤.

(٣) المسلمات: قضايا تسلم من الخصم ويبنى عليها الكلام. التعريفات ص٢١٣.

(٤) ووجه المناسبة هو: تسميه الله الأمر والنهي وعظاً.

وكذلك الجدل الأحسن: يجمع الجدل للتصديق، وللطاعة.

الوجه الثاني: ويمكن أن يقسم هذا إلى وجه آخر، بأن يقال: الناس ثلاثة أقسام:

إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب حكمة.

وإما أن يعترف به، لكن لا يعمل به فهذا يوعظ حتى يعمل.

وإما أن لا يعترف به، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، لأن الجدال في مظنة الإغضاب، فإن كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل[(١)(٢)].

الوجه الثالث: أن كلام الله لايشتمل إلا على حق يقين لا يشتمل على ما تمتاز به الخطابة والجدل عن البرهان، بكون المقدمة مشهورة، أو مسلمة غير يقينية، بل إذا ضرب الله مثلاً مشتملاً على مقدمة مشهورة أو مسلمة، فلا بدّ وأن تكون يقينية، فأما الاكتفاء بمجرد تسليم المنازع من غير أن تكون المقدمة صادقة، أو بمجرد كونها مشهورة، وإن لم تكن صادقة فمثل هذه المقدمة لا يشتمل عليها كلام الله، الذي كله حق وصدق، وهو أصدق الكلام وأحسن الحديث فصاحب الحكمة: يدعي[(٣)] بالمقدمات الصادقة، سواء كانت مشهورة أو مسلمة أو لم تكن لما فيه من إدراك الدق[(٤)] واتباع الحق.

وصاحب الموعظة: يدعي من المقدمات الصادقة بالمشهورة لأنه قد لا يفهم الخفية من الحق ولا ينازع في المشهورة.

وصاحب الجدل: يدعي بما يسلمه من المقدمات الصادقة، مشهورة

---

(١) وانظر ما كتبه عن هذه الطرق الثلاث في كتابه: الرد على المنطقيين ص٤٦٨، واشتراط أن تكون المجادلة بعلم، والحكمة بعلم أيضاً.

(٢) الصائل: صال على قرنه صولاً وَصيالاً: سطا وصال الجمل وهو صؤول: وهو الذي يأكل راعيه ويواثب الناس فيأكلهم، وأصول: أي: أسطو وأقهر. اللسان ١١/ ٣٨٧.

(٣) هكذا في المطبوع في المواضع الثلاثة ولعل الصواب يدعو؛ أي: يدعو غيره بكذا، أو يَدّعى بتشديد الثاني؛ أي: يأخذ بكذا أو من كذا والله أعلم بالصواب.

(٤) الدق: كل شيء دق وصغر وهو نقيض الجل. اللسان ١٠/ ١٠١.

كانت أو لم تكن، إذ قد لا ينقاد إلى ما لا يسلمه، سواء كان جلياً، أو خفياً، وينقاد لما يسلمه، سواء كان جلياً أو خفياً، فهذا هذا.

وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال من الكفار المتفلسفة وبعض المتكلمة، من كون القرآن جاء بالطريقة الخطابية[١]، وعري عن البرهانية أو اشتمل على قليل منها، بل جميع مااشتمل عليه القرآن هو الطريقة البرهانية وتكون تارة خطابية، وتارة جدلية[٢] مع كونها برهانية، والأقيسة العقلية ـ التي اشتمل عليها القرآن ـ هي الغاية في دعوة الخلق إلى الله، كما قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩] في أول «سبحان»[٣] وآخرها، وسورة الكهف[٤]، والمثل: هو القياس.

ولهذا اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء، من المتكلمة والمتفلسفة، وغيرهم، ونزه الله[٥] عما يوجد في كلامهم، من الطرق الفاسدة ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال[٦].

الوجه الرابع: أن هنا نكتة ينبغي التفطن لها، فإنها نافعة وذلك أن المقدمة المذكورة في القياس الذي هو مثل: لها وصف ذاتي، ووصف إضافي: فالوصف الذاتي لها: أن تكون مطابقة، فتكون صدقاً، أو لا تكون مطابقة فتكون كذباً، وجميع المقدمات المذكورة في أمثال القرآن هي صدق والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سبق تعريفها ص٢٣٨. (٢) سبق تعريفها ص٢٣٨.

(٣) سورة «سبحان»: هي سورة الإسراء، وسميت بذلك لأن الله صدرها بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ . . .﴾.

(٤) أي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الاسراء: ٤١]، وآية الكهف وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤].

(٥) تقدير الجملة: ونزه القرآن الله فالضمير يعود إلى المتكلم عنه وهو القرآن.

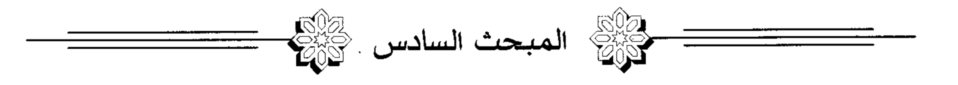
(٦) وهذا المقطع يدل على صحة وكمال الطرق العقلية في القرآن كما سيأتي ص٢٧٥.

وأما الوصف الإضافي: فكونها معلومة عند زيد، أو مظنونة، أو مسلمة أو غير مسلمة: فهذا أمر لا ينضبط، فرُبَّ مقدمة هي يقينية عند شخص قد علمها وهي مجهولة، فضلاً عن أن تكون مظنونة عند من لم يعلمها، فكون المقدمة يقينية، أو غير يقينية، أو مشهورة، أو غير مشهورة، أو مسلمة أو غير مسلمة أمور نسبية وإضافية لها، تعرض بحسب شعور الإنسان بها.

ولهذا تنقلب المظنونة، بل المجهولة في حقه يقينية معلومة، والممنوعة مسلمة، بل والمسلمة ممنوعة. والقرآن كلام الله الذي أنذر به جميع الخلق لم يخاطب به واحداً بعينه حتى يخاطب بما هو عنده يقيني من المقدمات، أو مشهور، أو مسلم»[1].



(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٢ ـ ٤٨.



المبحث السادس

بيان القرآن للحق بالأدلة العقلية والقياس البين

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول

اشتمال القرآن على الأدلة العقلية

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القرآن بين فيه أصول الدين في المسائل[١] والدلائل[٢] على غاية الإحكام ونهاية التمام، وأن خلاصة ما يذكره أهل الكلام والفلسفة إنما هو بعض ما بينه القرآن والحديث، مع سلامة ذلك عما في كلامهم من التناقض والاختلاف، واشتماله على ما تقصر عنه نهاية عقولهم، وما لا يطمعون أن يكون من مدلولهم، وبينا أن تعريف الشارع ودلالة الشرع ليس بمجرد الإخبار كما يظنه من يظن ذلك من أهل الكلام والفلسفة، فإن مثل هذا الظن بالشارع هو الذي أوجب أن يلمزوا المؤمنين بما هم به أولى وأحرى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] وهذا حال الكفار والمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ

---

(١) المسائل: هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها، وتأثيرها. وانظر: التعريفات ص٢١١.

(٢) الدلائل: جمع دليل وهو المرشد، واصطلاحاً: «الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر». وانظر: التعريفات ص١٠٤.

شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٣، ١٤].

وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣١] فإن الله سبحانه ضمّن كتابه العزيز فيما أخبر عن نفسه وأسمائه وصفاته من الأدلة والآيات والأقيسة التي هي الأمثال المضروبات مابين ثبوت المخبر بالعقل الصريح، كما خاطب أولي الألباب[(١)]، والنهى[(٢)]، والحجر[(٣)]، ومن يعقل[(٤)]، ويسمع[(٥)]، بل قد ضمّن كتابه من الأدلة العقلية في أمر المعاد، ما هو بيّن لعامة العباد، بل ضمّن كتابه العزيز من الأدلة العقلية على ثبوت الأمر والنهي والوعد والوعيد[(٦)] ما نبه عليه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ

---

(١) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]. والألباب: جمع لب وهو العقل. اللسان ١/ ٧٢٩.

(٢) كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: ٥٣، ٥٤]. والنهى: العقل، ويكون للواحد والجمع. اللسان ١٥/ ٣٤٦.

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: ١ - ٥]. والحجر: جمع حجر: وهو العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز. اللسان ٤/ ١٧٠.

(٤) كما قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٨].

(٥) كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: ٦٥].

(٦) الوعد: يكون في الخير، وهو بعبارة أخرى الترغيب بما عند الله تعالى، والوعيد والتهديد: وهو الترهيب مما عند الله تعالى من العقاب. وانظر: اللسان ٣/ ٤٦٣، والقاموس المحيط ٤١٦، والنهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٠٦.

رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٢ ـ ٥٤].اهـ[١].

وقال في موضع آخر عن دلالة القرآن العقلية: «إن الكتاب والرسول ﷺ وإن كان يخبر أحياناً بخبر مجرد[٢]، كما يأمر أحياناً مجرد، فهو يذكر مع إخباره عن الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، من الدلالة والبيان والهدى والإرشاد، ما يبين الطرق التي يعلم بها ثبوت ذلك، وما يهدي القلوب ويدل العقول على معرفة ذلك، ويذكر من الآيات والأمثال المضروبة، التي هي مقاييس عقلية وبراهين يقينية، ما لايمكن أن يذكر أحد من أهل الكلام والفلسفة ما يقاربه فضلاً عن ذكر ما يماثله أو يفضل عليه.

ومن تدبر ذلك رأى أنه لم يذكر أحد ـ طريقاً عقلياً يعرف به وجود الصانع، أو شيء من أحواله من أهل الكلام والفلاسفة، إلا وقد جاء القرآن بما هو خير منه، وأكمل، وأنفع، وأقوى، وأقطع، بتقدير صحة ما يذكره هؤلاء». اهـ[٣].

المطلب الثاني

العلاقة بين العقل والنقل

تحدث شيخ الإسلام عن العلاقة بين طريق العقل وطريق النقل، فقال: «ولما كان الطريق إلى الحق هو السمع والعقل، وهما متلازمان، كان من سلك الطريق العقلي دله على الطريق السمعي، وهو صدق الرسول، ومن سلك

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) وقال في كتابه الرد على المنطقيين ص٣٢٤: «وليس تعليم الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ مقصوراً على مجرد الخبر، كما يظنه كثير من النظار، بل هم بينوا من البراهين العقلية التي بها تعلم العلوم الإلهية ما لا يوجد عند هؤلاء البتة، فتعليمهم ـ صلوات الله عليهم ـ جامع للأدلة العقلية والسمعية جميعاً بخلاف الذين خالفوهم...»اهـ.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/٣٥٢، وانظر: مجموع الفتاوى ٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١/٢٨ ـ ٣٨، ١/١٥٥، ٢/١٤٩، ٣/٨٧، ٥/٢٠٣، ٥/٢١٤، ٥/٣١٩، ٧/٨٤، ٧/٢٨٩، والرد على المنطقيين ص٤٧٢.

الطريق السمعي بيّن له الأدلة العقلية[(١)]، كما بيّن ذلك القرآن، وكان الشقي المعذب من لم يسلك لا هذا ولا هذا كما قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠]،[(٢)] وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ولهذا نفى سبحانه عن الشرك الطريق السمعي والعقلي[(٣)]، ونفى شرك الإلهية والربوبية في مثل قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤] فطالبهم أولاً: بالطريق العقلي، وثانياً: بالطريق السمعي.

ونظيره قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر: ٤٠] وهذا باب واسع قد بسط الكلام فيه في غير هذا الموضع». اهـ[(٤)].

المطلب الثالث

دلالة القرآن العقلية هي طريقة الرسل وأتباعهم

«وهكذا غالب ما بينه القرآن، فإنه يبين الحق والصدق، ويذكر أدلته وبراهينه، ليس بمجرد الإخبار عن الأمر، كما قد يتوهمه كثير من المتكلمة والمتفلسفة، أن

---

(١) وهذا دليل على أن من أنكر أحدهما فقد حاد عن الآخر فمن أنكر السمعي بحجة أن العقلي لم يدل عليه فإن ذلك لقصور في استدلاله وكذا العكس فالمخالف لمنهج الكتاب والسنة متخبط متناقض مهما ادعى من العلم والنظر.

(٢) وفي هذه الآية دليل على وقوع الضلال في كل من الطريقين السمعي والعقلي، وانظر ما قرره الشيخ في: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٢٧٧.

(٣) فالشرك لا دليل له ولا حجة، لا من عقل ولا من نقل وإنما هو هوى النفس الأمارة بالسوء واتباع الهوى والشيطان الذي أقسم ليغوين ذرية آدم إلا من شاء الله، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

دلالته سمعية خبرية، وأنها واجبة لصدق المخبر، بل دلالته أيضاً عقلية برهانية[(١)]، وهو مشتمل من الأدلة والبراهين على أحسنها وأتمها بأحسن بيان، لمن كان له فهم وعقل[(٢)]، بحيث إذا أخذ ما في القرآن من ذلك، وبيّن لمن لم يعلم أنه كلام الله، أو لم يعلم صدق الرسول، أو يظن فيه ظناً مجرداً عن ما يجب من قبول قول المخبر، كان فيه ما يبيّن صدقه وحقه، ويبرهن عن صحته». اهـ[(٣)(٤)].

وقال الشيخ رحمه الله: «ومن سلك الطرق النبوية[(٥)] السامية علم أن العقل الصريح مطابق للنقل الصحيح وقال بموجب العقل في هذا وفي هذا وأثبت ما أثبتته الرسل». اهـ[(٦)].

وقال عن طريقة الرسل: «ولا ريب أن الرسل صلوات الله عليهم يخبرون الخلق بما تعجز عقولهم عن معرفته، ولا يخبرونهم بما يعلمون امتناعه، فهم يخبرونهم بمحارات[(٧)] العقول لا بمحالاتها[(٨)]». اهـ[(٩)].

---

(١) بل السمعيات مملوءة بالأدلة العقلية بدون تناقض. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٩٢ ـ ٩٣.
وقال رحمه الله في موضع آخر: «من قدم العقل على الشرع فقد قدح في العقل والشرع جميعاً، وهو حال الذين قالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، انظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٧٦.

(٢) وقد تكلم رحمه الله عن صحة وكمال وبلاغة الأدلة العقلية في القرآن كما سبق ص٢٧٠، وكما في مجموع الفتاوى ١٤/ ٦٢، و٢/ ٤٦ ـ ٤٧.

(٣) وللاستزادة أيضاً. انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٣٧.

(٥) الطريق هو: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب. التعريفات ص١٤١ وطريق الأنبياء المشترك هو دعوتهم إلى التوحيد ونبذ ما يخالفه وهو الأصل المشترك كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

(٦) الصفدية ١/ ٢٤٦.

(٧) الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء. اللسان ٤/ ٢١٧ فسمي ما يتردد على العقل حتى يقبله ويعرفه محاراً لأنه يذهب ويعود.

(٨) المحال: الكلام الذي لا يستقر عقلاً. أو ما عدل به عن وجهه. وانظر: اللسان ١١/ ١٨٦، والقاموس ١٢٧٨.

(٩) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٢٧، وانظر أيضاً منه: ٩/ ٤٩.

وتكلم عن موقف السلف[١] أيضاً من العقل فقال أثناء حديثه عنهم: «ولا كانوا ينكرون المعقولات الصحيحة أصلاً ولا يدفعونها، بل يحتجون بالمعقولات الصريحة كما أرشد إليها القرآن ودل عليها، فعامة المطالب الإلهية قد دل القرآن عليها بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية كما قد بسط الكلام فيه في غير هذا الموضع، ولكن طائفة من أهل الكلام والفلسفة ظنوا أن دلائل القرآن إنما هي مجرد أخباره، فيتوقف على العلم بصدق المخبر، وهذا من بعض ما فيه من الأدلة، لكن فيه الإرشاد والبيان للأدلة التي يعلم بالعقل دلالتها على المطلوب، فهي أدلة شرعية عقلية، وغالب ما في القرآن من هذا الباب».اهـ[٢][٣].

المطلب الرابع

حال المسلم مع من يدعي القياس العقلي

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند كلامه عن الصابئة[٤] الفلاسفة[٥] والمشركين: «وإن ذكروا ما يتعلق «بالدين» فإن نقلوه عن الأنبياء كانوا فيه كأهل الكتاب وأسوأ حالاً، وإن أحالوا معرفته على القياس العقلي، فإن وافق ما في القرآن فهو حق، وإن خالفه ففي القرآن بطلانه بالأمثلة المضروبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ

(١) سبق تعريف مصطلح (السلف) ص١١٧. (٢) الصفدية ١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٣) وقد تولى الرد على من زعم خلاف ذلك ممن قالوا إن طريقة القرآن خطابية فقط وليست برهانية كما سبق ص٢٣٨.
وانظر: مجموع الفتاوى ٢/ ٤٦ ـ ٤٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٧٦، و٧/ ٣٦١ ـ ٣٨٢، فقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى وأشبع المسألة بحثاً.

(٤) الصابئة: في اللغة صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. وإنما مدار مذهبهم التعصب للروحانيين وهم يقولون بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام، ولا يقولون بالشريعة والإسلام. الملل والنحل ٢/ ٤ ـ ٥.
وهؤلاء هم الصابئة المبدلين؛ لأن من الصابئة صابئة حنفاء كما ذكر الشيخ في درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٣٤، وابن كثير في التفسير ١/ ١٤٩، وابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/ ٢٤٩.
والمبدلين هم غالب من يطلق عليهم وصف الصابئة.

(٥) سبق تعريف الفلاسفة ص١١٩.

إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، ففي القرآن الحق والقياس البين الذي يبين بطلان ما جاءوا به من القياس، وإن كان ما يذكرونه مجملاً فيه الحق ـ وهو الغالب على الصابئة المبدلين، مثل «أرسطوا»[١] وأتباعه، وعلى من اتبعهم من الآخرين ـ قبل الحق ورد الباطل ـ والحق من ذلك لا يكون بيان صفة الحق فيه كبيان صفة الحق في القرآن. فالأمر في هذا موقوف على معرفة القرآن ومعانيه وتفسيره وترجمته[٢]». اهـ[٣].

المطلب الخامس

خلاصة القول وحال المعارضين

قال رحمه الله تعالى: «والمقصود هنا التنبيه على أن القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم، وعلى البراهين والآيات والأدلة اليقينية، بخلاف ما أحدثه المبتدعون والملحدون، كما قال الرازي[٤] مع خبرته بطرق هؤلاء: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن: اقرأ في الإثبات ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، واقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». اهـ[٥][٦].

---

(١) أرسطو: فيلسوف يوناني له مؤلفات كثيرة منها: المعقولات، السماء والعالم، الجدل، عاش ما بين ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م. وانظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ١١٧.
(٢) الترجمة: هي تفسير الكلام بلسان آخر. اللسان ١٢/ ٦٦.
(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ١١٥.
(٤) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، الأصولي المفسر كبير المصنفين، اشتغل على أبيه ضياء الدين خطيب الري، وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً، له في تواليفه بلايا وعظائم وانحرافات لكنه توفي على طريقة حميدة والله يعفو عنه ويتولى السرائر، مات يوم عيد الفطر ٦٠٦هـ. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠.
(٥) نص كلام الرازي في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢١، وهي جزء من وصيته التي أوصى بها ـ لما احتضر ـ تلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني.
(٦) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٩.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عنهم: «فتبين أن هؤلاء الذين يدعون العقليات التي تعارض السمعيات هم من أبعد الناس عن موجب العقل ومقتضاه، كما هم أبعد الناس من متابعة الكتاب المنزل والنبي المرسل، وأن نفس ما به يقدحون في أدلة الحق، التي توافق ما جاء به الرسول ﷺ لو قدحوا به فيما يعارض ما جاء به الرسول ﷺ لسلموا عن التناقض، وصح نظرهم وعقلهم واستدلالهم، ومعارضتهم صحيح المنقول وصريح المعقول بالشبهات الفاسدة». اهـ(١).



(١) درء تعارض العقل والنقل ٤/٢٣٦، وانظر: مجموع الرسائل والمسائل ١/٢٠٦.



خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن عند شيخ الإسلام

وفيه مباحث:

المبحث الأول: قوة لفظ القرآن وأثرها في المعنى.

المبحث الثاني: خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن عظيمة.

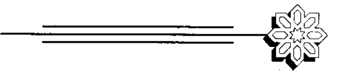
المبحث الثالث: لا ترادف بين كلماته أو حروفه.

المبحث الرابع: لا يخالف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني وكذلك الحروف.

المبحث الخامس: العطف والتغاير.

المبحث السادس: ليس في القرآن تكرار بعينه.

المبحث السابع: ليس في القرآن كلام لا معنى له.


المبحث الأول


قوة لفظ القرآن وأثرها في المعنى

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتحدث عن القرآن الكريم: «ولا يذكر فيه لفظاً زائداً إلا لمعنىً زائد وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢، والحاقة: ٤٢] فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى(١)، وقوة اللفظ لقوة المعنى، والضم أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح(٢).

ولهذا يقطع على الضم لما هو أقوى مثل: «الكُره» و«الكَره»، «فالكُره»: هو الشيء المكروه، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]،

---

(١) وقال بعض أئمة اللغة: «معنى كون هذه الحروف زوائد أنك لو حذفتها لم يتغير الكلام عن معناه الأصلي، وإنما قلنا لم يتغير عن معناه الأصلي لأن زيادة هذه الحروف تفيد معنى وهو التوكيد، ولم تكن الزيادة عند سيبويه لغير معنى البتة، لأن التوكيد معنى صحيح، لأن تكثير اللفظ يفيد تقوية المعنى.اهـ.
ومن فوائد زيادة الحروف طلب الفصاحة، والتوكيد اللفظي، وغيرها فلها فوائد معنوية ولفظية، وإنما سميت زوائد لأنها لا يتغير بها أصل المعنى. انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٢٤٦ ـ ٢٥١، و ١/١٧٠ ـ ١٧٢.

(٢) ولذلك أنكر الخليل على من قال لا فرق بين الحركات، فمما قاله: «أنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين من إخراج الصوت، وفي تحريك الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد».اهـ.
انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٩٣ ـ ١٩٥.

والكَره: المصدر، كقوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣، والرعد: ١٥] والشيء الذي في نفسه مكروه أقوى من نفس كراهة الكاره.

وكذلك: «الذِبح» و«الذَبح»، فالذِبح: المذبوح كقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧]، والذَبح: الفعل. والذِبح: مذبوح وهو جسد يذبح، فهو أكمل من نفس الفعل». اهـ[١][٢].

وقال في موضع آخر: «وليس في القرآن لفظ إلا مقرون بما يبين به المراد.

ومن غلطَ في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره، فإذا قال القائل: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: ٦، والمطففين: ٢٨] أن الباء زائدة! كان من قلة علمه، فإن الشارب قد يشرب ولا يروى، فإذا قيل يشرب فيها: لم يدل على الري، وإذا ضمّن معنى الري فقيل: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ كان دليلاً على الشرب الذي يحصل به الري، وهذا شرب خاص دل عليه لفظ الباء[٣].

كما دل لفظ الباء في قوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦] على إلصاق الممسوح به بالعضو، ليس المراد مسح الوجه، فمن قال: الباء زائدة جعل المعنى امسحوا وجوهكم، وليس في مجرد مسح الوجه إلصاق الممسوح به من الماء والصعيد». اهـ[٤][٥].

---

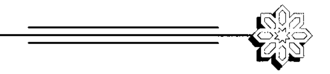
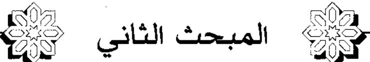
(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨.

(٢) وانظر ما كتبه السيوطي حول الحركات وترتيب قوتها مما هو موافق لرأي الشيخ هنا في كتابه: الأشباه والنظائر ١/ ١٩٣ وما بعدها.
وانظر أيضاً ما كتبه الشيخ في رسالته المسماة: رسالة الحقيقة والمجاز، وهي ضمن مجموع الفتاوى فانظر: ٢٠/ ٤٢١ ـ ٤٢٢، فهو كلام جيد وفيه أمثلة لغوية غير ما ذكرنا هنا.

(٣) وهو ما يسمى بالتضمين عند علماء النحو. وانظر ما نقله السيوطي عن بعضهم في: الأشباه والنظائر في النحو ١/ ١٢١ ـ ١٢٤ وسيأتي ص٢٦٣.

(٤) الصعيد: وجه الأرض، وقيل: هو التراب له غبار. اللسان ٣/ ٢٥٤، والقاموس: ٣٧٤.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٧٤.


المبحث الثاني


خصائص الألفاظ والمعاني التي في القرآن عظيمة

المطلب الأول

قال الشيخ رحمه الله بياناً للدليل التفصيلي على إعجاز القرآن:(١) نفس نظم القرآن(٢) وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأتِ أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر(٣)، ولا الرجز(٤)، ولا الخطابة(٥)، ولا الرسائل(٦)، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس؛ عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل(٧)، يعرفه من له نظر وتدبر.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب

---

(١) سبق ذكر الدليل الإجمالي على إعجاز القرآن في الباب الأول ص١٣٩.

(٢) النظم: «تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل». التعريفات ص٢٤٢، والقاموس ص١٥٠٠.

(٣) الشعر: كلام مقفى موزون على سبيل القصد، التعريفات ص١٢٧.

(٤) الرجز: بحر من بحور الشعر معروف، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفرداً. وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر، واختلف فيه هل يعتبر شعراً أم لا؟ والأكثرون على أنه ليس بشعر وهو قول الأخفش وخليل والأزهري وغيرهم. اللسان ٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٥) الخطابة: مصدر خطب يخطب خطبة: وهي الكلام المنثور المسجع، وهي مثل الرسالة لها أول وآخر. انظر: اللسان ١/ ٣٦١.

(٦) الرسائل: جمع رسالة وتطلق على العبارات المؤلفة، والمعاني المدونة المنثورة، لها أول وآخر، والمراد منها إيصال الكلام إلى المقصود. انظر: الكليات ٤٧٦.

(٧) مع كثرة التفاصيل والتنبيهات والدقائق، فالشيخ رحمه الله: يرى أنه ينزع إلى الإيجاز والاختصار.

خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي[١]، ولا غير نبي.

وكذلك ما أخبر به عن الملائكة، والعرش، والكرسي، والجن، وخلق آدم وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن، من الدين، والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال، وبيّنه من الدلائل[٢] هو أيضاً كذلك.

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية، والخُلقية، والسياسية وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء، تفاوتاً عظيماً ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم.

فالإعجاز في معناه، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. وما في التوراة والإنجيل، لو قدر أنه مثل القرآن، لا يقدح في المقصود فإن تلك كتب الله ـ أيضاً ـ، ولا يمتنع أن يأتي نبي بنظير آية نبي، كما أتى المسيح بإحياء الموتى، وقد وقع إحياء الموتى على يد غيره[٣]، فكيف وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن، لا في الحقيقة، ولا في الكيفية، ولا في الكمية؟ بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن، وتدبر الكتب.

وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من

---

(١) المقصود هنا أن جنس النبي لا يمكن أن يأتي بهذه الأمور من عنده، بل لا بد فيها من وحي، فيكون رسولاً ومبلغاً لا قائلاً لها من تلقاء نفسه، وكذلك غير الأنبياء من باب أولى.

(٢) الدلائل: جمع دليل وهو عام لكل ما يلزم العلم به العلم بشيء آخر. انظر: التعريفات ص١٠٤ فيشمل الأدلة العقلية والنقلية وغيرها.

(٣) كما وقع لموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى في قصة القتيل: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣].

ووقع لإبراهيم عليه السلام في قصة الطير كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك، اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله، كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي ﷺ وإخباره بعجزهم، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد». اهـ[١][٢].

ثم نجده رَحِمَهُ اللَّهُ يعلل سبب اختلاف الناس في الفهم بأسباب كثيرة منها اختلاف خصائص الألفاظ والمعاني، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء، فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشُبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب». اهـ[٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عن القرآن أثناء حديثه عن ترجمة[٤] التوراة: «والمعاني الصحيحة إما مقاربة لمعاني القرآن، أو مثلها، أو بعينها، وإن كان في القرآن من الألفاظ والمعاني خصائص عظيمة». اهـ[٥].



(١) مفاد كلام الشيخ أن وجه الإعجاز نوعان: عام مشترك ظاهر لكل أحد وهو عدم المعارضة، والآخر: يظهر بالتدبر والتفكر والتأمل في ألفاظ القرآن ومعانيه.
(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٧٨ ـ ٧٩، والمحققة ٣/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠.
(٣) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩٩.
(٤) الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وهي غير التفسير. الكليات ص٣١٣.
(٥) مجموع الفتاوى ٤/ ١١٠.

المطلب الثاني

بيان إعجاز القرآن من خلال التفسير الموضوعي

لقد استعمل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ القرآن الكريم ليستدل به على عظم القرآن الكريم بما يحمله من معاني ومسائل إذا اجتمعت مع بعضها حصل بها علم جم وفقه عظيم القدر والأثر؛ لأن الأشياء إنما تتضح إذا ما قورنت مع نظائرها وأبرزت ضمن إطارها العام.

ولا يزال العلماء والباحثون عن طريق التفسير الموضوعي يبرزون جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه...

فببيان ما تضمّنه القرآن الكريم من أنواع الهداية الربانية من خلال تلك المواضيع المتنوعة نقف على عظمة القرآن وإعجازه وذلك أن القرآن كله كالسورة الواحدة.

ولقد سلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المسلك في مواضع متعددة من كتبه، وانظر مثلاً: كلامه حول مسألة الطاعة[1]، فقد ذكر أنها في أكثر من أربعين موضعاً.

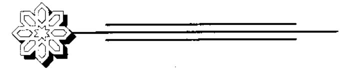
ومسألة أسماء القرآن[2]، فقد استقصاها وكلها ذو دليل. وكذا أوصافه[3].

ومسألة أمثال القرآن الكريم[4]، فقد ذكر سبعاً وستين مثلاً مصرحٌ بها في القرآن الكريم. وهكذا في مسائل عدة مما قد يندر وجوده عند غير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.



---

(١) وانظر في هذه: الرسالة ص١٢٩.
(٢) وانظر في هذه: الرسالة ص١٥٤.
(٣) وانظر في هذه: الرسالة ص١٥٨.
(٤) وانظر في هذه: الرسالة ص٢١١.

المبحث الثالث

لا ترادف بين كلماته أو حروفه

«الترادف[١] في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن، فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يُعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن، فإذا قال القائل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: ٩] إن المور هو الحركة كان تقريباً، إذ المور حركة خفيفة سريعة[٢].

وكذلك إذا قال: «الوحي» الإعلام، أو قيل: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣، ويوسف: ٣، والرعد: ٣٠] أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي: أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق، فإن الوحي هو إعلام سريع خفي[٣]، والقضاء إليهم أخص من الإعلام[٤]، فإن فيه إنزالاً إليهم وإيحاء إليهم. . .

ومن قال: ﴿لَا رَيْبَ﴾ [البقرة: ٢، والنساء: ٨٧، والأنعام: ١٢] لا شك فهذا تقريب وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة[٥]، كما قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[٦].

---

(١) الترادف: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. انظر: التعريفات ص٥٦، والمزهر١/ ٤٠٢

(٢) وانظر: مفردات الراغب ص٤٩٨.

(٣) وانظر: مفردات الراغب ص٥٥٢.

(٤) وانظر: مفردات الراغب ص٤٢١.

(٥) وانظر: النهاية ٢/ ٢٨٦، واللسان ١/ ٤٤٢، ومفردات الراغب ص٢١٣، والكشاف ١/ ١٩.

(٦) الحديث: أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي، وقال: حسن صحيح ٤/ ٦٦٨ رقم ٢٥١٨ كتاب صفة القيامة باب ٦١، والنسائي وقال: جيد جيد ٨/ ٢٣٠ كتاب=

وفي الحديث: أنه مرَّ بظبي حاقف[(١)]، فقال: «لا يريبه أحد»[(٢)]، فكما أن اليقين ضُمِّنَ السكون والطمأنينة فالريب ضده: ضُمِّنَ الاضطراب والحركة.

ولفظ «الشك» وإن قيل: إنه يستلزم هذا المعنى، لكن لفظه لا يدل عليه.

وكذلك إذا قيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] هذا القرآن فهذا تقريب، لأن المشار إليه وإن كان واحداً، فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة[(٣)]، ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً[(٤)] ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءاً مظهراً بادياً، فهذه الفروق موجودة في القرآن». اهـ[(٥)(٦)].



= آداب القضاة باب الحكم باتفاق أهل العلم، والدرامي ٢/ ٦٤١ كتاب البيوع باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وأحمد ١/ ٢٠٠. والحاكم في المستدرك ٢/ ١٥ ـ ١٦ كتاب البيوع حديث ٢١٦٩ و٢١٧٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح، وقال في موضع آخر: سنده قوي.
وصححه الألباني وذكر له شاهدين. انظر: إرواء الغليل ٧/ ١٥٥.
واللفظ ذكره البخاري تعليقاً عن حسان بن سنان في كتاب البيوع باب تفسير المشتبهات (فتح الباري) ٤/ ٢٩١.

(١) حاقف: نائم قد انحنى في نومه. النهاية ١/ ٤١٣، واللسان ٩/ ٥٢ ـ ٥٣.

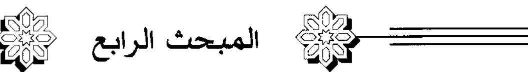
(٢) الحديث أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج باب ٧٨ ما يجوز للمحرم أكله ٥/ ١٨٢، والإمام مالك في الموطأ كتاب الحج باب ٧٩ باب ما يجوز للمحرم أكله ١/ ٣٥١، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص٤، قال الألباني: صحيح الإسناد. وانظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٥٩٤.

(٣) لأن البعد هنا باعتبار المنزلة وبعد الشأن والمرتبة عن كل كتاب سواه. وانظر: الكشاف وحاشيته الانتصاف ١/ ١٩.

(٤) وكاملاً أيضاً فكأن ما عداه من الكتب لا يصل إلى درجته. وانظر: الكشاف ١/ ١٩.

(٥) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤١ ـ ٣٤٣.

(٦) يتبين من كلام الشيخ أنه لا ترادف في القرآن الكريم بل لكل لفظ خاصية.


المبحث الرابع


لا يخالف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني وكذلك الحروف

قال شيخ الإسلام عند كلامه في تفسير سورة الكافرون عن قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢]: «القرآن تنزيل من حكيم حميد، وهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت، ولو أن رجلاً من بني آدم له علم، أو حكمة، أو خطبة، أو قصيدة، أو مصنف، فهذب ألفاظ ذلك وأتى فيه بمثل هذا التغاير لعلم أنه قصد في ذلك حكمة، وأنه لم يخالف بين الألفاظ مع اتحاد المعنى سدى، فكيف بكلام رب العالمين، وأحكم الحاكمين، لا سيما وقد قال فيه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

فنقول: الفعل المضارع هو في اللغة يتناول الزمن الدائم سوى الماضي، فيعم الحاضر والمستقبل، كما قال سيبويه:[1] «وبنوه لما مضى من الزمان، ولما هو دائم لم ينقطع، ولما لم يأتِ»[2] بمعنى الماضي، والمضارع، وفعل الأمر، فجعل المضارع لما هو من الزمان دائماً لم ينقطع وقد يتناول الحاضر والمستقبل.

فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ يتناول نفي عبادته لمعبودهم في الزمان الحاضر،

---

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري، إمام النحو وحجة العرب طلب الفقه والحديث، ثم أقبل على العربية فبرع وساد وألف فيها كتابه الذي لا يدرك شأوه فيه، توفي سنة ١٨٠هـ. سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) انظر الكتاب: لسيبويه ١/ ١٢، ونصه في المطبوع كما يلي: «وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع»، ثم شرح الأقسام الثلاثة ومثل لها.

والزمان المستقبل، وقوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ يتناول ما يعبدون في الحاضر والمستقبل، كلاهما مضارع.

وقال في الجملة الثانية[١] عن نفسه: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ [الكافرون: ٤] فلم يقل: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ بل قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾، ولم يقل: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ بل قال ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، فاللفظ في فعله وفعلهم مغاير للفظ الجملة الأولى.

والنفي بهذه الجملة أعم من النفي بالأولى فإنه قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ بصيغة الماضي، فهو يتناول ما عبدوه في الزمن الماضي، لأن المشركين يعبدون آلهة شتى، وليس معبودهم في كل وقت هو المعبود في الوقت الأخر، كما أن كل طائفة لها معبود سوى معبود الطائفة الأخرى، فقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية، كما تبرأ أولاً مما عبدوه في الحال والاستقبال، فتضمنت الجملتان البراءة من كل ما يعبده المشركون والكافرون في كل زمان ـ، ماضٍ وحاضر ومستقبل ـ وقوله أولاً: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ لا يتناول هذا كله.

وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ﴾ اسم فاعل قد عَمِلَ عَمَلَ الفعل ليس مضافاً، فهو يتناول الحال والاستقبال أيضاً[٢] لكنه جملة اسمية، والنفي بما بعد الفعل فيه زيادة معنى، كما تقول: ما أفعل هذا، وما أنا بفاعله.

وقولك: «ماهو بفاعل هذا أبداً» أبلغ[٣] من قولك: «ما يفعله أبداً» فإنه نفي عن الذات صدور هذا الفعل عنها، بخلاف قولك: «ما يفعل هذا» فإنه لا ينفي إمكانه وجوازه منه، ولا يدل على أنه لا يصلح ولا ينبغي له، بخلاف قولك: «ما هو فاعله، وما هو بفاعل»، كما في قوله: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [النحل: ٧١]، وقوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤ و٨٥

---

(١) تقدير الجملة: وأمره الله أن يقول عن نفسه في الجملة الثانية: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾.

(٢) وانظر: أوضح المسالك لابن هشام ٣/٢١٧.

(٣) لعله يعني أبلغ في الاستمرارية ومن ناحيتها دون التجديد.

و١٤٠]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ [النمل: ٨١، والروم: ٥٣]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ولا يقال: الجملة الإسمية ترك الثبوت[1] ونفي ذلك لا يقتضي نفي العارض... فإن هذه الجملة في معنى الفعلية نفي، لكونها عملت عمل الفعل، لكنها دلت على اتصاف الذات بهذا، فنفت عن الذات أن يعرض لها هذا الفعل تنزيهاً للذات ونفياً لقبولها لذلك.

فالأول: نفي الفعل في الماضي والمستقبل.

والثاني: نفي قبوله في الماضي مع الحاضر والمستقبل.

فقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾؛ أي: نفسي لا تقبل ولا يصلح لها أن تعبد ما عبدتموه قط، ولو كنتم عبدتموه في الماضي فقط، فأي معبود عبدتموه في وقت فأنا لا أقبل أن أعبده في وقت من الأوقات، ففي هذا من عموم عبادتهم في الماضي والمستقبل، ومن قوة براءته وامتناعه وعدم قبوله لهذه العبادة في جميع الأزمان ما ليس في الجملة الأولى؛ تلك تضمنت نفي

---

(١) يبدو أن صحة الجملة: «ولا يقال: الجملة الإسمية تدل على الثبوت، ونفي ذلك يقتضي نفي العارض، فإن هذه الجملة في معنى الفعلية نفي...

فمفهوم كلامه: أن الجملة هنا لم تكن إسمية محضة لا تدل إلا على الثبوت، ولم تكن فعلية محضة لا تدل إلا على الزمن بل هي إسمية لفظاً فتدل على الثبوت وفعلية معنىً فتدل على الاستمرار فجمعت بين الأمرين.

وابن كثير رحمه الله لما ذكر الأقوال قال: «وثم قول رابع: نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ نفى قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الإسمية آكد فكأنه نفى الفعل، وكونه قابلاً لذلك، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً. وهو قول حسن أيضاً والله أعلم».اهـ.

تفسير ابن كثير ٨/٥٢٨ (الشعب)، ونقله عنه الألوسي في روح المعاني ٣٠/٣٢٢ وشرحه، وقريباً من كلامه كلام ابن عاشور في التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٨٢، فتأمل.

ملاحظة: العبارة رسمت هكذا في كل من مجموع الفتاوى، ومجموع تفسير شيخ الإسلام - جمع عبد الصمد شرف الدين -، وفي دقائق التفسير - جمع د. محمد السيد الجليند -.

الفعل في الزمان غير الماضي، وهذه تضمنت نفي إمكانه وقبوله لما كان معبوداً لهم ولو في بعض الزمان الماضي فقط.

والتقدير: ما عبدتموه ولو في بعض الأزمان الماضية فأنا لا يمكنني ولا يسوغ لي أن أعبده أبداً.

ولكن لم ينفِ إلا ما يكون منه في الحاضر والمستقبل، لأن المقصود براءته هو في الحال والاستقبال.

وهذه السورة يؤمر بها كل مسلم وإن كان قد أشرك بالله قبل قراءتها، فهو يتبرأ في الحاضر والمستقبل مما يعبده المشركون في أي زمان كان، وينفي جواز عبادته لمعبودهم، ويبين أن مثل هذا لا يكون ولا يصلح ولا يسوغ؛ فهو ينفي جوازه شرعاً ووقوعاً.

فإن مثل هذا الكلام لا يقال إلا فيما يستقبح من الأفعال، كمن دعي إلى ظلم أو فاحشة فقال: «أنا أفعل هذا!؟ ما أنا بفاعل هذا أبداً» فهو أبلغ من قوله «لا أفعله أبداً»، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ﴾ [البقرة: ١٤٥] فهو يتضمن نفي الفعل بغضاً فيه وكراهية له، بخلاف قوله «لا أفعل».

فقد يتركه الإنسان وهو يحبه لغرض آخر، فإذا قال: «ما أنا عابد ما عبدتم» دل على البغض والكراهة والمقت لمعبودهم ولعبادتهم إياه، وهذه هي البراءة». اهـ[١].

وقال عن الفوارق بين الحروف وهل يقوم بعضها مقام الآخر:

«والعرب تضمّن[٢] الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤]؛ أي: مع نعاجه، و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]؛

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٥٥١ ـ ٥٥٥.
(٢) التضمين: إجراء فعل مجرى فعل آخر واستعماله كاستعماله، مع إرادة معنى المتضمن. الأشباه والنظائر ١/١٢١.

أي: مع الله ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] ضمن معنى يزيغونك ويصدونك، وكذلك قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧] ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] ضمن يروى بها، ونظائره كثيرة». اهـ[1].



(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٤٢.



المبحث الخامس

العطف والتغاير

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «عطف[١] الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب: أعلاها[٢] أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزأه، ولا يعرف لزومه له كقوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤] ونحو ذلك، وقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وهذا هو الغالب.

ويليه[٣] أن يكون بينهما لزوم كقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله، فالمعطوف لازم للمعطوف عليه، وفي الآية التي قبلها المعطوف عليه لازم: فإن من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين. وفي الثاني نزاع[٤].

---

(١) العطف: تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف. وانظر: التعريفات ص١٥١، وأوضح المسالك ٣/٣٤٦.

(٢) وهو النوع الأول من أنواع المغايرة.

(٣) وهو النوع الثاني من أنواع المغايرة.

(٤) وذلك أن الحكم المتعلق بالأمور المتعاطفة قد يرجع إلى كل واحد، وقد يرجع إلى المجموع؛ والتعويل على القرائن، وهنا جوز بعضهم الأمرين ورجح آخرون الأول، فقالوا: من كفر بشيء من ذلك فقد ضل الضلال الموصوف. انظر: روح المعاني ٥/ ١٧٠، والمحرر الوجيز ٤/٢٥٩ ـ ٢٦٠.

وقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ هما متلازمان، فإن من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به، خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوساً، ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً فيلبس الحق بالباطل، ولهذا كان كل من كتم من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا بد أن يظهر باطلاً...». اهـ[١][٢].

ثم تكلم عن أهل البدع، ثم قال: «فلهذا قال سبحانه ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ولم يقل: لا تكتموا الحق فلم ينهَ عن كل منهما لتلازمهما، وليست هذه واو الجمع التي يسميها الكوفيون[٣] واو الصرف[٤] كما قد يظنه بعضهم، فإنه كان يكون المعنى: لا تجمعوا بينهما فيكون أحدهما وحده غير منهي عنه.

وأيضاً: فتلك[٥] إنما تجيء إذا ظهر الفرق كقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقوله: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الشورى: ٣٤، ٣٥].

ومن عطف الملزوم قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فإنهم إذا أطاعوا الرسول فقد أطاعوا الله، كما قال تعالى: ﴿مَّن

---

(١) وانظر: ما كتبه حول هذه الآية بأسلوب آخر ثم قال بعده: «فهذا يبين لك بعض ما في القرآن من الحكم والأسرار». درء تعارض العقل والنقل ١/٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/١٧٢ ـ ١٧٣.

(٣) الكوفيون: هم علماء النحو الذين تعلموا في مدرسة الكوفة وكانت متأخرة عن مدرسة البصرة بنحو قرن من الزمان، واتخذوا لأنفسهم مذهباً خاصاً يضاهي المذهب البصري وينافسه، وتوسعوا في قواعد اللغة أكثر من البصريين، منهم: أبو جعفر الرؤاسي، والكسائي، والفراء، وابن السكيت وغيرهم. وللاستزادة انظر: مقدمة أضواء على شرح ابن عقيل ١/١٨.

(٤) وهي تفيد صرف المعنى عن جهة الأول وعدم الجمع بين ما قبلها وما بعدها. انظر: حروف المعاني ٣٨، ومغني اللبيب ٢/٣٦١، ومعاني القرآن للفراء ١/٣٣،وهي عند البصريين: واو الجمع كما ذكره المبرد في المقتضب ٢/٢٥.

(٥) أي: واو الجمع.

﴿يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وإذا أطاع الله من بلغته رسالة محمد ﷺ فإنه لا بد أن يطيع الرسول، فإنه لا طاعة لله إلا بطاعته.

و«**الثالث**»: عطف بعض الشيء عليه كقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

و«**الرابع**»: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى: ١ - ٤] وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٣، ٤].

وقد جاء في الشعر ما ذكر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله: ... وألفى قولها كذباً وميناً[1].

ومن الناس من يدعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله كما يذكرونه في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وهذا غلط! مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح، وغاية ما يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ كما ادعى بعضهم أن من هذا قوله:

ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعد[2]

---

(١) المين: الكذب. انظر: اللسان ١٣/ ٤٢٥. وقائله عدي بن زيد الجاهلي؛ عدي بن زيد بن الحمار التميمي شاعر جاهلي نصراني، وتمامه:
فقددت الأديم لراهشية ... وألفى قولها كذباً وميناً
وترجمته في طبقات الشعراء ص٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٠، ذكره للتمييز.

(٢) قائله الحطيئة.
والنأي: البعد. وانظر: اللسان ١٥/ ٣٠٠.
وترجمته: قيل اسمه جرول ويكنى بأبي مليكة من بني عبس، أدرك الجاهلية والإسلام. له شعر جيد ومدائح، وله هجاء عنيف، توفي زمن عثمان ﷺ. البداية والنهاية ٧/ ٢٣١.

فزعموا أنهما بمعنى واحد، واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن الشرعة هي المنهاج، فقال المخالفون لهم: النأي أعم من البعد، فإن النأي كلما قل بعده أو كثر؛ كأنه مثل المفارقة، والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] وهم مذمومون على مجانبته والتنحي عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين، وليس كلهم كان بعيداً عنه لا سيما عند من يقول: نزلت في أبي طالب(١)، وقد قال النابغة(٢): . . . والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد(٣).

والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة؛ أي: صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس بعيداً منها». اهـ(٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك ما يقوله بعضهم: إنه قد يعطف الشيء لمجرد تغاير اللفظ كقوله: . . . فألفى قولها كذباً وميناً.

فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يذكر فيه لفظاً زائداً إلا لمعنىً زائد وإن كان في ضمن ذلك التوكيد». اهـ(٥).

---

(١) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ دافع عنه كثيراً ولم يُسْلم، وتوفي على حاله قبل الهجرة بثلاث سنوات، وضعّف ابن كثير أن تكون الآية نزلت فيه ورجح اختيار ابن جرير وهي الرواية الأخرى عن ابن عباس. البداية والنهاية ٣/ ١٢٠ ـ ١٢٤، وانظر: تفسير ابن جرير ١١/ ٣١١ ـ ٣١٦.

(٢) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع ويكنى أبا أمامة من بني غطفان وهو من أحاسن شعراء العرب توفي قبل البعثة. طبقات الشعراء لابن سلام ص١٥، والأعلام ٣/ ٥٤.

(٣) البيت في ديوان النابغة ص٩ في مدحه للنعمان واعتذاره له: وتمامه:

وقفت فيها أصيلاً لا أسائلها ... عيت جواباً وما بالربع من أحد
إلا الأواري لأياً ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وانظر: اللسان ١١/ ١٧. والنؤي: الحفرة حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يميناً وشمالاً ويبعده. اللسان ١٥/ ٣٠١.

(٤) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧٦ ـ ١٧٨.

(٥) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٧.

وقال رحمه الله تعالى عند تفسيره لسورة الأعلى: «قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٢، ٣] العطف يقتضي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه فيما ذكر وأن بينهما مغايرة إما في الذات وإما في الصفات.

وهو في الذات كثير، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الحج: ١٧] وأما في الصفات فمثل هذه الآية، فإن الذي خلق فسوى هو الذي قدّر فهدى، لكن هذا الاسم والصفة ليس هو ذاك الاسم والصفة.

ومثله قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ومثله قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٣، ٤]، وقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ ...﴾ [المعارج: ٢٢ ـ ٢٤] الآيات، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآيات[1]، فإنه من صدق وصبر ولم يسلم ولم يؤمن لم يكن ممن أعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً». اهـ[2].

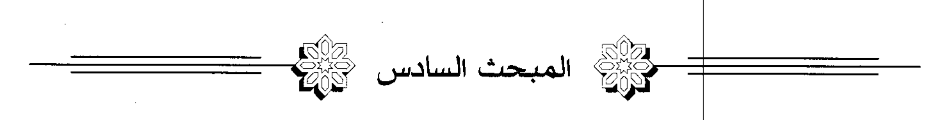
ثم قال: «و﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٤] وصف بكل صفة من هذه الصفات، ومدح بها، وأثنى عليه بها، وكانت كل صفة من هذه الصفات مستوجبة لذلك». اهـ[3].

---

(١) هكذا في المطبوع (الآيات) ولعل الصواب (الآية).

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/١٢٩.



المبحث السادس

ليس في القرآن تكرار لا فائدة فيه

تكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن التكرار أثناء تفسيره لسورة الكافرون ونقد كلام العلماء عن التكرار في القرآن وبيّن أنه ليس تكراراً متوالياً فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قلت: قال ابن قتيبة[١]: تكرار[٢] الكلام في ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] لتكرار الوقت. وذلك أنهم قالوا: إن سرك أن ندخل في دينك عاماً فادخل في ديننا عاماً. فنزلت هذه السورة[٣].

قلت: هذا الكلام الذي ذكره بإعادة اللفظ وإن كان كلام العرب وغير العرب، فإن جميع الأمم يؤكدون إما في الطلب، وإما في الخبر، بتكرار الكلام. ومنه قول النبي ﷺ: «والله لأغزون قريشاً، ثم والله لأغزون قريشاً، ثم والله لأغزون قريشاً، ثم قال: إن شاء الله، ثم لم يغزُهم»[٤].

وروى عنه أنه في غزوة تبوك كان يقود به حذيفة، ويسوق به عمار، فخرج بضعة عشر رجلاً حتى صعدوا العقبة[٥] ركباناً متلثمين وكانوا قد أرادوا

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي صاحب المعارف والمصنفات الكثيرة وستأتي ترجمته ص٢٧٨. والكلام بمعناه في تأويل مشكل القرآن ص٣٢٧.

(٢) التكرار: عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى. التعريفات ص٦٥.

(٣) ابن جرير ١٥/ ٣٣١، وأسباب النزول للواحدي ص٥٠٥ عن ابن عباس. قال ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٣٣: وفي إسناده أبو خلف عبد الله بن عيسى وهو ضعيف.

(٤) أبو داود كتاب الأيمان باب الاستثناء في اليمين ٣/ ٥٨٩ عن عكرمة يرفعه عن ابن عباس. قال الألباني: صحيح. وانظر: صحيح سنن أبي دواد ٢/ ٦٣٣.

(٥) العقبة: طريق في الجبل وعر. اللسان ١/ ٦٢١، والقاموس ص١٤٩.

الفتك برسول الله ﷺ، فقال لحذيفة: قد قد، ولعمار: سق سق[١].

فهذا أكثر، لكن ليس في القرآن من هذا شيء، فإن القرآن له شأن اختص به، لا يشبهه كلام البشر ـ لا كلام نبي ولا غيره، وإن كان نزل بلغة العرب، فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله.

فليس في القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط، وإنما في سورة الرحمن خطابه بذلك بعد كل آية، لم يذكر متوالياً.

وهذا النمط أرفع من الأول.

وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ ليس فيها لفظ تكرار إلا قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ وهو مع الفصل بينهما بجملة.

وقد شبهوا ما في سورة الرحمن بقول القائل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي[٢] وهو ينكرها ويكفرها[٣]: ألم تك فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تك عرياناً فكسوتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تك خاملاً[٤] فعرفتك؟ ونحو ذلك.

وهذا أقرب من التكرار المتوالي، كما في اليمين المكررة». اهـ[٥].

ثم قال بعد ذلك بعد ذكره للقولين الذين ذكرهما ابن الجوزي[٦] في معنى قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾.

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٤٥٣ وللاستزادة حول القصة انظر: البداية والنهاية ٥/ ١٨ ـ ١٩، ومسند أحمد ٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١، والسيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٣٦، وذكر أن إسناد الإمام أحمد حسن.

(٢) الأيادي جمع يد: بمعنى النعمة أما الجارحة فتجمع على (أيدي) والله أعلم. انظر: الكليات ص٩٨٤.

(٣) يكفرها: كفر النعمة: جحدها وسترها. القاموس ص٦٠٥.

(٤) خاملاً: خمل ذكره وصوته: خفي وهو خامل: كساقط لا نباهة له. القاموس ص١٢٨٦.

(٥) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٥ ـ ٥٣٧.

(٦) قال ابن الجوزي: «وفي تكرار الكلام قولان: **أحدهما**: لتأكيد الأمر، وحسم أطماعهم فيه...

والثاني: أن المعنى ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ②﴾ في حالي هذه ﴿وَلَآ أَنتُمْ﴾ في حالكم هذه ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④﴾ فيما استقبل. زاد المسير ٩/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

«قلت: قد ذكر القولين جماعة، لكن منهم من جعل القول الأول قول أكثر أهل المعاني، فقالوا: واللفظ للبغوي[1] معنى الآية: لا أعبد ما تعبدون في الحال، ولا أنا عابد ما عبدتم في الاستقبال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

قال[2]: وقال أكثر أهل المعاني: نزل بلسان العرب على مجاري خطابهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز[3].

قلت[4]: ومن المفسرين من لم يذكر غير الثاني[5] منهم المهدوي[6][7]، وابن عطية[8]، قال ابن عطية: لما كان قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ﴾ محتملاً أن يراد له الآن، ويبقى المستأنف منتظراً ما يكون فيه من عبادته، جاء البيان بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾؛ أي: أبداً ما حييت، ثم جاء قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر له شرح السنة ومعالم التنزيل وغيرها، لقب بمحيي السنة وبركن الدين، له قدم راسخ في العلوم الشرعية، توفي بمرو ٥١٦هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩.

(٢) القائل هو الإمام البغوي رحمه الله.

(٣) كلام البغوي في معالم التنزيل ٨/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

(٤) القائل: شيخ الإسلام رحمه الله.

(٥) أي: القول الثاني عند أبي الفرج بن الجوزي، وهو عند البغوي الأول.

(٦) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي الأندلسي أصله من القيروان له تصانيف منها: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، والتحصيل في مختصر التفصيل، توفي في حدود ثلاثين وأربعمائة، وقيل أربعين وأربعمائة ٤٤٠هـ.
انظر: معرفة القراء للذهبي ١/ ٣٩٩، طبقات المفسرين للسيوطي ١٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٥٦.

(٧) كلام المهدوي ذكره شيخ الإسلام فيما بعد ١٦/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧، وهو في معنى قول ابن عطية بل خلاصة قوله: هو أن «تكرير ما كرر فيها ليس بتكرير في المعنى، ولا في اللفظ، سوى موضع واحد منها، فإنه تكرير في اللفظ دون المعنى..».

(٨) أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي المالكي شيخ المفسرين، إمام في الفقه والتفسير والعربية قوي المشاركة ذا فطنة وإدراك، توفي ٥٤١هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٧.

﴿مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً، كالذين كشف الغيب عنهم، كما قيل لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] أما إن هذا فخطاب لمعنيين، وقوم نوح قد عُمّوا بذلك.

قال: فهذا معنى الترديد[(١)] الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة، وليس هو بتكرار فقط، بل فيه ما ذكرته مع الإبلاغ والتوكيد، وزيادة الأمر بياناً وتبرياً[(٢)] منهم[(٣)].

قلت[(٤)]: هذا القول أجود من الذي قبله من جهة بيانهم لمعنىً زائد على التكرير، لكن فيه نقصاً من جهة أخرى، وهو جعلهم هذا خطاباً لمعنيين، فنقصوا معنى السورة من هذا الوجه.

وهذا غلط، فإن قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ خطاب لكل كافر، وكان يقرأ بها في المدينة بعد موت أولئك المعينين، ويأمر بها؛ ويقول هي براءة من الشرك[(٥)]: فلو كانت خطاباً لأولئك المعنيين، أو لمن علم منهم أنه يموت كافراً، لم يخاطب بها من لم يعلم ذلك منه.

---

(١) ردد الكلام؛ أي: أعاده وأرجعه. وانظر: اللسان ٣/ ١٧٢.

(٢) التبري: من البراءة وهي خلوص الشيء عن غيره. الكليات ص٢٣١ ـ ٣١٢.

(٣) كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩.

(٤) القائل شيخ الإسلام.

(٥) قال الشيخ في موضع آخر عن السورة: «وبهذا نعتها النبي ﷺ في الحديث المعروف في المسند والترمذي من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه عن النبي ﷺ، قال له: «مجيء ما جاء بك؟ قال جئت يا رسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي. قال: إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك... ثم ذكر طرقه».اهـ. مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٤١ ـ ٥٤٢.

تخريجه: الحديث أخرجه النسائي في التفسير ٢/ ٥٦٢، وأبو داود في السنن كتاب الأدب ٥/ ٣٠٣، والترمذي في جامعه كتاب الدعوات ٥/ ٤٧٤، وقال الألباني: صحيح كما في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٤٥، ورواه أحمد في المسند ٥/ ٥٤٦، والحاكم في المستدرك كتاب فضائل القرآن، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح ١/ ٧٥٤. وقد ذكر طرفه البخاري تعليقاً في كتاب النكاح (الفتح) ٩/ ١٥٨.

وأيضاً فأولئك المعينون إن صح أنه إنما خاطبهم فلم يكن إذ ذاك علم أنهم يموتون على الكفر.

والقول: بأنه إنما خاطب بها معينين قول لم يقله من يعتمد عليه، ولكن قد قال مقاتل بن سليمان[1]: إنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد[2]، ونقل مقاتل وحده مما لا يعتمد عليه باتفاق أهل الحديث كنقل الكلبي[3].

ولهذا كان المصنفون في التفسير من أهل النقل لا يذكرون عن واحد منهما شيئاً، كمحمد بن جرير[4]، وعبد الرحمن بن أبي حاتم[5]، وأبي بكر ابن المنذر[6]،

---

(١) مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، يروي عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن سيرين وغيرهم، وعنه سعد بن الصلت وعبد الرزاق، وبقية، وآخرون قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وأجمعوا على تركه، توفي بعد الخمسين ومائة للهجرة. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢١٠، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٧٩.

(٢) ذكره الفيروز آبادي في تنوير المقباس عن ابن عباس (مطبوع مع الدر المنثور) ٦/ ٤٠٣. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٢٥٣ ونسبه إلى مقاتل.

(٣) محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر الإخباري، أخذ عن أبي صالح وجرير والفرزدق وغيرهم، وعنه ولده هشام وغيره، شيعي متروك الحديث بل أجمعوا على ترك حديثه لكثرة كذبه، توفي ١٤٦هـ. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨، تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٨.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، عالم العصر صاحب التصانيف البديعة أكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر، حدث عن أمم من العلماء وحدث عنه كثيرون أيضاً، ثقة حافظ ورأس في التفسير والفقه والإجماع والتاريخ والقراءات واللغة، توفي آخر شوال سنة ٣١٠هـ.
سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧، ولم ينقل عن الكلبي في التفسير ولكنه نقل عنه في مقدمة التفسير.

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران العلامة الحافظ، سمع من الأشج والحسن بن عرفة والزعفراني وخلائق كثيرون، وروى عنه ابن عدي وأبو أحمد الحاكم وغيرهم كثير، صنف الجرح والتعديل والتفسير وهو من أحسن التفاسير، توفي ٣٢٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣.

(٦) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الحافظ العلامة صاحب التصانيف، روى عن الربيع بن سليمان ومحمد بن إسماعيل الصائغ وغيرهم، وحدث عنه المقرئ وابن عمار وغيرهما، ولا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، وله تفسير يقضي له بالإمامة، توفي ٣١٨هـ. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٠.

فضلاً عن مثل أحمد بن حنبل[١]، وإسحاق بن راهويه[٢].

وقد ذكر غيره هذا عن قريش[٣] مطلقاً»[٤].اهـ[٥].



---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أحد الأئمة الأعلام أبو عبد الله، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، سمع إبراهيم بن سعد وهشيم ومعتمر وسفيان بن عيينة والقاضي أبي يوسف والشافعي وغيرهم حتى عدهم الذهبي مئتين وثمانين ونيفاً.
وحدث عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وولداه عبد الله وصالح وبعض شيوخه، وكان من أعلام الدين الثقات الحفاظ، توفي ٢٤١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧ ـ ٣٥٨.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم التميمي المروزي شيخ المشرق وسيد الحفاظ، سمع من ابن المبارك والفضل بن موسى والفضيل بن عياض وابن عيينة ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق وغيرهم، وحدث عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم، ثقة حافظ ساد أهل المشرق والمغرب بصدقة ت٢٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨ ـ ٣٨٣.

(٣) قريش: القرش: الجمع والكسب والضم من هنا وهنا، يضم ببعضه إلى بعض، وتقرش القوم تجمعوا، وقيل سموا بذلك من قريش: دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها، سموا بذلك لأن جميع العرب تخافهم وتهابهم لجوارهم الحرم، وهم قبيلة النبي ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. الأنساب، واللسان ٦/ ٣٣٤، والقاموس ص٧٧٦.

(٤) كما ذكره المؤلف رحمه الله فيما بعد فأنقله مختصراً:
رواه عبد بن حميد، عن وهب بن منبه، وعن ابن عباس، وعن قتادة.
وروى ابن أبي حاتم، عن وهب بن منبه، وقال عكرمة: وقال قتادة.
وروى قتادة، عن زرارة بن أوفي.
ونعت النبي لها في الحديث المعروف ـ أي: أنها تبرئ صاحبها من الشرك ـ فقد أمر رسول الله ﷺ واحداً من المسلمين أن يقرأها، وأخبره أنها براءة من الشرك فلو كان الخطاب لمن يموت على الشرك كانت براءة من دين أولئك فقط، لم تكن براءة من الشرك الذي يسلم صاحبه فيما بعد، ومعلوم أن المقصود منها أن تكون براءة من كل شرك: اعتقادي وعملي».اهـ ملخصاً. وانظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٤٠ ـ ٥٤٢.
والحديث سبق تخريجه ص٢٧٣.

(٥) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٨ ـ ٥٤٠.

 المبحث السابع 

ليس في القرآن كلام لا معنى له

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] فالقرآن أنزله الله هادياً وطريقاً ولم ينزله ألغازاً[١] وترانيم[٢]، بل ولا شيء منه كذلك؛ ولذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ، سواء كان مع هذا تأويل القرآن[٣] لا يعلمه الراسخون، أو كان للتأويل معنيان: يعلمون أحدهما، ولا يعلمون الآخر.

---

(١) الألغاز: ألغز الكلام: عمّى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره. اللسان ٥/ ٤٠٥، والقاموس ص٦٧٤.

(٢) الترانيم: من الترنم: وهو التطريب والتغني وتحسين الصوت. اللسان ١٢/ ٢٥٦.

(٣) مراده بالتأويل المذكور في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]. قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: «التأويل التفسير، والمرجع: مصيره». اهـ مجاز القرآن ١/ ٨٦. وقال الطبري: «معنى التأويل في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير... وأصله من آل الشيء إلى كذا» إذا صار إليه ورجع «يؤول أولاً» و«أولته أنا» صيرته إليه، وقد قيل: إن قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩، والإسراء: ٣٥]؛ أي: جزاءً. وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه». اهـ تفسير الطبري ٦/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التدمرية ص٥٩ ـ ٦١ ما ملخصه: إن لفظ التأويل صار بتعدد الاصطلاحات مستعملاً في ثلاثة معان:
١ ـ صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا=

وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن وبين أن يقال: الراسخون[١] في العلم يعلمون، كان هذا الإثبات خيراً من ذلك النفي، فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره، وهذا مما يجب القطع به، وليس معناه قاطعاً على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير المتشابه، فإن السلف قد قال كثير منهم: إنهم يعلمون تأويله، ومنهم مجاهد[٢] ـ مع جلالة قدره ـ، والربيع بن أنس[٣]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٤]، ونقلوا ذلك عن

= اصطلاح كثير من المتأخرين من الفقهاء والأصوليين، وهو المعني عند الكلام عن تأويل نصوص الصفات أو ترك تأويلها...

٢ ـ بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين كابن جرير وأمثاله ولذا تكرر عندهم ـ واختلف علماء التأويل ـ ومجاهد إمام المفسرين وغيره قالوا: إنهم يعلمون تأويله، أي: تفسيره.

٣ ـ بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]. فتأويل ما في القرآن من أمر المعاد هو ما أخبر الله فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء...، وكما قال تعالى حكاية عن يوسف لما سجد له أبواه وإخوته: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ فجعل عين ما وجده في الخارج هو تأويل الرؤيا. اهـ ملخصاً.

فالثاني والثالث مما ذكر هما اللذان نص عليهما المتقدمون من الأئمة كما سبق نقل قول أبي عبيدة وابن جرير. والله أعلم.

والخلاصة: أن التأويل في الشرع يرد لمعنييه: (التفسير، والمآل والمرجع). فتأويل القرآن: إما تفسيره ومنه دعاء النبي لابن عباس [اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل]، وإما تأويل أمره ونهيه؛ أي: معرفتها والعمل بها في الحياة العلمية ومنه حديث عائشة: «كان يتأول القرآن» أما تأويل خبره فعلمه إلى الله على هذا المعنى. والله أعلم.

(١) رسخ الشيء يرسخ رسوخاً: ثبت في موضعه، والراسخ في العلم: الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً، وكل ثابت راسخ، والعلم يرسخ في قلب الإنسان. اللسان ٣/١٨.

(٢) سبقت ترجمته ص١٦٢.

(٣) سبقت ترجمته ص١٦٢.

(٤) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني ثقة من الطبقة السادسة، روى له أصحاب الكتب الستة وكان عالماً من فقهاء المدينة وقرائهم، توفي سنة بضع عشرة ومائة للهجرة. تهذيب التهذيب ٩/٩٣، وتقريب التهذيب ٢/١٥٠.

ابن عباس، وأنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله[١].

وقول أحمد[٢] فيما كتبه في الرد على الزنادقة[٣] والجهمية[٤] فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله[٥] وقوله عن الجهمية: إنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه، ثم تكلم عن معناها، دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه، وأن المذموم تأويله على غير تأويله، فأما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود، ليس بمذموم، وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده، وهو التفسير في لغة السلف[٦]، ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها، بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه، وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم ابن قتيبة[٧]، وأبو سليمان الدمشقي[٨] ....

(١) والآثار عنهم في تفسير الطبري ٦/٢٠٣، وابن كثير ٢/٨ (الشعب).

(٢) أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله.

(٣) الزنادقة: جمع زنديق وهو لفظ معرب، وهو الذي لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الله ويقول: بدوام الدهر، كما يطلق على كل متهتك مستهتر يتكلم بما هو كفر صراح دون نظر أو استدلال. انظر: لسان العرب ١٠/١٤٧، وفتح الباري ١٢/٢٧٠.

(٤) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان المقتول سنة ١٢٧هـ، ويقولون: بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى، وبفناء النار والجنة، والإيمان مجرد المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، والفاعل لعمال العباد وهو الله وإنما تنسب إليهم مجازاً ومن أصولهم تقديم العقل على النقل.
انظر: مقالات الإسلاميين ١/٢١٤ ـ ٣٣٨، والملل والنحل ١/٨٦، والفرق بين الفرق ١٩٩.

(٥) طبع الكتاب بتحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(٦) وانظر: تفسير ابن جرير ٦/٢٠٤، واللسان ١١/٣٣.

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري صاحب التصانيف، حدث عن إسحاق بن راهوية وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، وعنه ابنه أحمد وعبيد الله السكري وغيرهما، كان ثقة ديناً فاضلاً، توفي سنة ٢٧٦هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦، وشذرات الذهب ٢/١٦٩.

(٨) ذكره المؤلف في منهاج السنة كما في ٢/٣٢٧، وفي مجموع الفتاوى.
وذكر هنا أنه من أهل السنة وهناك قال إنه من القائلين: إن اتصافه ـ أي الله ـ بأنه مباين للعالم عالٍ عليه هو من الصفات المعلومة بالعقل كالعلم والقدرة، وأما الاستواء=

وغيرهما». اهـ[(١)].

وقال في موضع آخر تتمة للمناقشة السابقة: «قالوا: والدليل على ما قلناه إجماع السلف فإنهم فسروا جميع القرآن، وقال مجاهد[(٢)]: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها[(٣)]، وتلقوا ذلك عن النبي ﷺ، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي[(٤)]: «حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[(٥)].

وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن إلا ما قد يشكل على بعضهم فيقف فيه، لا لأن أحداً من الناس لا يعلمه، لكن لأنه هو لم يعلمه.

وأيضاً: فإن الله أمر بتدبر القرآن مطلقاً ولم يستثنِ منه شيئاً لا يتدبر، ولا

= على العرش فهو من الصفات الخبرية، وهذا قول كثير من أصحاب الأئمة الأربعة وأكثر أهل الحديث...» وقرنه مع أبي حاتم البستي وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي، ولم يتبين لي عنه غير هذا.

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.
(٢) سبقت ترجمته ص١٦٢.

(٣) الخبر في حلية الأولياء ٣/ ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ص٤٥٠ ـ ٤٥٧.

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، مولده في حياة النبي ﷺ ولم يرَه، قارئ مجود ماهر فيه عرض القرآن على عثمان وعلي وزيد وابن مسعود وغيرهم، وحدث عن عمر وعثمان وغيرهما، وأخذ عنه القرآن عاصم وعطاء بن السائب ويحيى بن وثاب وغيرهم، وحديثه في الكتب الستة، توفي سنة ٧٤هـ، وقيل: ٧٣هـ، وقيل: قبل الثمانين رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧، وحلية الأولياء ٤/ ١٩١.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير عن ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» قال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١/ ٨٠.
وأخرجه أيضاً عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح متصل. الطبري ١/ ٨٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٩ و٢٧١.

قال: لا تدبروا المتشابه، والتدبر بدون الفهم ممتنع، ولو كان من القرآن ما لا يتدبر لم يعرف، فإن الله لم يميز بين المتشابه بحدٍ ظاهر حتى يجتنب تدبره.

وهذا أيضاً مما يحتجون به، ويقولون: المتشابه أمر نسبي إضافي، فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على غيره، قالوا: ولأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدىً وشفاء ونور، ولم يستثنِ منه شيئاً عن هذا الوصف، وهذا ممتنع بدون فهم المعنى، قالوا: ولأن من العظيم أن يقال: إن الله أنزل على نبيه كلاماً لم يكن يفهم معناه، لا هو، ولا جبريل، بل وعلى قول هؤلاء كان النبي ﷺ يحدث بأحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن[1] عندهم، ولم يكن يعرف معنى ما يقوله، وهذا لا يظن بأقل الناس.

وأيضاً فالكلام إنما المقصود به الإفهام، فإذا لم يقصد به ذلك كان عبثاً وباطلاً، والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث، فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام ينزله على خلقه لا يريد به إفهامهم وهذا[2] من أقوى حجج الملحدين[3].

وأيضاً فما في القرآن آية إلا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم بإحسان في معناها وبينوا ذلك، وإذا قيل: فقد يختلفون في آيات الأمر والنهي، وآيات الأمر والنهي مما اتفق المسلمون على أن الراسخين في العلم يعلمون معناها، وهذا أيضاً مما يدل على أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه، فإن المتشابه قد يكون في آيات الأمر والنهي، كما يكون في آيات الخبر، وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها، فكذلك الأخرى، فإنه على قول النفاة: لم يعلم معنى المتشابه إلا الله، لا ملك ولا رسول ولا عالم، وهذا خلاف إجماع المسلمين في متشابه الأمر والنهي.

وأيضاً: فلفظ التأويل يكون للمحكم، كما يكون للمتشابه، كما دل

---

(١) سبق بيان معنى المتشابه ص١٦٥ ـ ١٦٦. (٢) أي: لازم قول هؤلاء.

(٣) الملحدون: جمع ملحد، والإلحاد في اللغة الميل والعدل، وهو مذهب من ينكر وجود الله، وقد يطلق على المتشكك الذي يتظاهر بالاقتناع دون عقيدة. المعجم الفلسفي ص٢٠، ١٧٤، ولسان العرب ٣/٣٨٨.

القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك، وهم يعلمون معنى المحكم، فكذلك معنى المتشابه، وأي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه؟ والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده! فأي فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه؟ وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطاباً، ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة، ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها، وإنما النزاع في كلام أنزله، وأخبر أنه هدىً وبيان وشفاء، وأمر بتدبره، ثم يقال: إن منه ما لا يعرف معناه إلا الله، ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه، ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعناها يجعلها من المتشابه بمجرد دعواه، ثم سبب نزول الآية قصة أهل نجران[1]، وقد احتجوا بقوله: ﴿إِنَّا﴾[2] و﴿نَحْنُ﴾[3] وبقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾[4] و﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[5] وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه، فكيف يقال: إن المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الأنبياء، ولا أحد من السلف، وهو من كلام الله الذي أنزله إلينا، وأمرنا أن نتدبره ونعقله، وأخبر أنه بيان وهدىً وشفاء ونور، ليس المراد من الكلام إلا معانيه، ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لا معنى له.

---

(١) أما كونها سبب النزول فهو ماعليه عامة المفسرين.
انظر: أسباب النزول للواحدي ص٩٧، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٠ (الشعب).
وأصل القصة في الصحيحين. انظر: صحيح البخاري (الفتح) ٨/ ٩٣ كتاب المغازي باب وفد نجران، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ٢/ ١٨٨٢ حديث رقم ٢٤٢٠.
ولفظ الحديث في مسلم عن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين حق أمين».
ولفظ الحديث عند البخاري عن حذيفة قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل...» الحديث.

(٢) كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

(٣) كقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٠٤].

(٤) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وقد قال الحسن:[(١)] ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيما ذا أنزلت وماذا عُني بها[(٢)]...

ثم قال: «وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره.

نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء، فضلاً عن غيرهم، وليس ذلك في آية معينة، بل قد يشكل على هذا ما يعرفه هذا، وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهة في نفس الإنسان تمنعه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب، فيجب القطع بأن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] أن الصواب قول من يجعله معطوفاً، ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد، أو يكون كلا القولين حقاً، وهي قراءتان[(٣)]، والتأويل المنفي غير التأويل المثبت[(٤)]، وإن كان الصواب هو قول من يجعلها واو استئناف، فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره، وهذا فيه نظر، وابن عباس جاء عنه أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله، وجاء عنه أن الراسخين لا يعلمون تأويله[(٥)].

وجاء عنه[(٦)] أن قال: التفسير على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب[(٧)].

---

(١) الحسن البصري سبقت ترجمته ص١٦٣.
(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٤٢.
(٣) لعله يعني وجهان من ناحية الوقف والابتداء فسماها قراءة، أو يريد غير متواترتين كما ذكرهما ابن الجوزي ١/ ٣٥٤، وأبو حيان ٢/ ٣٨٤.
(٤) فيكون التأويل المنفي الذي بمعنى المرجع والمآل: أي: حقيقة ما يرجع إليه الأمر. والتأويل المثبت الذي بمعنى التفسير وقد سبق بيان معاني التأويل ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.
(٥) وانظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٤، وابن كثير ٢/ ٧ ـ ٩.
(٦) بأسانيد ضعيفة.
(٧) الأثر ذكره ابن جرير ١/ ٧٥ في تفسيره (شاكر)، وابن كثير ١/ ١٨ (الشعب).

وهذا القول يجمع القولين، ويبين أن العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم، وأن فيه ما لا يعلمه إلا الله فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وجعل التأويل بمعنى التفسير، فهذا خطأ قطعاً». اهـ[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «ومما يحتج به من قال: الراسخون في العلم يعلمون التأويل: ما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا له وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[(٢)] فقد دعا له بعلم التأويل مطلقاً، وابن عباس فسر القرآن كله، قال مجاهد[(٣)]: «عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أقفه عند كل آية وأسأله عنها»[(٤)]، وكان يقول: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

وأيضاً فالنقول متواترة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الأمر والخبر، فله من الكلام في الأسماء والصفات، والوعد والوعيد، والقصص، ومن الكلام في الأمر والنهي والأحكام، ما يبين أنه كان يتكلم في جميع معاني القرآن.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٩٥ ـ ٤٠٠.

(٢) لفظ البخاري عن ابن عباس قال: ضمّني رسول الله ﷺ، وقال: «اللهم علمه الكتاب»، وفي رواية «اللهم علمه الحكمة»، وأنكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ورود اللفظ الذي ذكره الشيخ في الصحيحين، وقال: هذه اللفظة ـ (وعلمه التأويل) ـ اشتهرت على الألسنة حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم يصب، وأوله في الصحيح «اللهم فقهه في الدين».
انظر: صحيح البخاري (الفتح) ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠، و١/ ٢٤٤، و٧/ ١٠٠، و١٣/ ٢٠٨، والرواية المذكورة نسبها ابن حجر إلى «أحمد وابن حبان والطبراني وابن سعد والبغوي في معجم الصحابة وعند البزار أيضاً».
ولفظ مسلم «اللهم فقهه» كتاب فضائل الصحابة حديث ٢١٣٨/ ١٩٢٧ وهو رواية لأحمد في المسند ١/ ٣٢٧.
وأما لفظ أحمد في المسند ١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥، فهو ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» قال الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح ٣/ ١٧٣٤، وشرح الطحاوية ص٢١٤، صحيح.

(٣) سبقت ترجمته ص١٦٢.

(٤) ابن جرير في التفسير ١/ ٩١ (شاكر)، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٠.

وأيضاً قد قال ابن مسعود: ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم في ماذا أنزلت[١].

وأيضاً فإنهم متفقون على أن آيات الأحكام يعلم تأويلها، وهي نحو خمسمائة آية[٢]، وسائر القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته، أو عن اليوم الآخر والجنة والنار، أو عن القصص، وعاقبة أهل الإيمان، وعاقبة أهل الكفر، فإن كان هذا هو المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه! لا الرسول ولا أحد من الأمة..!! ومعلوم أن هذا مكابرة[٣] ظاهرة.

فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا[٤] أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي يخبر به، فإن دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور الناس، بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه، فإذا كان الله قد علم عباده تأويل الأحاديث التي يرونها[٥] في المنام فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأحرى». اهـ[٦].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب القراء من الصحابة. انظر: الفتح ٩/ ٤٧ ـ ٤٨، وابن جرير في التفسير ١/ ٨٠ (شاكر).

(٢) هذا هو المشهور عند بعض العلماء حتى ألف فيه بعضهم مؤلفاً خاصاً مثل تفسير خمسمائة آية لمقاتل «قد حقق رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية».
قال الزركشي: «ولعل مرادهم المصرح به، فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يستنبط منها كثير من الأحكام» البرهان ٢/ ٣.

(٣) المكابرة: هي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم، وقيل: هي مدافعة الحق بعد العلم به. التعريفات ٢٢٧.

(٤) الرؤيا: ما يرى في المنام من الأحلام. انظر: مفردات الراغب ص١٨٨، واللسان ١٤/ ٢٩٦.

(٥) كما في قصص يوسف عليه السلام! وفي الإسلام اشتهر به بعض العلماء كالحسن البصري وغيره، بل وألف بعضهم فيه كتباً.

(٦) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣.
وللاستزادة حول هذه المسألة. انظر ما قاله في: مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٥٣ ـ ٤٤٣ فقد أطال وأجاد وما نقلته هو كخلاصة تدل على المقصود فقط. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٨، ومجموع الفتاوى ٣/ ٦٧ ـ ٦٨.



الباب الثالث

كلام شيخ الإسلام في علاقة القرآن بغيره

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الفرق بين القرآن وغيره.

الفصل الثاني: الرد على من طعن في القرآن كما بيّنه القرآن.



الفصل الأول

الفرق بين القرآن وغيره

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين إعجاز القرآن والكتب السابقة.

المبحث الثاني: الفرق بين أتباع القرآن والمعرضين عنه.

المبحث الثالث: الفرق بين الشعر والقرآن كما بينه القرآن.


المبحث الأول


الفرق بين إعجاز القرآن والكتب السابقة

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته، فلفظه آية[١]، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.

وإذا قيل: إن التوراة والإنجيل والزبور لم يوجد لها نظير أيضاً[٢] لم يضرنا ذلك، فإنا قلنا إن آيات الأنبياء لا تكون لغيرهم وإن كانت لجنس الأنبياء، كالإخبار بغيب الله فهذه آية يشتركون فيها، وكذلك إحياء الموتى قد كان آية لغير واحد من الأنبياء غير المسيح[٣] عَلَيْهِ السَّلَامُ كما كان ذلك لموسى[٤] عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره».

---

(١) يرى شيخ الإسلام أن استخدام كلمة «آية» بمعنى الدليل والبرهان أكثر دلالة على صدق الرسول ﷺ بخلاف كلمة معجز أو معجزة، وذلك لأن علامة صدق الرسول في دعوى رسالته هو ما يقدمه من آيات تشهد بصحة دعواه وما يحتج به من براهين تؤيد قوله، وتسميتها بالآيات والبراهين تكون مطابقة لمسماها أو مطردة في ذلك لا تتخلف عنه، بخلاف كلمة معجزة. وانظر كتاب: النبوات ص٢٠٦ ـ ٢٣٥، وما سبق في ص١٤١.

(٢) من ناحية أنها وحي من الله وأنها تتضمن أخباراً بالغيوب وما فيها من تشريعات قبل التحريف لا نظير لها من تشريعات العقول البشرية..

(٣) فإنه آيته وبرهانه ومعجزته كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقد سبق ص٢٥٥.

(٤) كما قال تعالى في قصة القتيل: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣].

إلى أن قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما أتى به محمد ﷺ من الآيات فهو دليل على إثبات جنس الأنبياء مطلقاً وعلى نبوة كل من سُمِّي في القرآن، خصوصاً إذا كان هذا مما أخبر به محمد ﷺ عن الله، ودلت آياته[١] على صدقه فيما يخبر به عن الله، وحينئذ فإذا قدر أن التوراة أو الإنجيل أو الزبور معجز لما فيه من العلوم والإخبار عن الغيوب، والأمر والنهي، ونحو ذلك لم ينازع في ذلك بل هذا دليل على نبوتهم صلوات الله عليهم، وعلى نبوة من أخبروه بنبوته، ومن قال: إنها ليست بمعجزة، فإن أراد ليست معجزة من جهة اللفظ والنظم كالقرآن فهذا ممكن، وهذا يَرْجِع[٢] إلى أهل اللغة العبرانية.

وأما كون التوراة معجزة من حيث المعاني لما فيها من الأخبار عن الغيوب أو الأمر والنهي، فهذا لا ريب فيه، ومما يدل على أن كتب الأنبياء معجزة أن فيها الإخبار بنبوة محمد ﷺ قبل أن يبعث بمدة طويلة، وهذا لا يمكن علمه بدون إعلام الله لهم، وهذا بخلاف من أخبر بنبوته من الكهان[٣] والهواتف[٤]، فإن هذا إنما كان عند قرب مبعثه لما ظهرت دلائل ذلك،

(١) الآيات القولية والفعلية كما سبق ص١٤١ وما بعدها.

(٢) ضبطها يرجع بفتح أوله وكسر ثالثه.

(٣) وانظر ما كتبه ابن كثير في: البداية والنهاية من الروايات والآثار في أخبار الكهان وتحدثهم بمبعثه ﷺ، وأنهم استرقوا ذلك من الجن مما تسرقه من السمع، ومنها ما ذكره عن ابن إسحاق، «أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها، ثم قال: أدر ما أدر، يوم عقر ونحر، قالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟... فما عرفوه حتى وقعة بدر فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته» البداية والنهاية ٢/ ٢٨٦. وقد سبق تعريف الكهانة ص١٥١.

(٤) وانظر ما كتبه ابن كثير في باب في هواتف الجن وذكر آثاراً منها ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر قال: «ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن... وذكر قصته مع كاهنهم في الجاهلية... ثم قال عمر: صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا أنت، فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول لا إله إلا الله فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبي». البخاري (الفتح) ٧/ ١٧٧ =

واسترقته الجن من الملائكة فتحدثت به وسمعته الجن من أتباع الأنبياء.

فالنبي الثاني إذا كان قد أخبر بما هو موجود في كتاب النبي الأول، وقد وصل إليه من جهته لم يكن آية له، فإن العلماء يشاركونه في هذا.

وأما إذا أخبر بقدر زائد لم يوجد في خبر الأول أو كان ممن لم يصل إليه خبر نبي غيره كان ذلك آية له كما يوجد في نبوة أشعيا(١) وداود وغيرهما من صفات النبي ما لا يوجد مثله في توراة موسى(٢)، فهذه الكتب معجزة لما فيها من أخبار الغيب الذي لا يعلمه إلا نبي، وكذلك فيها من الأمر والنهي والوعد والوعيد ما لا يأتي به إلا نبي، أو تابع نبي، وما أتى به أتباع الأنبياء من جهة كونهم أتباعاً لهم مثل أمرهم بما أمروا به ونهيهم عما نهوا عنه، ووعدهم بما وعدوا به ووعيدهم بما يوعدون به فإنه من خصائص الأنبياء(٣)». اهـ(٤).



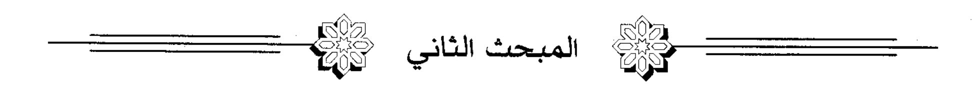
= كتاب المناقب باب إسلام عمر بن الخطاب، وابن كثير ٢/٣٠٨، ثم ذكر آثاراً كثيرة في ذلك. والهاتف: المنادي لا يُرى، وقد يكون من الملائكة أو مؤمني الجنة أو غيرهم. وانظر: الفتح ٣/ ٢٠٠، ولسان العرب ٩/ ٣٤٤.

(١) هو نبي من أنبياء بني إسرائيل حسب اعتبارهم ولم يرد ذكره في القرآن الكريم وهو صاحب أحد أسفارهم قبل عيسى ﷺ. وانظر: إظهار الحق ص٩٨، الإعلام للقرطبي ص١١٨ و٤٩٥ ـ ٤٩٦، ودرء تعارض العقل ٢/ ٢٢٩، والجواب الصحيح ٢/ ٢٤ (المحققة).

(٢) وانظر ما ذكره الشيخ من بشارات داود ﷺ ببعثة النبي ﷺ في الجواب الصحيح ٣/ ٣١٤ ـ ٣٢٣، وفي المحققة ٣/ ٣٠٩ ـ ٣٢٨، وبشارات أشيعا ﷺ ببعثة النبي ﷺ في الجواب الصحيح ٣/ ٣٢٦ ـ ٣٣١، وفي المحققة ٣/ ٣٣١ ـ ٣٤٨، وبشارات التوراة ببعثه النبي ﷺ في الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠ ـ ٣١٤، وفي المحققة ٣/ ٢٧٨ ـ ٣٠٩.

(٣) وذلك لأنهم مبلغون عنهم فقط فهم ينقلون ما سمعوه من الأنبياء إلى من بعدهم.

(٤) كتاب النبوات ١٦٤ ـ ١٦٦.



المبحث الثاني

بيان إعجاز القرآن في أوصاف المتبعين له والمعرضين عنه

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من سمع القرآن من مسلم وكافر علم بالضرورة أنه قد ضمن الهدى والفلاح لمن اتبعه، دون من خالفه[(١)]، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا[(٢)] وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٢٧﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١، ٢].

وكذلك نعلم أنه ذم من عارضه وخالفه، وجادل بما يناقضه كقوله تعالى:

---

(١) والناس طائفتان: إما منتفع أو لا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩]. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الضنك: الضيق من كل شيء. اللسان ١٠/ ٤٦٢.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦] وأمثال ذلك.

وإذا كان كذلك، فقد علم بالاضطرار أن من جاء بالقرآن أخبر أن من صدّق بمضمون أخباره فقد علم الحق واهتدى، ومن أعرض عن ذلك كان جاهلاً ضالاً[١]، فكيف بمن عارض ذلك وناقضه[٢] وحينئذٍ فكل من لم يقل بما أخبر به القرآن عن صفات الله واليوم الآخر، كان عند من جاء بالقرآن جاهلاً ضالاً، فكيف بمن قال بنقيض ذلك[٣].

فالأول عند من جاء بالقرآن في الجهل البسيط[٤]، وهؤلاء في الجهل المركب[٥].

ولهذا ضرب الله تعالى مثلاً لهؤلاء، ومثلاً لهؤلاء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ

---

(١) ولقد نص شيخ الإسلام على أن: «سبب الضلال في كل شيء هو الإعراض عن القرآن». وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٥٤ ـ ٥٩.

(٢) وقد وصف الله حال من يعارض آياته بمعقوله في سورة الحج بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ [الحج: ٨].
ولقد تكلم شيخ الإسلام حول هذه الآيات وأطال وأفاد في درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٦٣ ـ ٣٦٦.

وتكلم عن وصف الله لحال المعارضين بأنها من فعل الشياطين المعادين للأنبياء في درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢١٦ ـ ٢٢٣.

(٣) وقال في موضع آخر إن: «المبطل لايصادم لفظ القرآن إلا إذا أفرط في الجهل».
انظر: بيان تلبيس الجهمية ٢/ ١١.

(٤) الجهل البسيط: عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً. التعريفات ص٨٠، والكليات ص٣٥٠.

(٥) الجهل المركب: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع. التعريفات ص٨٠، والكليات ص٣٥٠.

ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩] فهذا مثل أهل الجهل المركب.

وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠] فهذا مثل أهل الجهل البسيط ومن تمام ذلك أن يعرف أن للضلال تشابهاً في شيئين:

أحدهما: الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ.

والثاني: معارضته بما يناقضه، فمن الثاني الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة.

فكل من أخبر بخلاف ما أخبر به الرسول ﷺ عن شيء من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر أو غير ذلك فقد ناقضه وعارضه، سواء اعتقد ذلك بقلبه، أو قاله بلسانه». اهـ[1].

وتكلم رحمه الله عن سبب المعارضة والإعراض عن القرآن فقال: «من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه، لم يعارضه إلا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب:

فالأول: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

والثاني: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وأصحاب القرآن والإيمان في نور على نور، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]، وقال تعالى:

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ . . . إلى آخر الآية[١]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧][٢].

فأهل الجهل البسيط: منهم أهل الشك والحَيرة من هؤلاء المعارضين للكتاب المعرضين عنه، وأهل الجهل المركب: أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات، وآخرون ممن يعارضهم يقول: المناقض لتلك الأقوال هو العقليات.

ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما[٣]، والغالب فساد كلا الاعتقادين، لما فيهما من الإجمال[٤] والاشتباه[٥]، وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقاً وباطلاً، ومع هؤلاء حقاً وباطلاً، والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه[٦]. والله أعلم». اهـ[٧].

وقال في موضع آخر عن أنواع المعارضين وأنهم إما مقلدة أو أصحاب ذوق، وعن حكم الله فيهم، فقال:

---

(١) سورة النور: ٣٥، وتمامها: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٢) وعزروه: أي: وقروه وعظموه وحموه من الناس. انظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٦٨.

(٣) ينوه الشيخ كثيراً بتناقض العقلانيين ونقضهم لحججهم بأنفسهم ومخالفتهم صريح العقل، وأنه ليس لهم طريقة واحدة يثبتون عليها. انظر مثلاً: درء تعارض العقل والنقل ٤/ ٢٧٧.

(٤) الإجمال: إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة، وعكسه التفصيل وهو تعيين بعض تلك المحتملات أو كلها. انظر: التعريفات ص٩، والكليات ص٤٢

(٥) الاشتباه: اختلاف مراد المتكلم على السامع لاحتماله وجوهاً مختلفة. انظر: الكليات ص٨٤٥.

(٦) بل ويرى شيخ الإسلام أن: «أقوم الطرق إلى أشرف المطالب هو القرآن». انظر: الرد على المنطقيين ص١٦٢.

(٧) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

«وعامة من تجده من طلبة العلم، المنتسبين إلى فلسفة، أو كلام، أو تصوف، أو فقه[١]، أو غير ذلك، إذا عارض نصوص الكتاب والسنة بما يزعم أنه برهان قطعي، ودليل عقلي، وقياس مستقيم، وذوق[٢] صحيح، ونحو ذلك، إذا حققته[٣] وجدته ينتهي إلى تقليد لمن عظمه إذا كان من الأتباع، أو إلى ما افتراه هو أو توهمه إن كان من المتبوعين[٤]، وللطائفتين نصيب مما ذكره الله في أشباههم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

---

(١) أي: متعصب فيه لا عامة الفقه.

(٢) الذوق عند المتصوفة: «عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره». التعريفات ص١٠٧ وهو في حقيقته أوهام ونوازغ شيطانية لا غير.

(٣) التحقيق لغة: رجع الشيء إلى حقيقته بحيث لا يشوبه شيء.
والمراد به: إثبات دليل المسألة مطلقاً أو بدليلها؛ «أي: إثبات دليل المسألة بدليل آخر». انظر: الكليات ص٢٩٦.

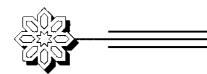
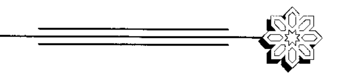
(٤) ويرى شيخ الإسلام أموراً:
أ ـ أن «المعارضين للكتاب والسنة بآرائهم لازم قولهم الإلحاد». وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٦/٣.
ب ـ وأن «المعرضين عن الكتاب المعارضين له سوفسطائية، منتهاهم السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات». وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٥٦.
ج ـ وأن «من أعرض عن الكتاب وعارضه بالمعقولات فلا بد له من كتمان، أو كذب، أو تحريف، أو أمية، مع عدم العلم وهذه أمور كلها مذمومة». وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٢٧.

سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨]». اهـ[1].



(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/٣٨ ـ ٣٩.

 المبحث الثالث 

الفرق بين الشعر والقرآن كما بينه القرآن

قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو يعلل الأوصاف التي وصف بها النبي ﷺ من أعدائه: «وكذلك لما قالوا عن محمد ﷺ إنه شاعر فإن الشعراء[١] جنس معروفون في الناس، وقالوا إنه كاهن[٢]، وشبهة الشعر أن القرآن كلام موزون، والشعر موزون، وشبهة الكهانة أن الكاهن يخبر ببعض الأمور الغائبة.

فذكر الله تعالى الفرق بين هذين وبين النبي ﷺ فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾، ثم قال: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ[٣] ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٣] ولهذا لما عرض الكفار على كبيرهم الوحيد[٥] أن يقول للناس: هو شاعر، ومجنون،

---

(١) الشعراء: جمع شاعر، وهو قائل الشعر وقد سبق تعريف الشعر ص١٥١.

(٢) الكاهن: هو من يدعي الكهانة وقد سبق تعريفها ص١٥١.

(٣) قال ابن جرير عند هذه الآية ٦١ يقول تعالى ذكره: «ألم ترَ يا محمد أنهم ـ يعني: الشعراء ـ في كل وادٍ يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائراً على الحق، وطريق الرشاد، وقصد السبيل، وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوماً ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور». تفسير ابن جرير ١٩/١٢٨.

(٤) الآيات في سورة الشعراء ٢٢١ ـ ٢٢٧، والاستثناء في الآية أخرج المباح من الشعر.

(٥) الوحيد هو الوليد بن المغيرة وسبق بيان ذلك ص١٨١.

وساحر، وكاهن، صار يبين لهم أن هذه أقوال فاسدة[١]، وأن الفرق معروف بينه وبين هذه الأجناس.

فالمقصود أن هذه الأجناس كلها موجودة في الناس معتادة معروفة، وكل واحد منها يعرف بخواصه المستلزمة له، وتلك الخواص آيات له مستلزمة له، فكذلك النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء وإن كانت معتادة للأنبياء فهي لا توجد لغيرهم فهذا هذا. والله أعلم». اهـ[٢].

وقال في موضع آخر مبيناً الفرق بين الشعر والقرآن: «إن الله أمر نبيه أن يدعوا إلى سبيل ربه: بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، وهذه الطرق الثلاثة[٣] هي النافعة في العلم والعمل وتشبه ما يذكره أهل المنطق من البرهان، والخطابة، والجدل.

بقي الشعر والسفسطة[٤] ـ التي هي الكذب المموه ـ فنفى الله ذلك بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٤] إلى آخر السورة، فذكر الأفاكين[٥] وهم المسفسطون، وذكر الشعراء.

(١) ملخص الخبر أن الوليد سمع شيئاً من القرآن فأعجبه ووصفه بأنه: ليس بشعر لا رجز ولا قصيد ولا من شعر الجن، وأن له حلاوة ويعلو ولا يعلى عليه، ثم عيره بذلك صناديد الكفر وجمعوا له مالاً ليعطوه إياه تعبيراً له أنه إنما يريد الإسلام ليصيب من طعام أبي بكر ﷺ، فأرضاهم بما ذكر الله عنه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٤، ٢٥].
والخبر بتمامه ورواياته عند ابن جرير في التفسير ٢٩/١٥٦، وابن كثير في التفسير ٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٣/٥٩ ـ ٦٢ بأطول وأشمل مما في التفسير، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٠ برقم ٣٨٧٢، وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، وأقره الذهبي.

(٢) كتاب النبوات ص٣٢ ـ ٣٣.

(٣) سبق بيانها ص٢٣٨.

(٤) سبق تعريفها ص٢٣٨.

(٥) جمع أفاك، وهو صاحب الإفك، والإفك في اللغة: الكذب. اللسان ١٠/ ٣٩٠.

وكذلك أبو بكر الصديق قال لعمر بن الخطاب لما قال له: «يا خليفة رسول الله تألف الناس، فأخذ بلحيته وقال: يابن الخطاب أجبار في الجاهلية خوار[١] في الإسلام، علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى، أم على شعر مفتعل؟»[٢] فذكر الحديث المفترى والشعر المفتعل[٣]، كما ذكر الله تعالى الأفاكين، والشعراء.

وكان الإفك في القوة الخبرية[٤]، والشعر في القوة العملية الطلبية[٥]، فتلك ضلال وهذه غواية.

ولهذا يقترن أحدهما بالآخر كثيراً في مثل:

المليين[٦] من الرهبان[٧] وفاسدي الفقراء[٨] وغيرهم، ثم لما كان الشعر مستفاداً من الشعور ـ فهو يفيد إشعار النفس بما يحركها، وإن لم يكن صدقاً،

---

(١) رجل خوار: أي: ضعيف. وانظر: اللسان ٤/ ٢٦٢.

(٢) الأثر موجود في مسند أبي بكر الصديق: للسيوطي ص١٠٧ رقم ٣٥٧ ونسبه إلى الإسماعيلي عن عمر بن الخطاب، قال: «لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب...» وذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢/ ٨٧ ولم يعزه.

(٣) فسر الشيخ رحمه الله كلمة أبي بكر رضي الله عنه هذه في موضع آخر، فقال: «ويقول: إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الأسدي، وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن أهل الفجور والإفك المبين» مجموع الفتاوى ٢/ ١٣٦.

(٤)(٥) وانظر ما قاله الراغب في: مفرادته ص١٥، وص٢٦٩، وهامش ص٣٥.

(٦) الملة: اسم لما شرعه الله لعباده على لسان نبي ليتوصلوا إلى آجل ثوابه. الكليات ص٤٤٣. والمراد بهم هنا المدعون اتباع ملل الأنبياء والمبالغون في ذلك الادعاء، فهم يعبدون الله بما شرع وما لم يشرعه... ويزعمون ذلك اتباعاً وقربى إلى الله.

(٧) الرهبان: هم النصارى الذين يتعبدون في الصوامع ويعتزلون بها عن الناس ويتركون ملاذ الدنيا ومخالطة الناس، ويشددون على أنفسهم في العبادة كالصوم ونحوه، ويتركون الدعوة والجهاد. انظر: القاموس المحيط ص١١٨، والتعريفات ص١٠٩.

(٨) فاسدي الفقراء: يقصد بهم الصوفية المنحرفة كما سينص عليه بعد أسطر. وانظر: ص٢٤٦ ـ ٢٤٨.

بل يورث محبة أو نفرة[١]، أو رغبة أو رهبة، لما فيه من التخييل[٢]، وهذا خاصة الشعر ـ فلذلك وصفهم بأنهم يتبعهم الغاوون.

والغي[٣]: اتباع الشهوات، لأنه يحرك الناس حركة الشهوة، والنفرة، والفرح، والحزن، بلا علم، وهذا هو الغي، بخلاف الإفك فإن فيه إضلالاً في العلم بحيث يوجب اعتقاد الشيء، على خلاف ما هو به، وإذا كانت النفس تتحرك تارة عن تصديق وإيمان، وتارة عن شعر.

والثاني: مذموم إلا ما استثني منه[٤]، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩] فالذكر خلاف الشعر، فإنه حق وعلم يذكره القلب[٥]، وذاك شعر يحرك النفس فقط.

ولهذا غلب على منحرفة المتصوفة[٦]، الاعتياض بسماع القصائد والأشعار عن سماع القرآن والذكر، فإنه يعطيهم مجرد حركة حب أو غيره، من

---

(١) النفرة: التفرق والتباعد والشرود. القاموس ص٦٢٤.

(٢) التخييل: تخيل الشيء له تشبه وهو ما تشبه له في اليقظة والحلم من صورة. القاموس ص١٢٨٨.

(٣) الغي: جهل مع اعتقاد فاسد. مفردات الراغب ص٣٨٠.
وسيفسره الشيخ بعد بأنه اتباع الشهوات التي هي هوى النفس.

(٤) وذلك لأن الشعر قسمان ممدوح ومذموم، قال المؤلف رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ . . .﴾، ذكر علامة من تنزل عليه الشياطين: بأنه أفاك أثيم، وأن الشعراء يتبعهم الغاوون.
فظاهر القرآن: ليس فيه أن الشعراء تتنزل عليهم الشياطين، إلا إذا كان أحدهم كذاباً أثيماً، فالكذاب: في قوله، وخبره. والأثيم: في فعله وأمره وذاك والله أعلم: لأن الشعر يكون من الشيطان تارة، ويكون من النفس أخرى، كما أنه إذا كان حقاً يكون من روح القدس. . . فلما نفى قسم الشيطان؛ نفى قسم النفس، ولهذا قال: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ والغي: اتباع الشهوات التي هي هوى النفس».اهـ مجموع الفتاوى ٢/٥١.
فبين أن الباطل قسمان: ما كان كذباً وإثماً، وما كان غياً واتباعاً للشهوات، وأما ما كان حقاً وصدقاً فهو حق ممدوح.

(٥) هكذا في المطبوع ولعل الصواب: وعلم يذكر القلب أو يكون ضبطها يذكره بالمبني للمجهول. والله أعلم.

(٦) سبق تعريفها ص١٢٤.

غير أن يكون ذلك تابعاً لعلم وتصديق، ولهذا يؤثره من يؤثره على سماع القرآن، ويعتل[١] بأن القرآن حق نزل من حق، والنفوس تحب الباطل، وذلك لأن القول الصدق والحق: يعطي علماً واعتقاداً بجملة القلب والنفوس المبطلة لا تحب الحق[٢].

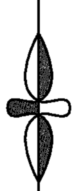
ولهذا أثره باطل، يتفشى من النفس، فإنه فرع لا أصل له، ولكن له تأثير في النفس من جهة التحريك[٣]، والإزعاج[٤] والتأثير[٥]، لا من جهة التصديق والعلم والمعرفة ولهذا يسمون القول حادياً لأنه يحدو النفوس؛ أي: يبعثها ويسوقها كما يحدو حادي العيس[٦].

وأما الحكمة والموعظة الحسنة، والجدل الأحسن، فإنه يعطي التصديق والعمل فهو نافع منفعة عظيمة».اهـ[٧].



(١) أي: يحتج ويجعل ذلك سبباً لإعراضه عن القرآن وتبديله بسماع الشعر والقصائد.
(٢) وهذه حجة أعظم فساداً وبطلاناً من العمل نفسه، وهي كافية في بيان بطلانها وبطلان العمل الذي يحتج له.
(٣) التحرك ضد السكون. القاموس ص١٢٠٨.
(٤) الإزعاج: أزعجه أقلقه وقلعه من مكانه. القاموس ص٢٤٥.
(٥) التأثير: من الأثر وهو بقية الشيء. القاموس ص٤٣٥.
(٦) الحداء: سبق تعريفه ص١٤٦.
(٧) مجموع الفتاوى ٢/٤٢ ـ ٤٤.





الفصل الثاني

الرد على من طعن في القرآن كما بينه القرآن

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تنزيه القرآن للرسولين.

المبحث الثاني: دلالة الحال على صدق النبي ﷺ.

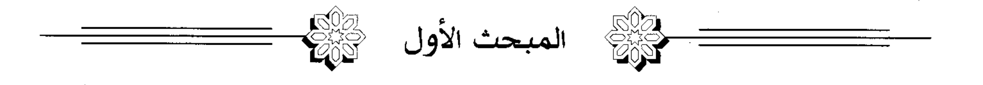
المبحث الثالث: الرد على من زعم أنه تعلمه من أهل الكتاب.

المبحث الرابع: دلالة القصص على أنه لم يتعلمه من أحد.

المبحث الخامس: مطاعن المشركين في القرآن والنبي لتبرير مواقفهم.

المبحث السادس: دلالة القرآن على أنه منزل من الله بلفظه ومعناه.

المبحث السابع: الرد على من زعم أن لفظه من الرسول ومعناه من الله.



المبحث الأول

إعجاز القرآن في تنزيهه للرسولين

نسب المشركون والمعارضون للقرآن هذا الكتاب إلى الشياطين تارة، وإلى أنه شعر مفتعل تارة أخرى، أو كهانة ثالثة، ومضى على نهجهم طوائف فنسبته إلى الرسول الملكي تارة، وإلى البشري تارة أخرى، فجاء القرآن مبطلاً حججهم الواهية، وشيخ الإسلام يحدثنا عن ذلك فيقول: «وجبريل الذي نزل بالوحي على محمد ﷺ هو روح القدس، وهو روح الحق[1]، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وهذا الروح إنما جاء بمجيء محمد ﷺ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فاصطفى الله جبريل من الملائكة واصطفى محمداً من البشر، ولهذا يشير[2] القول الذي هو القرآن إلى نزول[3] هذا تارة، وإلى نزول هذا تارة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١] فهذا الرسول هنا جبريل، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا

(١) أي: جبريل روح القدس والوحي - القرآن - هو روح الحق، فالوصف الأول للأول، والثاني للثاني بدليل استدلاله بالآية ففيها تسمية: الأول بروح القدس، والثاني بالحق، مع أنه ورد تسميته روحاً كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]. والله أعلم.

(٢) في المحققة «ولهذا يضاف».

(٣) في المحققة «إلى قول هذا تارة».

بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣] فهذا الرسول هنا محمد ﷺ وأضافه إلى كل منهما بلفظ الرسول(١): لتضمنه أنه بلغه عن مرسِله، لم يقل إنه لقول ملك، ولا نبي، بل كفر من قال: إنه قول البشر، كما ذكر ذلك عن الوليد(٢)، وقد قال تعالى في القرآن: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] ومعلوم أن الرسول نفسه لم ينزل بل أبدل الرسول من الذكر(٣)، لأن الرسول جاء بالذكر».اهـ(٤).

ويقول في موضع آخر موضحاً بطلان ذلك الافتراء من خلال آيات القرآن الكريم فيقول: «وأخبر سبحانه أنه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] فذكر أنه قول رسول الله اصطفاه من الملائكة نزل به على رسول اصطفاه من البشر(٥)، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ

---

(١) الرسول: في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً؛ أي: متتابعة، والرسول اسم من أرسل برسالة فهو مبعوث بأمر إلى الغير. انظر: اللسان ١١/ ٢٨٤.

(٢) في المحققة الوحيد، والمطبوعة الوليد، وكلاهما بمعنى واحد فالوليد اسم والوحيد وصف، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١]. انظر: جامع البيان للطبري ٢٩/ ١٥٢، وقد سبق بيان ذلك ص١٨١.

(٣) بدل اشتمال.

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٢١، المحققة ٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٥) والعبارة في المحققة: [فذكر أنه قول رسول اصطفاه من الملائكة نزل به على رسول اصطفاه من البشر].

قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ[(١)] ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٥٢] فنزه كلاً من الرسولين عما قد يشتبه به.

نزه الملك أن يكون شيطاناً، ونزه البشر أن يكون شاعراً أو كاهناً، وبيّن برهان ذلك وآيته فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] فبيّن أنه ما يصلح لهم النزول به، بل هم منهيون عن ذلك، وهم ممتنعون عن ذلك، لا يريدونه، لمنافاته لمقصودهم، وأنهم لو أرادوا ذلك[(٢)] لعجزوا عن ذلك، فلم يستطيعوه، إذ كانوا معزولين عن أن يسمعوه من الملأ الأعلى، وهم إنما يقدرون على أن ينزلوا بما سمعوه لا بما لم يسمعوه، وذلك أن الفاعل للفعل إنما يفعله إذا كان مريداً له قادراً عليه، فبيّن بقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ أنهم لا يريدون تنزيله، وبقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أنهم عاجزون عن تنزيله». اهـ[(٣)(٤)].

ثم تكلم عن شرح عدم إرادتهم وعجزهم، ثم قال: «فصل وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة، ما زالوا معترفين بصدقه ﷺ وأنهم لم يجربوا عليه كذباً، بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة، وأنه ليس بساحر، وكانوا في أول أمره يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم عنه، لأن مكة لم يكن بها ذلك». اهـ[(٥)].

---

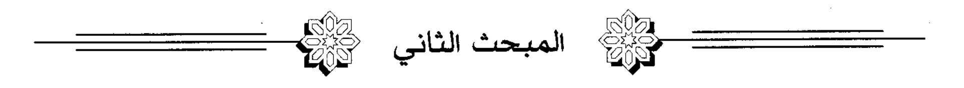
(١) الوتين: عرق يسقي الكبد وإذا انقطع مات صاحبه. مفردات الراغب ص٥٤٨، واللسان ١٣/ ٤٤١.

(٢) اسم الإشارة غير موجود في المحققة.

(٣) كما قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٨، ٩].

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٣٥ ـ ٣٦، والمحققة ٣/ ٤٢٤ ـ ٤٢٧.

(٥) الجواب الصحيح ٤/ ٤١، والمحققة ٣/ ٤٣٧. ثم ذكر حديث هرقل وأبي سفيان الطويل.


المبحث الثاني

دلالة الحال على صدق النبي ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه أحد من البشر إلا من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك، ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة[1]، فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة، لا يؤخذ خبرها قط إلا عن نبي كموسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - وليس أحد ممن يدعي المكاشفات[2]، لا من أولياء الله، ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك، ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم.

وأهل الملل متفقون على ما دل عليه العقل الصريح من أن هذا لا يعلم إلا بخبر نبي، فإذا كان محمد ﷺ قد أخبر من ذلك بما أخبر به موسى وغيره

---

(١) وللنظر والاستزادة حول كلام هؤلاء عن المعجزات: كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك رسالة خاصة اسمها: «الصفدية في الرد على الفلاسفة في قولهم إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية وفي إبطال قولهم بقدم العالم»، وهي مطبوعة بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ.

والشيخ هنا يشير إلى مذهبهم بوقوع التخييل والحس الباطن للأنبياء كما يحصل للنائم في منامه ويقولون: إن ما أخبرت به الرسل إنما هو تخييل وأمثال مضروبة، لا أنه أخبار عن الحقائق على ما هي عليه، قاتلهم الله. وانظر: الصفدية ١/٦ - ٧ وغيره من المواضع.

(٢) المكاشفات: لا يؤخذ منها حق وولي الله لا يدعي المكاشفات: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فوصف أولياءه بأنهم يتقون وليس من التقوى ادعاء المكاشفات وعلم الغيوب لا سيما ما يخالف النصوص الشرعية منها. وقد سبق تعريف المكاشفات ص١٧٧.

من الأنبياء، وأخبر بما يعلمونه، مما لا يعلمه أحد إلا بالتعليم منهم، وقد عرف أن محمداً لم يتعلم هذا من بشر، كان هذا آية بينة وبرهاناً قاطعاً على نبوته، ثم العلم بأن محمداً ﷺ لم يتعلم هذا من بشر يحصل(١) بوجوه: أما قومه المباشرون له، الخبيرون بحاله، وكانوا(٢) يعلمون أنه لم يتعلم هذا من بشر، فقامت عليهم الحجة بذلك، وأما من لم يعرف حاله إلا بالسماع فيعلم ذلك بطرق:

١ ـ منها: تواتر أخباره(٣) وكيف كان؟ من حين ولد، إلى أن مات، كما هي مستفيضة مشهورة متواترة، يعلمها من له خبره بذلك، أعظم مما يعلم به حال موسى وعيسى عليهما السلام فإن محمداً ﷺ ظهر أمره، وانتشرت أخباره، وتواترت أحواله، أعظم من جميع بني آدم، فما بقي ما دون هذا من أحواله يخفى على الناس، فكيف مثل هذا؟!

٢ ـ ومنها: أنه أخبر في القرآن بما لا يوجد عند أهل الكتاب، مثل قصة هود، وصالح، وشعيب، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وعيسى، مثل تكليم المسيح في المهد(٤)، ومثل نزول المائدة(٥)، فإن هذا لا يعرفه أهل الكتاب، ومثل إيمان امرأة فرعون(٦)، وغير ذلك، فيمتنع أن يقال: إن هذا

---

(١) في المحققة: «يحصل في حياته بوجوه».
(٢) في المحققة: فكانوا.
(٣) الخبر المتواتر: هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، بأن يكونوا جميعاً لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره. انظر: تدريب الراوي ٢/١٧٦.
(٤) كما قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩، ٣٠]. المهد: فراش الصبي. مختار الصحاح: ٦٣٨.
(٥) كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣].
(٦) كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

تعلمه من أهل الكتاب، وقومه لم يكونوا يعلمون ذلك، بل قد أراهم وغيرهم آثار المنذرين[(١)]، الذين عاقبهم الله لما كذبوا الرسل، كقوم عاد وثمود وغيرهم[(٢)]، فيستدل الناس بالآثار الموجودة على صدق الرسل، وعقوبة الله لمن يكذبهم، ويستدل قومه وغيرهم على صدقه فيما أخبر به من هذه الأمور التي لم يتعلمها من أهل الكتاب، بتصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه، مع علمهم أنه لم يتعلم ذلك منهم، ويكون هذا مما يدل على أنه لم يتعلم ذلك من أهل الكتاب كما قد يظنه بعضهم، وذلك من الوجهين كما نقدم.

٣ ـ ومنها: أن أكثر قومه كانوا من أعظم الناس عداوة له، وحرصاً على تكذيبه والطعن فيه، وبحثاً عما به يقدحون فيه، فلو كان قد تعلم هذه الأخبار من بشر، لكانوا يعلمون ذلك ويقدحون به فيه، ويظهرونه، ولكان هذا مما يظهر أعظم مما ظهر غيره[(٣)]، فلما لم يقع ذلك دل على أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ولم يتمكنوا من القدح به فيه، مع علمهم بحاله[(٤)]، ورغبتهم في القدح فيه، ومع كمال الداعي والقدرة يجب وجود المقدور.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ٧١ ـ ٧٣].

(٢) كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]. وكما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الروم: ٩].

(٣) وهم يظهرونه أيضاً لأن القدح فيه يوصلهم إلى مطلوبهم بدون عناء ولكنهم لم يجدوا لهم ما يتمسكون به للقدح فيه، فاضطروا إلى مقارعته بالقوة والسلاح فآذوه وآذوا من آمن به، وأخرجوهم ثم لحقوهم يقاتلونهم في مهجرهم حتى قتل أشرافهم وكثير من رجالهم ولا زالوا كذلك حتى تحقق وعد الله لنبيه ﷺ بالنصر والتمكين في الأرض، فلم يلجأوا إلى الأمر المكروه الصعب إلا بعد عدم الأسهل وهو المقارعة بالحجة وفضحه، إنما احتجوا عليه بما لم يثبت عندهم أصلاً ولذا لم يستقروا على تلك الاتهامات: ساحر، مجنون، كاهن، شاعر، أساطير الأولين، بل لجاؤا إلى المكروه لعدم جدواها عندهم فكيف يقنعون الناس بها. وهذا أمر بين لمن تأمل.

(٤) وكيف لا يعلمون حاله وهو الذي عاش بينهم عمره الأول ـ قبل النبوة ـ بل كان عرقاً =

فلما كان داعيهم تاماً، ولم يقدحوا، علم أن ذلك لعجزهم، وعجزهم عن القدح مع علمهم بحاله: دليل على أنه علموا أنه لم يتعلمه من بشر.

٤ ـ ومنها أن يقال: مثل هذا لو وقع، لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ويشيع[1]، بل كان المتبعون له المؤمنون به، إذا اطلعوا على ذلك فلا بدّ أن يشيعوه ويعلنوه، فكيف المخالفون المكذبون له؟! فإن القوم المتفرقين الذين لم يتواطئوا، كما لا يجتمعون على تعمد الكذب، فلا يجتمعون على كتمان مثل ذلك، بل يجتهد الملوك والرؤساء في إخفاء ما يبطنونه من أمر ملكهم الذي بنوه عليه، ويحلفون أوليائهم على كتمان ذلك، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة في ذلك، ثم يظهر ذلك، كما فعل القرامطة[2] الباطنية من أهل البحرين[3]، وبني عبيد الله[4] بن ميمون القداح[5]، وكما عرف

= نابضاً في وسطهم فهو يحمل الكَل ويكرم الضيف ويغيث الملهوف وهو الأمين بل هو الحكم في بعض الأمور التي يتنازع فيها كبارهم... إلخ.

(١) شاع الخبر فهو شائع: انتشر وافترق وذاع وظهر. اللسان ٨/ ١٩١، القاموس المحيط ص٩٤٩.

(٢) القرامطة: حركة باطنية هدامة، تعتمد على التنظيم السري العسكري، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية حتى في النساء، وإبطال شعائر الإسلام كالصوم والصلاة، سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٩٥، ومختصر التحفة الاثنى عشرية ص١٧.

(٣) البحرين: اسم جامع للبلاد التي على ساحل البحرين الممتد من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً فيها عيون ومياه وبلاد واسعة وهي منطقة الأحساء حالياً. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

وقد كانت فيها في وقت من الزمن دولة القرامطة من عام ٢٨٣هـ وتقريباً إلى عام ٣٦٠هـ، أو بعده فتكوا بالحجاج ونهبوهم واستحلوا كثيراً من بلاد الإسلام حتى وصلوا إلى دمشق ثم انهزموا وانحسروا ودب الخلاف بينهم وانتهت شوكتهم. وانظر: البداية والنهاية ١١/ ٨٦، و١١/ ٢٩٥.

(٤) بني معطوف على المجرور (أهل).

(٥) هم الفاطميون ـ الأدعياء الكذبة ـ والقداح: هو أبو محمد المدعي أنه علوي المتلقب=

الناس أن النصيرية[(١)] لهم خطاب يسرونه إلى أوليائهم وإن لم يعلم أكثر الناس ما ذلك الخطاب الذي يسرونه.

ولا سيما والذين آمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه ـ أولاً ـ من المهاجرين، كانوا مؤمنين به باطناً وظاهراً، هجروا لأجله الأوطان والأهل والمال، وصبروا على أنواع المكاره والأذى.

فطائفة كبيرة ذهبت إلى الحبشة[(٢)] مهاجرة بدينها[(٣)] لما عذبها المخالفون له حتى يرجعوا عن دينهم.

وطائفة كانوا بمكة يعذبون، هذا يقتل[(٤)] وهذا يخرج به إلى بطحاء مكة

= بالمهدي واختلف في نسبه اختلافاً كثيراً، وبنى المهدية ومات بها سنة ٣٢٢هـ وكانت ولايته على أفريقية ٢٤سنة، وقام بأمر الخلافة بعده ولده أبو القاسم الملقب بالقائم بأمر الله وكان كتم موت أبيه سنة. انظر: البداية والنهاية ١١/١٩١ ـ ١٩٢.

(١) النصيرية: حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري يتبعون لمحمد بن نصير البصري النميري ت٢٧٠هـ المعاصر للهادي والعسكري والمهدي المزعوم الثلاثة من أئمة الشيعة، وهم من غلاة الشيعة يزعمون الألوهية لعلي وهم ضد المسلمين مع كل غازٍ وهادم، ويسمون العلويين بناء على تسمية الاستعمار الفرنسي بالشام لهم تمويهاً وتغطية. يؤمنون بمحبة ابن ملجم وأن علياً سكن القمر وبالأيتام الخمسة ـ وهم خمسة من الصحابة يزعمون أن كل واحد منهم موكل بعمل من أعمال الإله ـ ويبيحون المحارم ويعظمون الخمر ويستحلونها ولهم قداسات خاصة وحج وزكاة وصيام وصلاة ليست كإسلام المؤمنين. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٥١١ ـ ٥١٧.

وللشيخ كَلَلهُ رسالة في الرد على هؤلاء النصيرية ولعلها هي المسماة الفتوى النصيرية المطبوعة ضمن مجموعة الفتاوى ٢٨/٥٥٣ ـ ٥٥٥، و٣٥/١٤٥ ـ ١٦٢، وانظر: أصول الفقه وابن تيمية للدكتور صالح بن عبد العزيز آل منصور ١/١٧٦.

(٢) الحبشة: تقع في شمال أفريقيا الشرقي، وهي هضبة مرتفعة تعلوها جبال شامخة كثيرة الوعورة صعبة المسالك، بها أنهار كثيرة وأشهرها النيل الأزرق والعطبرة.
انظر: دائرة معارف وجدي ٣/٢٩٨.

(٣) منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير بن العوام، ومصعب بن الزبير وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم السيرة لابن هشام ١/٣٤٤.

(٤) كما قتلت سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنه قتلها أبو جهل لما رأى إصرارها على دينها رغم تعذيبهم لها. وانظر: السيرة لابن هشام ١/٣٤٢.

في الحرّ[١]، وتوضع الصخرة على بطنه حتى يكفر فلا يكفر، وهذا يمنع رزقه ويترك جائعاً عرياناً[٢].

ثم إنهم هجروا أحب البلاد إليهم، وأفضلها عندهم[٣] مكة ـ أم القرى ـ إلى مدينة كانوا فيها محتاجين إلى أهلها، وتركوا أموالهم بمكة، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

---

(١) كما في قصة بلال بن رباح ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ (فإنه ـ يعني بلال ـ هانت عليه نفسه في الله ﷻ وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وجعل يقول: أحد أحد»، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح. المستدرك ٣/ ٣٢٠.

(٢) كما روى ابن إسحاق بإسناده عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، وإن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به...» السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٢٠.

(٣) بل كانت الهجرة قاسية الوقع على المهاجرين ولكنهم رضوا بها لأنها أمر الله وقدره لحكمة، فقد وقف النبي ﷺ على الحزورة فقال: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» رواه الترمذي عن عبد الله بن عدي بن حمراء قال: رأيت رسول الله واقفاً»، وقال: حسن غريب صحيح، وقال الألباني: صحيح.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»، رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وقال الألباني: صحيح. انظر: سنن الترمذي كتاب المناقب باب فضل مكة ٥/ ٧٢٢ وصحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٥٠.

ملاحظة: الحزورة هي الرابية الصغيرة وهو موضع في سوق مكة. انظر: اللسان ٤/ ١٨٧، والسيرة النبوية الصحيحة ١/ ٢٢٢.

﴿ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعاً واختياراً، قبل أن يؤمر أحد بقتال.

فإنه مكث بمكة بضعة عشر سنة(١)، لا يقاتل أحداً، ولم يؤمر بقتال(٢) بل كان لا يكره أحداً على الدين كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وكانوا خلقاً كثيراً، ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصاً، قد جاء بدين لا يوافقه عليه في زمانه أحد، وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه، ويفارقوا دين آبائهم، ويصبروا على عدواة الناس لهم وأذاهم، وهجروا لأجله ما ترغب النفوس فيه من الأهل والمال والوطن، وهو ـ مع

---

(١) اختلف العلماء في مقدار مكثه ﷺ بمكة فروى مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ «أقام بمكة خمس عشرة سنة» صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ٢٣٥٣ ـ ٢/ ١٨٢٧.
وروى البخاري، عن ابن عباس قال: «أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ» البخاري (الفتح) كتاب المناقب باب مبعث النبي ﷺ ٧/ ١٦٢، وباب هجرة النبي ﷺ ٧/ ٢٢٦.
وروى أيضاً عن عائشة وابن عباس: «أن النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً» البخاري (الفتح) كتاب المغازي باب وفاة النبي ﷺ ٨/ ١٥٠.
ولكن أصرحها وأصحها هو مكثه ثلاث عشرة سنة، وما قيل غير ذلك فهو محمول على أشياء أخرى، فمثلاً عشر سنين؛ أي: بعد فترة الوحي ومجيء الملك بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾، وخمس عشرة محمول على عد ما كان قبل الوحي وهو أنه لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وانظر: فتح الباري ٧/ ١٦٤ ـ ٢٣٠ و٨/ ١٥١، البداية والنهاية ٣/ ١٧٥.

(٢) وإنما شرع الجهاد والقتال بعد الهجرة عندما نزلت الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩]. وأولى الغزوات هي غزوة الأبواء أو ودان وهما موقعان متجاوران بينهما ستة أو ثمانية أميال عربية، في ١٢ صفر من السنة الثانية للهجرة.
والميل: مقياس يقدر بأربعة آلاف ذراع، وهو ما يقارب ١٦٠٠ متر. انظر: المعجم الوسيط ٨٩٤.
والأبواء تبعد عن المدينة حوالي أربعة وعشرين ميلاً، وهما من أعمال وادي الفرع. انظر: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٤٥، فإنه حقق ذلك وبيّن أن السرايا تتابعت بعدها. وانظر: معجم البلدان ١/ ٧٩، و٥/ ٣٦٥.

ذلك ـ لم يعطِ أحداً منهم مالاً، ولا كان له مال يعطيهم إياه، ولا ولّى أحداً ولاية[١]، ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها، ولا أكره أحداً ولا بقرصة[٢] في جلده، فضلاً عن سوط، أو عصا، أو سيف.

وهو ـ مع ذلك ـ يقول عما يخبرهم به من الغيب: الله أخبرني به لم يخبرني بذلك بشر[٣].

فلو كان مع ذلك ـ يعلمون أنه تعلمه من بشر، لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض. ويمتنع في جبلة[٤] بني آدم وفطرهم أن يعلموا أنه كاذب وأنه تعلم هذا من بشر، وليس فيهم من يخبر بذلك، مع أنهم كانوا كثيرين، ولا يمكن تواطئوهم على الكذب والكتمان، بل ولا داعي لهم يدعوهم إلى ذلك، ويمتنع أن لا يعلموا ذلك، وهم بطانته[٥] المطلعون على أحواله[٦]، وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله». اهـ[٧].



(١) أي: لم يقلد أحداً عملاً ولا حكماً ولا أمارة. انظر: مختار الصحاح ٧٣٧.
وذلك دفعاً لاحتمال وهو أن يقال: إنهم كانوا يدارونه ويسرون أحواله ليقلدهم أو يعطيهم.

(٢) القرص: اللسع، ويقال: في الحسي بالقرص بالإصبعين، أو الغمز بالإصبع حتى تؤلم، ويقال في المعنوي كلمة قارصة: أي مؤذية. انظر: اللسان ٧/ ٧٠.
وكلام الشيخ يدل على القرص الحسي، والنبي ﷺ لم يؤذِ أحداً حتى ولا بالكلمة بل كان خلقه القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

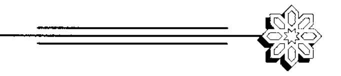
(٣) هذا معنى ما ورد في الكتاب والسنة من إثبات نبوته ﷺ وإيحاء الله تعالى له، ونفى تلقيه ذلك عن غير الله ﷻ.

(٤) أي: خلقتهم وطبيعتهم وأصلهم وما بنوا عليه. اللسان ١١/ ٩٨، ومختار الصحاح ص٩٢.

(٥) بطانته: أي: وليجته وخواصه. مختار الصحاح: ٥٧.

(٦) أحواله: أي: جميع حركاته وسكناته، ومتى يدخل، ومتى يخرج، وكم صلى، وكم قرأ، ومن أين خرج، وأين نزل، وماذا فعل، بل حتى كم عدد شعراته البيضاء، وغير ذلك من دقائق صفاته، كما في كتب السنة والسير والشمائل.

(٧) الجواب الصحيح ٤/ ٥٣ ـ ٥٧، والمحققة ٣/ ٤٦٤ ـ ٤٦٩.


المبحث الثالث


الرد على من زعم أنه تعلمه من أهل الكتاب

تكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن إخبار النبي ﷺ بالغيوب مع أن قومه مطلعون على جميع أحواله ثم يخبرهم بذلك، وكذا إخباره بالغيوب في المدينة وبها خلق كثير من اليهود ومع ذلك لم يدع أحد منهم أنه تعلم ذلك منهم[1]، ثم ذكر مسائل مما سأله عنه أهل الكتاب[2]: ثم قال:

«وكانوا يمتحونه بهذه المسائل ليتبين هل يعلمها؟ وإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلا نبي كان نبياً. ومعلوم أن مقصودهم بذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يتعلم هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم، وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس، ولكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء.

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب من العلم، إذ لو جوزوا ذلك عليه، لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي أم لا؟ فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم ما لا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب، كان من جنسهم،

---

(١) كما سبق في الباب الأول الفصل الثاني المبحث الرابع إعجاز القرآن في الإخبار بالمغيبات ص١٧٢.

(٢) كحديث عبد الله بن سلام: «إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، والولد ينزع إلى أمه تارة وإلى أبيه تارة...» الحديث عند البخاري عن أنس (الفتح) ٧/ ٢٧٢ كتاب مناقب الأنصار باب حدثنا حامد بن عمر...

وكحديث ثوبان وقول اليهودي الحبر: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «ينفعك شيء إن حدثتك»، قال: أسمع بأذني، فنكت بعود معه. فقال له سل: قال اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات... الحديث عند مسلم ١/ ٢٥٢ رقم ٣١٥.

وغيرها من المسائل كما ذكر بعضها الشيخ في الجواب الصحيح من ص٥٩ إلى ٦٢ ج٤.

فلم يكن علمهم بها وأحاديثهم[١] عنها دليلاً على نبوته.

فلا بدّ أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب، وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة سنة[٢]، وانتشر أمره، وكذبه قومه، وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه.

فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب، يتعلم منه، أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه، لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين. فتبين أنه كان معلوماً عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر، لا سيما ـ ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب ـ وقد كذبهم وحاربهم[٣]، لأظهروا ذلك، ولشاع في أهل الكتاب، وكان إذا أجابهم قالوا: هذا تعلمته من فلان، وفلان منا، أو هذا علمكه بعض أهل ديننا.

وهذا كما كانوا يرسلون إلى قومه من قريش، ليسألوه عن مسائل، ويقولون: إن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول، ويقولون: سلوه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي.

فهذا من أهل المدينة، ومن قريش قومه، يبين أن قومه المشركين، وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك من البشر، إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك، ولم يجز أن يقولوا: لا يعلمها إلا نبي، فإنهم كانوا جميعاً يعلمون أن من أهل الكتاب من تعلم هذه المسائل وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء أو بخلاف ذلك، ويعلمون أن من كان يعلمها من أهل الكتاب، ومن تعلم منهم، لا يدل جوابه عنها على نبوته، كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب، وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبي، فإن ذلك لا يدل على نبوته، لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء،

---

(١) في المحققة وإجابتهم ويبدو أنه هو الصواب والله أعلم.

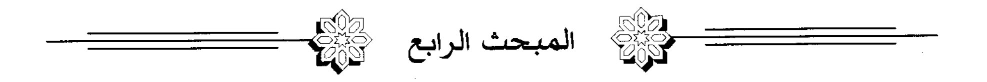
(٢) سبق بيان مدة إقامته بمكة ص٣١٣.

(٣) حاربهم بالحصار والجلاء والسبي والقتل كما سبق ص١٧٣ ـ ١٧٤.

فدل على أن مرادهم بقولهم: لا يعلمها إلا نبي؛ أي: لا يعلمها ابتداءً بدون تعليم بشر إلا نبي، ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعاً متفقين على أنه لم يتعلم من بشر مع انتشار أخباره، ومع اطلاع قومه على أسراره، ومع ظهور ذلك لو وجد، ومع أنهم لو جوزوا تجويزاً أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن، لم يجز أن يستدل بها على نبوته، فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر، لا في الباطن، ولا في الظاهر، وهذا طريق بيِّن يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر، سوى الطرق المذكورة هنا». اهـ[1].



(١) الجواب الصحيح ٤/ ٦٢ ـ ٦٣، والمحققة ٣/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩.



المبحث الرابع

دلالة القصص على أنه لم يتعلمه من أحد

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «جمع الله بين الإيمان بالملائكة[(١)] وبالأنبياء من جهتين: من جهة أنهم أخبروا به قبل أن يبعث بسنين كثيرة، فكان الأمر كما أخبروا وهذا آية لنبوتهم، وإخبارهم بنبوته، دليل على نبوته، فصار ما في الكتب المتقدمة من خبره دليلاً على نبوة من قبله، وعلى نبوته ـ عليهم الصلاة والسلام جميعاً ـ وكما أن إخباره هو أيضاً عنهم مع بعد العهد خبراً لم يتعلمه من بشر دليلاً على نبوته، وقد أخبر بنبوتهم، فثبتت نبوته ونبوتهم صلى الله عليهم أجمعين.

الجهة الثانية[(٢)]: أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه، ولا تشاعر[(٣)]، لم يأخذوا عنه، ولم يأخذ عنهم.

وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة، يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطئ، فإذا لم يكن تواطؤ وتشاعر، وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة، علم أن كلاً من المخبرين صادق، قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧] وقص قصته في السورة إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ

---

(١) من هنا زيادة في المطبوع وذكر في المحققة أنها أيضاً في مخطوطة دار الكتب القومية المصرية. انظر: المحققة ٣/ ٤٠٠.

(٢) إلى هنا انتهى الفرق بين المطبوعة والمحققة.

(٣) المواطأة: أي: الموافقة، والتشاعر: من أشعره فشعر؛ أي: أداره فدرى وعلم. مختار الصحاح ٣٣٩ ـ ٧٢٧، واللسان ١/ ٢٠٠، ٤/ ٤٠٩.

﴿ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٢ ـ ١٠٦]، إلى قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١٠٨ ـ ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣]، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩][1]، وقال تعالى لما قص قصة نوح في سورة هود وهي أطول ما قصه الله في القرآن في قصة نوح: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] فذكر سبحانه: أن هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا.

فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك، لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر[2] إلا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون أيضاً أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك، صار هذا حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر

---

(١) والرقيم: موضع بقرب البلقان من أطراف الشام، ويزعم بعضهم أنه ببلاد الروم، قالوا: هو لوح رصاص كتبت فيه أنسابهم وأسمائهم ودينهم ومم هربوا، والكهف: سبق الكلام عليه وعلى موضعه في الباب الثاني ص٢٢٧.

(٢) العشرة، والمعاشرة: المخالطة. اللسان ٤/ ٥٧٤.

قومه. ومثل هذا ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجته(١)، وأخبرهم عن نوح ودعائه على قومه(٢)، ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً(٣)، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده. وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، من إلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان، وتبشيره بإسحاق ويعقوب(٤)، وذهاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط(٥)، وقصة يعقوب مع بنيه، كقصة يوسف وما جرى له بمصر(٦)، وقصة موسى مع فرعون(٧)، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة(٨)، وآياته كالعصا واليد البيضاء(٩)، والقُمَّل والضفادع والدم(١٠)، وفلق البحر(١١)، وتظليل الغمام على بني

---

(١) كما في سورة البقرة: من آية ٣٠ إلى ٣٨، وكما في سورة الأعراف: ١١ ـ ٢٥ وغيرها.

(٢) كما في سورة نوح، وسورة هود: ٢٥ ـ ٤٩ وغيرها.

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت: ١٤].

(٤) كما في سورة الأنبياء: ٥١ ـ ٧٣، وسورة العنكبوت: ١٦ ـ ٣٢، وسورة الصافات: ٨٣ ـ ١١٣، وسورة الذاريات: ٢٤ ـ ٣٧، وسورة هود: ٦٩ ـ ٧٦.

(٥) كما في سورة هود: ٧٧ ـ ٨٣، وسورة العنكبوت: ٣١ ـ ٣٥، وسورة الشعراء: ١٦٠ ـ ١٧٤.

(٦) كما في سورة يوسف كاملة، وسورة البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٧) في مواضع متعددة منها في سورة البقرة: ٤٩ ـ ٥٠، والأعراف: ١٠٣ ـ ١٤١، وسورة يونس: ٧٥ ـ ٩٢، وسورة طه: ٩ ـ ٨٠.

(٨) كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(٩) كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨].

(١٠) كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

(١١) كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣].
والفلق: هو الشق فانفلق، أي: انشق. القاموس ص١١٨٦.

إسرائيل، وإطعامهم المن والسلوى[(١)]، وانفجار الماء من الحجر اثنتي عشرة عيناً لسقيهم[(٢)]، وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم[(٣)]، وقصة البقرة[(٤)]، ونتق الجبل فوقهم[(٥)]، وقصة داود، وقتله لجالوت[(٦)]، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال الله لهم: موتوا ثم أحياهم[(٧)]، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه[(٨)]، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل، إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى[(٩)] وعيسى ابن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك[(١٠)]، وذكر قصة أصحاب الكهف[(١١)]، وقصة ذي القرنين[(١٢)]، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار، مفصلة مبينة بأحسن بيان، وأتم معرفة، مع علم

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].
الغمام: جمع غمامة وهي السحابة البيضاء. القاموس ص١٤٧٦.
والمنّ: كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس فيه عمل ولا كد.
والسلوى: طائر مثل الحمام، وقيل: غير ذلك في كل منهما. وانظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٣٤ ـ ١٣٩.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٦٠].

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [الآيات ٦٧ ـ ٧١ البقرة].

(٥) كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٧١].

(٦) كما قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(٧) كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(٨) كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(٩) كما في سورة مريم: ١ ـ ١٥، وسورة آل عمران: ٣٨ ـ ٤١.

(١٠) في مواضع منها: سورة آل عمران: ٤٥ ـ ٥٩، وسورة مريم: ١٦ ـ ٣٦، وسورة المائدة: ١١٠ ـ ١١٨.

(١١) كما في سورة الكهف: ٥ ـ ٢٦.

(١٢) كما في سورة الكهف: ٨٣ ـ ٩٨.

قومه الذين يعرفون أحواله، من صغره إلى أن ادعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني ولا غيرهم(١).

كان هذا من عظيم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي أو من أخذ عن نبي فإذا لم يكن هو قد أخذه عن نبي تعين أن يكون نبياً.

ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق:

أحدها: أن قومه المعادين له، الذين هم من أحرص الناس على القدح في نبوته، مع كمال علمهم ـ لو علموا أنه تعلمه من بشر ـ لطعنوا(٢) عليه بذلك وأظهروه، فإنهم ـ مع علمهم ـ بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان، ومع حرصهم على القدح فيه(٣)، يمتنع ألا يقدحوا فيه، ويمتنع ألا يظهر ذلك.

الثاني: أنه قد تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون: إنه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك.

الثالث: أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عدواته لهم(٤)، لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه، ولو أظهروا ذلك، لنقل ذلك وعرف، فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها.

الرابع: أنه حين بعث، كان الناس إما مشركاً، وإما كتابياً، فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه.

وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين ـ من قريش وغيرهم ـ لم يكونوا يعرفون هذه القصص، ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها، فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه وكذبوه، فلو كان فيهم من علّمه أو يعلم أنه تعلّم من غيره لأظهر ذلك.

---

(١) سبق بيان أن مكة ليس بها أحد من أهل الكتاب ص١٧٢.
(٢) طعن بلسانه: أي: ثلبه وعابه بالقول وذمه. اللسان ١٣/ ٢٦٦.
(٣) قدح فيه: أي عابه. اللسان ٢/ ٥٥٥.
(٤) أي: بعد قيام دولته وعلو شأنه وامتناعهم عن الاستجابة لدعوته.

الخامس: أن مثل هذا لو كان، فلا بدّ أن يعرفه ـ ولو خواص الناس ـ وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك، وكان ذلك يشيع، ولو تواصوا بكتمانه، كما شاع ما كتم من أمر الدول الباطنية[1]، ولكان خواصه في الباطن يعلمون كذبه، وكان علمهم بذلك يناقض تصديقه في الباطن كما عرف في نظائر ذلك.

فكيف وكان أخص أصحابه، وأعلمهم بحاله، أعظمهم محبة وموالاة؟ بخلاف حال من يبطن خلاف ما يظهر، فإن خواص أصحابه لا يعظمونه في الباطن[2].

فإذا علم الناس أن قومه الذين كانوا معادين له غاية العداوة، وكانوا يطلبون القدح في نبوته بكل طريق، يخبرون[3] أنه لم يكن عندهم بشر يعلّمه مثل هذا، وأنه لم يكن في قومه ولا بلده من يعرف هذا.

علم الناس ما علّمه قومه من أن هذا إنما أنبأه به الله، وكان هذا من أعلامه وآياته وبراهينه، وهذا مما يبين الله في القرآن أنه من آياته، وأنه حين أخبر قومه بهذا مع تكذيبهم وفرط عداوتهم له، لم يمكن أحداً منهم أن يقول له: بل فينا من كان يعلم ذلك، وأنت كنت تعلم ذلك، وقد تعلمته منا أو من غيرنا، فكان إقرارهم بعدم علمه وعلمهم، مع فرط عداوتهم له، آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك، ولهذا لما كان بعضهم يفتري عليه فرية ظاهرة، كانوا كلهم يعلمون كذبه، وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره يعترفون

---

(١) الباطنية: نسبة إلى الباطن وهو مقابل الظاهر، وهم الذين يزعمون أن لظواهر آيات القرآن بواطن والمراد بها غير ما عرف من معانيها في اللغة، فرفعوا الشريعة كلها. ويطلق هذا الاسم على فرق عدة منها: الإسماعيلية، والقرامطة، والخرامية...
وانظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٣١٢، واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ١١٠، وقد سبق بيان بعضهم ص٣١٠، ٣١١.

(٢) وإنما تعظيمهم له ظاهراً ويتمنون لو ظفروا به لأنهم لا يعظمونه إلا لمجرد مصالحهم ولو حصل لهم أكثر وأكبر منها لانقلبوا عليه، والمتتبع لتواريخ الأمم يجد ذلك واضحاً جلياً، والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

(٣) في المحققة «يعلمون أنه لم يكن...».

أن هذا كذب ظاهر عليه(١)، كما كان بعضهم يقول: إنه مجنون، وبعضهم يقول: إنه كاهن، وبعضهم يقول: إنه ساحر، وبعضهم يقول: إنه معلم، تعلمه من بشر، وبعضهم يقول: أضغاث(٢) أحلام.

فحكى الله أقوالهم، مبيناً ظهور(٣) كذب من قال ذلك، وأنه قول ضال حائر، قد بهره حال الرسول فحار فلم يدرِ ما يقول، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ١ ـ ٦] فأخبر عمن قال ذلك، وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب، فإن هذه القصص المذكورة في القرآن، لم يكن بمكة من يعرفها، فضلاً عن أن يمليها كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: ٤٩]، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الفرقان: ٦] فأخبر أن هذا من علم من يعلم السر، إذ كان البشر لا يعلمون ذلك إلا من جهة أخبار الأنبياء، وليس بمكة من يعلم ما أخبرت به الأنبياء». اهـ(٤).



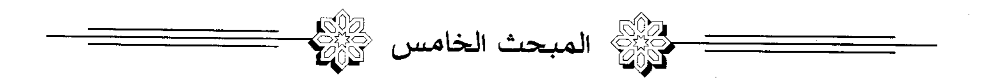
---

(١) كما في قصة الوليد، وقصة اجتماع زعماء قريش ليلاً لسماع القرآن وتلاومهم على ذلك وقد سبق ص١٨١ و٢٩٨، وعقد ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية باباً أسماه: «مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق، وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً». وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٥٩ ـ ٦٤.

(٢) ضغث الحديث: خلطه، وأضغاث الأحلام والأخبار: اختلاطها والتباسها ببعض فلا تتميز. انظر: اللسان ٢/ ١٦٣.

(٣) في المحققة: «مبيناً لظهور كذب من قال ذلك».

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٢٢ ـ ٢٧، والمحققة ٣/ ٤٠٠ ـ ٤١٠.


المبحث الخامس

مطاعن المشركين في القرآن والنبي لتبرير مواقفهم

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلامه عن اعتراضات المشركين على النبي ﷺ: «ثم ذكر ما اقترحوه[1]، فقالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٧ ـ ٩] أمر بالنظر في كيفية ما ضربوه من الأمثال، حيث شبهوه بمن يظهر الفرق بينه وبينه[2] ظهوراً لا يخفى على الناظر، ولهذا قال: ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إذ كان ظاهراً أن هذا ضلال عن طريق الحق، فلا يستطيع الضال عن طريق الحق عليه سبيلاً.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ

---

(١) الاقتراح: ارتجال الكلام، وابتداع الشيء من ذات النفس من غير أن تسمعه واقترح عليه بكذا تحكم وسأل من غير روية. اللسان ٢/ ٥٨٨.

(٢) أي: يظهر الفرق بين المشبه به والمشبه ظهوراً بيناً لا يحتاج إلى دقة بل هو واضح جلي.

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٣] فأخبر عما افتراه بعضهم من قوله: إنما يعلمه هذا القرآن بشر.

وكان بمكة مولى أعجمي لبعض قريش قيل إنه مولى لبني الحضرمي، والنبي ﷺ لا يحسن أن يتكلم باللسان العجمي، وذاك لا يحسن أن يتكلم بهذا اللسان العربي[١].

فلما قالوا: إنه افترى هذا القرآن، وإنه علمه إياه بشر، قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾؛ أي: يضيفون إليه هذا التعليم، وينسبونه إليه، وعبر عنه بلفظ الإلحاد، لما فيه من الميل[٢]، فقال:[٣]لسان هذا الشخص الذي قالوا: إنه يعلمه القرآن، لسان أعجمي، وهم لم يمكنهم أن يضيفوا هذا التعليم إلى رجل عربي، بل هذا الأعجمي، لكونه كان ربما يجلس أحياناً إلى النبي ﷺ وذلك الأعجمي لا يمكنه أن يتكلم بهذا الكلام العربي بل هو أعجمي، ومحمد لا يعرف بالعجمية ولكن غاية ذلك الأعجمي كعبد بني الحضرمي أن يعرف قليلاً من كلام العرب، الذي يحتاج إليه في العادة، مثل الألفاظ التي يحتاج إليها في غالب الأوقات، كلفظ الخبز، والماء، والسماء، والأرض، ولا يعرف أن يقرأ سورة واحدة من سور القرآن.

فبيّن سبحانه ظهور كذبهم فيما افتروه، ولم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة في تعلمه أنباء الغيب من علماء أهل الكتاب ونحو ذلك، وإنما قالوا ما ظهر بطلانه لكل أحد، ولم ينقل عن أحد منهم أنه قال قولاً يخفى بطلانه، بل ما يظهر كذبه لكل أحد، فتبين أنه لم يمكنهم أن يقولوا: إنه تعلم أخبار الغيوب من أحد». اهـ[٤].

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١/ ٣٩٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٣، والبداية والنهاية ٣/ ١٠٢، وتفسير الطبري ١٤/ ١٧٧ فقد ذكر ذلك وذكر الاختلاف في اسمه.

(٢) وانظر: اللسان ٣/ ٣٨٨، والقاموس المحيط ص٤٠٤.

(٣) هنا محذوف مقدّر من عبارة الشيخ هي (ما معناه) على طريقة ابن جرير الطبري في تفسيره.

(٤) الجواب الصحيح ٤/ ٢٧ ـ ٢٨، والمحققة ٣/ ٤١٠ ـ ٤١٣.

ثم تكلم عن قصة نوح وعن قصة يوسف وأن الإنسان إنما يعلم مثل هذا بمشاهدة أو خبر، وحال النبي ﷺ أنه لم يسمع ذلك من بشر لا هو ولا قومه، ثم قال: «وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦] بيّن بذلك أن تلاوته عليهم هذا الكتاب وإدراؤهم ـ أي: إعلامهم به[(١)] ـ هو بمشيئة الله وقدرته، لا من تلقاء نفسه[(٢)] كما قال قبل هذا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ﴾ الآية [يونس: ١٥، ١٦] فبين أنه لبث فيهم عمراً من قبله[(٣)]، وهو لا يتلو شيئاً من ذلك، ولا يُعلمهم به فليس الأمر من جهته[(٤)] ولكن من جهة الله الذي لو شاء ما تلاه عليهم، ولا أدراهم به، وتلاوته عليهم وإدراؤهم به، هو من الإعلام بالغيوب الذي لا يعلمها إلا نبي، وبيّن أن ذلك من الإرسال الديني الذي يحبه الله ويرضاه، لا من الكوني الذي قدره وقضاه، وهو لا يحبه ولا يرضاه، كإرسال

---

(١) وانظر: اللسان ١٤/ ٢٥٤.

(٢) تلقاء: حيال. قال الطبري في قوله: ﴿مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾: أي من عندي.
انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٤٦٦ و١٥/ ٤٠.

(٣) كما ثبت في حديث عامر الشعبي عند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة... قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إلى الشعبي.
وذكر ابن كثير آثاراً في ذلك. وانظر: البداية والنهاية ٣/ ٤، وابن حجر في الفتح ١/ ٢٧.

(٤) ولذا احتج الله عليهم بذلك في سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٩].
قال الشيخ الشنقيطي بعد هذه الآية التي في سورة يونس ١٦ ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: «في هذه الآية حجة واضحة على كفار مكة لأن النبي ﷺ لم يبعث إليهم حتى لبث فيهم عمراً من الزمن وقدر ذلك أربعون سنة... وقد ألقمهم الله حجراً بهذه الحجة في موضع آخر» ثم ذكر آية سورة المؤمنين. انظر: أضواء البيان ٢/ ٤٧٩.

الشياطين[١]، ولهذا كانوا يعرضون عليه أن يصير ملكاً عليهم، وأن يعطوه حتى يكون من أغناهم، وأن يزوجوه ما شاء من نسائهم، فيقول: «لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر، لم أستطع أن أدعه»[٢] وهذه الثلاث هي مطلوب النفوس من الدنيا ـ السلطان والمال والنساء ـ، فأعرض عن قبول الدنيا التي هي غاية أماني طالبها، وبيّن أن لا يقدر على أن يدع ما أمر به من تبليغ الرسالة، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٧] بيّن سبحانه أنهم طلبوا أن يمنعوه بكل طريق، فإن الإنسان إنما يتم عمله بإرادته وقدرته[٣].

فمع الإرادة الجازمة، والقدرة التامة، يجب وجود المقدور، وإذا تعذر أحدهما امتنع، فطلبوا تغيير إرادته ليركن[٤] إليهم، فيغير ما أوحي إليه، فعصمه الله وثبته، ثم طلبوا تعجيزه بأن يستفزوه[٥] ويخرجوه، حتى يعجز عن تبليغ رسالة ربه، ولو كان ذلك لعاجلهم الله بالعقوبة، أسوة بمن تقدمه من

---

(١) كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

(٢) أخرجه الطبراني بمعناه أيضاً في الأوسط والكبير، وأبو يعلى ـ بمعناه أيضاً ـ ورجال أبي يعلى رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٤ ـ ١٥.
وأخرجه البيهقي في الدلائل بمعناه أيضاً ٢/ ١٨٧، وهو في السيرة لابن هشام ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، وقد حسنه الألباني لكن بلفظ: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك، على أن تشعلوا لي منها شعلة، يعني: الشمس» قال: هذا إسناد حسن رجاله كلهم رجال مسلم.
وأما حديث: «يا عم والله ولو وضعوا الشمس في يميني. . .» فليس له إسناد ثابت.
وانظر: السلسلة الصحيحة ١/ ١٤٧ ـ ١٤٨، وسلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١.

(٣) تقدير الكلام (طلبوا أن يمنعوه بكل طريق فلم يستطيعوا لأن الإنسان إنما يتم عمله بقوة إرادته وقدرته على تحقيق ذلك) ويدل على ذلك السياق.

(٤) الركون إلى الشيء: أي: مال إليه وسكن واطمأن إليه. اللسان ١٣/ ١٨٥.

(٥) استفزه: أي: طلب إزعاجه وإفزاعه وإخراجه واستخفافه. انظر: اللسان ٥/ ٣٩١.

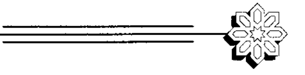
الرسل، فإن الله كان إذا أراد إهلاك أمّة، أخرج نبيها من بينها، ثم أهلكها، لا يهلكها وهو بين أظهرها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وهذا بعد قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٢، ٣٣] فلما خرج من بينهم بالهجرة، أتاهم الله بعذاب أليم يوم «بدر» وغيره، فقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] إشارة إلى سعيهم في إفساد إرادته، وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ٧٦] إشارة إلى سعيهم في تعجيزه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] بيّن سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة، وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه، متواتر عند من غاب عنه، وبلغته أخباره من جميع الناس: أنه كان أمّياً لا يقرأ كتاباً، ولا يخط[1] كتاباً من الكتب لا المنزلة ولا غيرها، ولا يقرأ شيئاً مكتوباً، لا كتاباً منزلاً ولا غيره، ولا يكتب بيمينه كتاباً ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس، لا المنزلة ولا غيرها.

ومعلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقيناً[2] وحفظاً، وإما أن يأخذ من كتابه، وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه، ولا يقرأ مكتوباً. والذي يأخذ من كتاب غيره؛ إما أن يقرأه، وإما أن ينسخه، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ». اهـ[3].



(١) في المحققة (ولا يحفظ) وهي الصواب لأنه قال بعدها: ولا يكتب بيمينه.
(٢) التلقين: التفهيم. اللسان ١٣/ ٣٩٠.
(٣) الجواب الصحيح ٤/٢٩ ـ ٣١، والمحققة ٣/ ٤١٤ ـ ٤١٨.



المبحث السادس

دلالة القرآن على أنه منزل من الله بلفظه ومعناه

قال رحمه الله تعالى:

«فصل في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ﷺ ولا غيرهما.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٣]، فأمره أن يقول: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فإن الضمير في قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ﴾ عائد على ما في قوله: ﴿بِمَا يُنَزِّلُ﴾ والمراد به القرآن، كما يدل عليه سياق الكلام، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فيه إخبار الله بأنه أنزله، لكن ليس في هذه اللفظة بيان أن روح القدس نزل به، ولا أنه منزل منه.

ولفظ «الإنزال» في القرآن، قد يرد مقيداً بالإنزال منه: كنزول القرآن[1].

وقد يرد مقيداً بالإنزال من السماء[2]، ويراد به العلو، فيتناول نزول

---

(١) كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

المطر من السحاب، ونزول الملائكة من عند الله[1] وغير ذلك.

وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الإنزال، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] والإنزال من ظهور الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك[2]، فقوله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بيان لنزول جبريل به من الله، فإن روح القدس هنا هو جبريل[3]، بدليل قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وهو الروح الأمين كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥] وفي قوله: ﴿ٱلْأَمِينُ﴾ دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به، لا يزيد فيه ولا ينقص منه، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة، كما قال في صفته في الآية الأخرى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]، وفي قوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ دلالة على أمور[4]:

ومنها: أن قوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فيه بطلان قول من يجعله فاض على

---

(١) كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

(٢) وانظر أيضاً: مفردات الراغب ص٥٠٩.

(٣) وإضافة إلى ما استدل به الشيخ من الآية على أن روح القدس هو جبريل، فإن الطبري قال: «وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: «الروح» جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به» ٢/ ٣٢١ (المحققة)، وقال في سورة النحل: يقول: قل: جاء به جبرائيل من عند ربي بالحق، وقد بينت في غير هذا الموضع معنى روح القدس بما أغنى عن إعادته. ١٤/ ١٧٧ (الفكر).

وقد بيّن ابن جرير رحمه الله معنى روح القدس، فقال: «وإنما سمى الله تعالى جبريل «روحاً» وأضافه إلى «القدس» لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك «روحاً» وأضافه إلى القدس ـ والقدس هو الطهر ـ كما سمى عيسى ابن مريم «روحاً» لله، من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده...» ٢/ ٣٢٢ (المحققة).

(٤) ذكر أموراً كثيراً وسأقتصر على ما له صلة ظاهرة بالمبحث فقط.

نفس النبي ﷺ من العقل الفعال[١] أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة، والصابئة، وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله[٢].

ومنها: أن هذه الآية ـ أيضاً ـ تبطل قول من يقول إن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق: إما في جبريل، أو محمد، أو جسم آخر غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية[٣]، والأشعرية[٤]، الذين يقولون: إن القرآن العربي

---

(١) العقل الفعال: قال أرسطو: «إن العقل الفاعل: هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية على حين أن العقل المنفعل هو الذي تنطبع فيه هذه الصور» وقد اختلف الشراح في هذا العقل:
١ ـ فذهب بعضهم إلى أن هذا العقل هو الله لأن الله عقل محض مفارق للمادة عند أرسطو، وهذا التأويل هو الذي اختارته المدرسة الأوغسطينية عامة في العصور الوسطى.
٢ ـ ذهب متفلسفة الإسلام إلى أن هذا العقل هو أحد العقول أو الجواهر المفارقة التي تحرك الأجرام السماوية.
٣ ـ وذهب فريق ثالث إلى أنه قوة من قوى النفس.
٤ ـ وذهب يوسف كرم إلى أن عبارة العقل الفعال من كلام الشراح وابتداعهم بسبب الغموض في كلام أرسطو في هذا المجال.
وانظر: المعجم الفلسفي ص٨٦، وشروح على أرسطو ص٣١ وما بعدها، وأرسطو المعلم الأول ص٧٣ ـ ٧٤، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص٢١٣.

(٢) القول الذي قبله هو: قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة... وانظر: مجموع الفتاوى ١١٨/١٢ وما بعدها.

(٣) الكلابية: سبق تعريفها ص١٥٩.

(٤) الأشعرية: هم أتباع أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، حسب زعمهم وإلا فإنه رجع عنه إلى معتقد أهل السنة والجماعة، وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبع ويؤولون الباقي وهم يخالفون أهل السنة في كثير من الأصول كمصدر التلقي وإثبات الوجود والتوحيد والإيمان والقرآن والقدر والسببية وأفعال المخلوقات... وغيرها.
والمسألة التي ذكرها الشيخ هنا وهي مسألة إثبات كلام الله وهل القرآن كلام الله حقيقة كما هو مذهب السلف أو عبارة عن كلام الله كما هو مذهب الأشاعرة فنجد أن الإمام الأشعري ينص على إثبات كلام الله حقيقة وأنه غير مخلوق في رسالته إلى أهل الثغر ويعتبرها إجماعاً ص١٢٥ ـ ١٢٦، وفي الإبانة أيضاً ص٢٩ ـ ٣٠، وانظر: الملل والنحل ٩٤/١ ـ ١٠٣، ومجلة الجامعة الإسلامية عدد ٦٢من ص٦٥ إلى ص١٠٤ ففيها مقال نفيس وبحث قيم للدكتور سفر الحوالي.

ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام: الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمد ﷺ فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره. فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول[١]، فإن هذا القرآن العربي لا بدّ له من متكلم تكلم به أولاً قبل أن يصل إلينا. وهذا القول يوافق المعتزلة[٢] ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي، وكذلك التوراة العبرية[٣]... إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول، كما تبين بطلان غيره.

فإن قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ يقتضي نزول القرآن من ربه، والقرآن اسم للقرآن العربي، لفظه ومعناه، بدليل قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾[٤] وإنما يقرأ القرآن العربي، لا يقرأ معانيه المجردة.

---

(١) وانظر ما ذكره الأشعري في: مقالات الإسلاميين من اختلافهم في ذلك ٢/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٢) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزالي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وهي طائفة من المسلمين تنفي الصفات عن الله خوفاً من التشبيه، فهم مؤولة في الصفات وقدرية في الأفعال، والأصول عندهم خمسة وهي: ١ ـ التوحيد، ٢ ـ والعدل، ٣ ـ ومسائل الأحكام من الأمر والنهي والوعد والوعيد، ٤ ـ والشفاعة وهي إنفاذ الوعيد، ٥ ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الإيمان عندهم، ومن أشهر أئمتهم: واصل بن عطاء، وإبراهيم النظام، وأبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف، وبشر بن المعتمر، وهشام بن عمر الفوطي وغيرهم، وللاستزادة: انظر: الملل والنحل ١/ ٤٣ وما بعدها، والفرق بين الفرق ص٩٣ وما بعدها، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥ وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٨.

(٣) وذكر أنه يفارقه من وجهين وهما:
الأول: أن المعتزلة يقولون إن المخلوق كلام الله، وهؤلاء يقولون إنه ليس كلام الله، لكن يسمى كلام الله مجازاً...
الثاني: أن هؤلاء يقولون: لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته، والمعتزلة يقولون لا يقوم بذاته كلام». اهـ باختصار وتصرف.

(٤) جزء من الآية رقم ٩٨ سورة النحل وتمامها: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾.

وأيضاً فضمير المفعول في قوله: ﴿نَزَّلَهُ﴾ عائد على ما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فالذي أنزل الله هو الذي نزله روح القدس، فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي، لزم أن يكون نَزَّلَه من الله، فلا يكون شيء منه نَزَّلَه من عين من الأعيان المخلوقة، ولا نَزَّلَه من نفسه.

وأيضاً: فإنه قال عُقَيْب هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣] وهم كانوا يقولون: إنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر، لم يكونوا يقولون إنما يعلمه بشر معانيه فقط، بدليل قوله: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فإنه تعالى أبطل قول الكفار بأن لسان الذي ألحدوا إليه بأن أضافوا إليه هذا القرآن، فجعلوه هو الذي يعلم محمداً القرآن لسانٌ أعجمي، والقرآن لسان عربي مبين، وعبر عن هذا المعنى بلفظ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم إلى هذا الذي أضافوا إليه هذا القرآن، فإن لفظ «الإلحاد» يقتضي ميلاً عن شيء إلى شيء بباطل[١]، فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط، لم يكن هذا رداً لقولهم، فإن الإنسان قد يتعلم من الأعجمي شيئاً بلغة ذلك الأعجمي، ويعبر عنه هو بعبارته.

وقد اشتهر في التفسير أن بعض الكفار كانوا يقولون: هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمي؛ قيل: إنه كان مولى لابن الحضرمي، وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل من روح القدس بشراً، فالله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين: علم أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين، وأن محمداً ﷺ لم يؤلف[٢] نظم القرآن بل سمعه من روح القدس، وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم أنه سمعه منه ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله، أن القرآن الذي هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه.

---

(١) وانظر أيضاً ما قاله الراغب في: المفردات ص٤٦٨.

(٢) التأليف: من ألفت الشيء تأليفاً: إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب. اللسان ٩/ ١٠.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢][(١)]، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]. . . إلى أن قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود هنا: أن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ يتناول نزول القرآن العربي على كل قول، وقد أخبر أن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ إخبار مستشهد[(٢)] بهم لا مكذب لهم[(٣)]، وقال: أنهم يعلمون[(٤)] ذلك، ولم يقل: إنهم يظنونه[(٥)] أو يقولونه[(٦)]، والعلم لا يكون إلا حقاً مطابقاً للمعلوم، بخلاف القول والظن، الذي ينقسم إلى حق وباطل، فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل ولا من محمد ﷺ ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون

---

(١) والآية بتمامها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

(٢) الاستشهاد: ذكر الشهود، والشهادة: هي بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره، فهي أعم من الإقرار. قال المفسرون: شهد بمعنى أقر واحتج في حق أولى العلم من الثقلين. انظر: الكليات ص٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٣) كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فأخبر أنهم عرفوه ولم ينكروه وأخبر عن سبب كفرهم إنه ليس لعدم معرفتهم إياه بقوله بعدها: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(٤) العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. التعريفات ص١٥٥.

(٥) الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك.
وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان. التعريفات ص١٤٤.

(٦) القول: هو اللفظ المركب في القضية الملفوظة، أو المفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة. التعريفات ص١٨٠.

بذلك خيراً منه من هذا الوجه». اهـ[(١)].

«وأيضاً فقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، وقوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ١، ٢]، وقوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١، ٢] وأمثال ذلك يدل على أنه منزل من الله لا من غيره، وكذلك قوله: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧] فإنه يدل على إثبات أن ما أنزل إليه من ربه، وأنه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك». اهـ[(٢)(٣)].

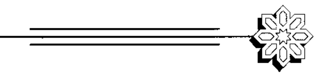


---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ١١٧ ـ ١٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٢٩.

(٣) كلام شيخ الإسلام قريب من هذا في مواضع متعددة من كتبه ورسائله.
وانظر مثلاً: مجموع الفتاوى ١٢/ ١٣٥ ـ ١٣٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٦٣، و٦/ ٥٣٠ ـ ٥٤٤، ومجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٣١٩ ـ ٣٩٦ ـ ٤٢٦ ـ ٤٤١ ـ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٩٠ وغيرها من المواضع.


المبحث السابع


الرد على من زعم أن لفظه من الرسول ومعناه من الله

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ فهذا ذكره في موضعين: فقال في الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٢] فالرسول هنا محمد ﷺ، وقال في التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٣] فالرسول هنا جبريل، فأضافه إلى الرسول من البشر تارة، وإلى الرسول من الملائكة تارة، باسم الرسول، ولم يقل إنه لقول ملك، ولا نبي، لأن لفظ الرسول يبين أنه مبلِّغ عن غيره[1] لا منشيء[2] له من عنده ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، فكان قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ بمنزلة قوله: لتبليغ رسول، أو مبلغ من رسول كريم، أو جاء به رسول كريم، أو مسموع عن رسول كريم، وليس معناه أنه أنشأه أو أحدثه، أو أنشأ شيئاً منه، أو أحدثه رسول كريم، إذ لو كان منشئاً لم يكن رسولاً فيما أنشأه، وإنما يكون رسولاً فيما بلغه وأداه، ومعلوم أن الضمير عائد إلى القرآن مطلقاً.

وأيضاً فلو كان أحد الرسولين أنشأ حروفه ونظمه امتنع أن يكون الآخر

---

(١) الرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً؛ أي: متابعة وسمي رسولاً لأنه ذو رسالة، فالرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة، وانظر: اللسان ١١/ ٢٨١ ـ ٢٨٥.
وقال ابن فارس: الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد. معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٩٢.

(٢) فلا ينشئ الأحاديث؛ أي: يضعها ويبتدئها، وأنشأه: خلقه. اللسان ١/ ١٧٠ ـ ١٧١.

هو المنشئ المؤلف لها، فبطل أن تكون إضافته إلى الرسول لأجل إحداث لفظه ونظمه، ولو جاز أن تكون الإضافة هنا لأجل إحداث الرسول له، أو شيء منه، لجاز أن نقول إنه قول البشر، وهذا قول الوحيد الذي أصلاه الله سقر(١).

فإن قال قائل: فالوحيد جعل الجميع قول البشر، ونحن نقول: إن الكلام العربي قول البشر، وأما معناه فهو كلام الله.

فيقال لهم: هذا نصف قول الوحيد، ثم هذا باطل من وجوه أخرى:

وهو أن معاني هذا النظم معانٍ متعددة متنوعة، وأنتم تجعلون ذلك المعنى معنىً واحداً: هو الأمر(٢)، والنهي(٣)، والخبر(٤)، والاستخبار(٥)، وتجعلون ذلك المعنى إذا عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإذا عبر عنه بالعبرانية(٦) كان توراة، وإذا عبر عنه بالسريانية(٧) كان إنجيلاً، وهذا مما يعلم بطلانه

---

(١) كما قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ٢٦]، فأخبر سبحانه عن حاله ومقاله ومآله، وقد سبق في الرسالة ص١٨١ ـ ٢٩٧.

(٢) الأمر: طلب الفعل وهو ضد النهي. انظر: اللسان ٤/ ٢٦ ـ ٣٤، والقاموس ٤٣٩، والمفردات للراغب ٢٠.

(٣) النهي: طلب الكفّ وهو ضد الأمر. انظر: اللسان ١٥/ ٣٤٣، والقاموس ١٧٢٨، والمفردات ٥٢٨.

(٤) الخبر: هو النبأ مما جاءك من نبأ عما تستخبر عنه. انظر: اللسان ٤/ ٢٢٦، والقاموس ٤٨٨، والمفردات ص١٤٢.

(٥) الاستخبار: طلب الخبر. انظر: اللسان ٤/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، والقاموس ص٤٨٩.

(٦) العبرانية بالكسر والعبري: لغة اليهود. انظر: اللسان ٤/ ٥٣٣.

(٧) السريانية: لغة من اللغات الآرامية السامية كالعبرانية والعربية، وهي لغة النصارى قديماً وكان بعض اليهود في عهد الرسول ﷺ يتكلمون السريانية. وانظر: الموسوعة العربية ٢/ ١٥٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩.

بالضرورة من العقل والدين، فإن التوراة إذا عرَّبناها[(١)] لم يكن معناها معنى القرآن، والقرآن إذا ترجمناه[(٢)] بالعبرانية لم يكن معناها معنى التوراة.

وأيضاً فإن معنى آية الكرسي[(٣)] ليس هو معنى آية الدين[(٤)]، وإنما يشتركان في مسمى الكلام، ومسمى كلام الله، كما تشترك الأعيان في مسمى النوع، فهذا الكلام، وهذا الكلام، وهذا الكلام، كله يشترك في أنه كلام الله، اشتراك الأشخاص في أنواعها، كما أن الإنسان، وهذا الإنسان، وهذا الإنسان، يشتركون في مسمى الإنسان، وليس في الخارج بعينه هو هذا وهذا وهذا، وكذلك ليس في الخارج كلام واحد هو معنى التوراة والإنجيل والقرآن، وهو معنى آية الدين وآية الكرسي، ومن خالف هذا كان في مخالفته لصريح المعقول من جنس من قال: إن أصوات العباد وأفعالهم قديمة أزلية، فاضرب بكلام البدعتين رأس قائلهما، والزم الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[(٥)].

وأيضاً فيقال: ما تقول في كلام كل متكلم إذا نقله عنه غيره ـ كما قد ينقل كلام النبي ﷺ والصحابة والعلماء والشعراء وغيرهم، ويسمع من الرواة أو المبلغين ـ إن ذلك المسموع من المُبَلِّغ بصوت المبلغ هو كلام المبلغ أو

---

(١) أي: ترجمناها إلى اللغة العربية فنقل الكلام من؛ أي: من اللغات، إلى اللغة العربية يسمى تعريباً.

(٢) الترجمة: إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها. هذا الأصل أما في ترجمة القرآن فلا تقع إلا على ترجمة المعاني وذلك لعدم توافق اللغات في الكلمات والأساليب كلها. وانظر: الكليات ص٣١٣.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ . . .﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(٥) كما قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] وذكر المنعم عليهم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

المبلغ عنه؟ فإن قال كلام المبلغ لزم أن يكون القرآن كلاماً لكل من سمع منه، فيكون القرآن المسموع كلام ألف ألف قارئ لا كلام الله تعالى.

وأن يكون قوله: «إنما الأعمال بالنيات»[١] ونظائره كلام كل من رواه لا كلام الرسول وحينئذ فلا فضيلة للقرآن في ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ فإنه على قول هؤلاء قول كل منافق[٢] قرأه، والقرآن يقرؤه المؤمن والمنافق كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مُرّ ولا ريح لها»[٣] وعلى هذا التقدير فلا يكون القرآن قول بشر واحد، بل قول ألف ألف بشر وأكثر من ذلك، وفساد هذا في العقل والدين واضح.

وإن قال: كلام المبلغ عنه علم أن الرسول المبلغ للقرآن، ليس القرآن كلامه، ولكنه كلام الله، ولكن لما كان الرسول الملك قد يقال: إنه شيطان، بيّن الله أنه تبليغ ملك كريم، لا تبليغ شيطان رجيم، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٥]، وبيّن في هذه الآية أن الرسول البشري الذي صحبناه وسمعناه منه ليس بمجنون، وماهو على الغيب بمتهم، وذكره باسم «الصاحب» لما في ذلك من النعمة به علينا إذ كنا لا نطيق أن نتلقى إلا عمن صحبناه وكان

(١) الحديث متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد عده بعض العلماء ربع الإسلام. وانظر: صحيح البخاري (الفتح) ١/ ٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٥١٥ حديث ١٩٠٧ كتاب الإمارة.

(٢) النفاق: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر والعياذ بالله بالقلب. التعريفات ص٢٤٥.

(٣) الحديث في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
وانظر: صحيح البخاري (الفتح) ٩/ ٦٥ كتاب فضائل القرآن باب فضل القرآن، وصحيح مسلم ١/ ٥٤٩ رقم ٧٩٧ كتاب صلاة المسافرين.

من جنسنا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام: ٩]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١، ٢] وبيّن أن الرسول الذي من أنفسنا، والرسول الملكي أنهما مبلغان، فكان في هذا تحقيق أنه كلام الله.

فلما كان[1] الرسول البشري يقال: إنه مجنون أو مفترٍ نزهه عن هذا وهذا، وكذلك في السورة الأخرى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣] وهذا مما يبين أنه أضافه إليه لأنه بلغه وأداه لا لأنه أحدثه وأنشأه فإنه قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣] فجمع بين قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ وبين قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ والضميران عائدان إلى واحد، فلو كان الرسول أحدثه وأنشأه لم يكن تنزيلاً من رب العالمين، بل كان تنزيلاً من الرسول.

ومن جعل الضمير في هذا عائداً إلى غير ما يعود إليه الضمير الآخر مع أنه ليس في الكلام ما يقتضي اختلاف الضميرين، ومن قال: إن هذا عبارة عن كلام الله، فقل له: هذا الذي تقرؤه: أهو عبارة عن العبارة التي أحدثها الرسول الملك أو البشر على زعمك؟ أم هو نفس تلك العبارة؟ فإن جعلت هذا عبارة عن تلك العبارة جاز أن تكون عبارة جبريل أو الرسول عبارة عن عبارة الله، وحينئذ فيبقى النزاع لفظياً، فإنه متى قال إن محمداً ﷺ سمعه من جبريل جميعه، وجبريل سمعه من الله جميعه، والمسلمون سمعوه من الرسول ﷺ جميعه، فقد قال الحق، وبعد هذا فقوله عبارة لأجل التفريق بين التبليغ والمبلغ عنه كما سنبينه.

---

(١) كأن العبارة فيها تصحيف ولعلها «ولما كان» عطفاً على الجملة السابقة «ولكن لما كان الرسول الملك». والله أعلم.

وإن قلت: ليس هذا عبارة عن تلك العبارة، بل هو نفس تلك العبارة، فقد جعلت ما يسمع من المبلغ هو بعينه ما يسمع من المبلغ عنه، إذ جعلت هذه العبارة هي بعينها عبارة جبريل، فحينئذ هذا يبطل أصل قولك». اهـ[(١)].



(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٦٥ ـ ٢٧٢.
ويوجد سؤال وجواب عنه ج١٢ من مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٩.
وفي مواضع أخرى أكثرها في ج١٢ مثل: ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٥٠ ـ ٥٣، وغيرها.
وكذا في الفتاوى الكبرى ١/ ٢٦٧ ـ ٢٨٩ في الرد على من زعم أن القرآن عبارة عن كلام أحد، والرد على المنطقيين ص٥٤١.



الباب الرابع

المقارنة بين إعجاز القرآن عند ابن تيمية وإعجاز القرآن عند الباقلاني

وفيه تميهد وفصلان:

التمهيد: في ذكر طرف من ترجمة الإمام الباقلاني.

الفصل الأول: المقارنة بينهما في بعض أوجه إعجاز القرآن.

الفصل الثاني: المقارنة بينهما في الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن.



تمهيد

في ذكر طرف من

ترجمة الإمام الباقلاني رحمه الله

ويشتمل على ما يلي:

١ ـ اسمه، مولده.

٢ ـ شيوخه.

٣ ـ تلاميذه.

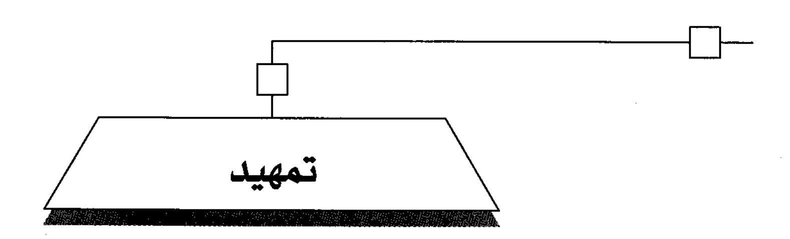
٤ ـ ثقافته.

٥ ـ صفاته.

٦ ـ موته.

٧ ـ مصنفاته.

٨ ـ مصادر ترجمته.



ترجمة موجزة عن الإمام الباقلاني:

١ ـ اسمه:

هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني

مولده: ولد في البصرة، وسكن بغداد، وبها تعلم العلم، ثم رجع إلى البصرة بعد بلوغه الأستاذية حتى استدعاه عضد الدولة إلى شيراز[١].

قال السيد صقر: «ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته».

وكان أبوه يبيع الباقلاء وإليها نسب.

٢ ـ ومن شيوخه:

١ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي[٢]: وهو من طبقة الأشعري، وأخذ عنه الباقلاني العقيدة.

٢ ـ أبو الحسن الباهلي[٣]: أكثر عنه الباقلاني وهو من أشهر تلاميذ أبي الحسن الأشعري، توفي ٣٧٠ تقريباً ولم أعرف اسمه بعد البحث.

٣ ـ القطيعي: أحمد بن جعفر بن حمدان[٤] ينسب إلى منطقة سكنه سمع منه الباقلاني علم الحديث.

٤ ـ الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي[٥] الحافظ الكبير، أخذ عنه الباقلاني علم الحديث ومصطلحه.

---

(١) بلد كبير مشهور من بلاد فارس وسط آسيا. وانظر: معجم البلدان ٣/ ٣٨٠.

(٢) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٥.

(٣) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٤. والوافي بالوفيات ١/ ١٧٢٥، وإيضاح الدليل لبدر الدين بن جماعة ص٢٣ وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص١١٩ ـ ١٢٥ ـ ١٢٧ ـ ١٧٨.

(٤) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١٠.

(٥) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩.

٥ ـ العسكري: الحسن بن عبد الله بن سعيد[1] أخذ عنه الباقلاني مسائل في النقد والبلاغة وعلم البيان.

٣ ـ ومن تلاميذه:

١ ـ أبو ذر الهروي[2]، واسمه: عبد بن أحمد بن محمد الخرساني الهروي.

٢ ـ عبد الله بن نصر الحراني[3].

٣ ـ أبو عمران قاضي المغرب[4]، واسمه موسى بن عيسى الفاسي.

٤ ـ علي بن محمد الحربي[5].

٥ ـ أبو جعفر السمناني[6]، واسمه محمد بن أحمد السمناني.

٤ ـ ثقافته:

بعد أن وصل الإمام الباقلاني إلى مرتبة الأستاذية في عصره بدأ التدريس والتصنيف فكان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها: كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه»[7].

وقال علي الحربي: «جميع ما كان يذكر أبو بكر ابن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحد خلافاً إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين سوى ابن الباقلاني»[8].

وضم إلى التدريس والتصنيف رحلات ومناظرات علمية فمنها أن أرسله أمير المؤمنين إلى طاغية الروم وجرت له هناك أمور ففطن لها وأفحم الطاغية.

---

(١) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤١٣.
(٢) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤.
(٣) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٨٢.
(٤) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٤٥.
(٥) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٩.
(٦) وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٥١.
(٧) تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٠.
(٨) المصدر السابق.

٥ ـ صفاته:

وكان حافظاً قوي الاستذكار، فكان يجمع علمه وعلم الناس في صدره، وكان من أفصح الناس ذا تقى وورع ودين.

وكان ثقة إماماً بارعاً، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري وقد يخالفه في مضائق، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه، وتفوق فيه حتى سماه بعضهم منظّر المذهب الأشعري.

٦ ـ موته:

مات غفر الله له ورحمه في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ت٤٠٣هـ.

٧ ـ مصنفاته:

وله من المصنفات الشيء الكثير ومنها:

التمهيد، الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة، شرح اللمع، الأصول الكبير في الفقه، الانتصار لصحة نقل القرآن، هداية المسترشدين، وأعظمها انتشاراً وشهرة كتابه إعجاز القرآن، وفيه شبه بكتابه الآخر هداية المسترشدين.

ولقد حاول الأستاذ السيد أحمد صقر حصر مؤلفاته وبيان موضوعاها في مقدمة تحقيقه لكتاب إعجاز القرآن، وكذلك د. عبد الرؤوف مخلوف في مقدمة دراسته لكتاب إعجاز القرآن.

٨ ـ مصادر ترجمته:

تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣، الأنساب ٢/ ٥١ ـ ٥٢، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠ ـ ١٩٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٥١، البداية والنهاية ١١/ ٣٧٣.

مقدمة تحقيق السيد أحمد صقر لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني.

مقدمة د. عبد الرؤوف مخلوف لدراسة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني.

وغيرها مما لم أذكره كثير وإنما قصدت الإشارة فقط.



الفصل الأول

المقارنة بينهما في بعض أوجه إعجاز القرآن

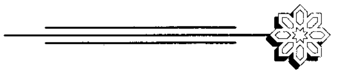
وفيه مباحث:

المبحث الأول: التحدي في القرآن.

المبحث الثاني: القدر المعجز من القرآن.

المبحث الثالث: هل في القرآن مجاز؟

المبحث الرابع: اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن.

المبحث الأول 

التحدي في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
أهمية التحدي

التحدي في الاصطلاح[١]: هو إظهار القرآن عجز العرب على أن يأتوا بمثله[٢].

والإعجاز: هو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به[٣].

فلا بد من أن يعارضوه بما تحداهم به بأن يأتوا بمثله أو بحديث مثله أو أن يثبت عجزهم ويذعنوا له إقراراً بعجزهم وإقراراً بأنه من عند الله ﷻ. فأول إعجاز للقرآن هو التحدي.

وقد تكلم الإمام الباقلاني عن ذلك فقال: «وليس يكون معجزاً إلا بأن يتحداهم إلى أن يأتوا بمثله، فإن تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزاً»[٤]، فهو يرى أن الإعجاز لا يحصل إلا بعد التحدي وطلب المعارضة فعند تعذرها يبين الإعجاز ويتضح وتقوم الحجة.

ثم يوضح سبب جعله التحدي أول الإعجاز بقوله: «وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزاً.

---

(١) سبق تعريفه في اللغة. انظر: الباب الأول ص١٤٦.

(٢) انظر: دراسة مخلوف لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني ص٢٠.

(٣) مناهل العرفان ٢/٢٢٧.

(٤) إعجاز القرآن ص٢٥١.

فإنما يعرف أولاً إعجازه بطريق[1]، لأن الكلام لا يتميز من غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه أن يستدل به»[2].

أما شيخ الإسلام رحمه الله فيطرح الموضوع من جهة أخرى وهي أن التحدي وقع لأن الكفار كانوا من أحرص الناس على إبطال رسالة النبي ﷺ لما تخالف من أهوائهم وموروثاتهم الجاهلية ويبين رحمه الله أن التحدي هو الوجه الأول الظاهر لكل أحد سواء كان عربياً أو غير عربي على إعجاز القرآن وأن ذلك التحدي أعظم من الآيات التي تكرر فإنه ـ أي: التحدي باقٍ بقاء القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

فنجده رحمه الله يقول: «وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله مجتهدين بكل طريق يمكن . . فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد ـ إذا كانت القدرة حاصلة ـ وجب وجود المقدور[3]، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض.

فهذا القدر يوجب علماً بيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيله وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى فإن هذا لم يأتِ أحد بنظيره»[4].

المطلب الثاني

المتحدى به

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ اختلف أهل العلم في مرجع الضمير في [مثله] فقال بعضهم: إن المراد من مثل

---

(١) هكذا في المطبوع ولعلها «بطرق». (٢) إعجاز القرآن ص٢٥١.
(٣) وكذلك قال الباقلاني أيضاً. وانظر: إعجاز القرآن ص٢٢.
(٤) وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٣ ـ ٧٤ بتصرف.

محمد ﷺ من البشر، لأن محمداً ﷺ بشر مثلكم فيكون المتحدى به على قولهم هو مجرد دعوى النبوة لأنها هي الفارق بين النبي ﷺ وسائر البشر كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠، وفصلت: ٦].

وقال آخرون منهم مجاهد وقتادة: إن المراد من مثل القرآن حقاً وصدقاً، وهذا الرأي هو الذي رجحه الإمام الطبري[1] رحمه الله واستدل له، وكذلك الإمام الباقلاني وشيخ الإسلام ابن تيمية، فالثلاثة متفقون على أن ذلك هو المراد وليس مجرد دعوى النبوة.

بل إن الإمام الباقلاني يرى: «أن مما يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن» أن ذلك هو آية النبي ﷺ ودليل صدقه «وإن كان قد أيد بمعجزات كثيرة إلا أن تلك قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة، فأما معجزة القرآن فهي معجزة عامة للثقلين باقية بقاء العصرين ولزوم الحجة بها من أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد»[2].

أما شيخ الإسلام رحمه الله فقال عندما تكلم عن التحدي: «وقد يريد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة، ولكن أصله الأول[3] قال تعالى في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]. . . أي: في أنه تقوله، فإنه إذا كان محمد ﷺ قادراً على أن يتقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر، وكان هذا ممكناً للناس، الذين هم من جنسه فأمكن للناس أن يأتوا بمثله» فجعل رحمه الله المتحدى به هو القرآن، ثم تكلم عن التدرج في التحدي وبين رحمه الله أن الله تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن، ثم بعشر سور مثله مفتريات، ثم تحداهم بسورة واحدة منه كل ذلك مقروناً بمن استطاعوا[4] فلم يتحداهم منفردين وإنما مجتمعين حاشدين، ثم قال رحمه الله: «وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ

(١) وانظر: جامع البيان ١/ ٣٧٣ وما بعدها.
(٢) انظر: إعجاز القرآن ص٨ وما بعدها بتصرف.
(٣) وهو القول الأول الذي ذكره من قبل من أن المقصود بالتحدي: طلب المعارضة.
(٤) وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧١ ـ ٧٢ بتصرف

أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦]، أي: هو يعلم أنه منزل، لا يعلم أنه مفترى، كما قال ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]؛ أي: ما كان لأن يفترى، يقول: ما كان ليفعل هذا، فلم ينفِ مجرد فعله، بل نفى احتمال فعله وأخبر بأن مثل هذا لا يقع بل يمتنع وقوعه . . . فإن الذي يفتريه من دون الله مخلوق، والمخلوق لا يقدر على ذلك»(١).

المطلب الثالث

نتيجة التحدي

يرى الإمام الباقلاني أن قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣، ١٤] أن الله جعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه منه، ودليلاً على وحدانيته ﷻ . . .

فإذا ثبت إعجازه وأن الخلق لا يقدرون عليه ثبت أن الذي أتى به غيرهم وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق، وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً.

وقد ثبت بما بيناه أنه تحداهم إليه ولم يأتوا بمثله، وفي هذا أمران:

أحدهما: التحدي إليه.

والآخر: أنهم لم يأتوا له بمثل.

والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين»(٢).

---

(١) وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٢ بتصرف.

(٢) وانظر: إعجاز القرآن ص١٧ ـ ١٨ بتصرف.

أما شيخ الإسلام فقد سبق نقل كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧] وأن الآية تفيد نفي احتمال الفعل وهذا أبلغ ما يكون في النفي، وعلة ذلك أن الذي يفتريه من دون الله مخلوق لا يقدر على ذلك.

ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤] ذكر الله هنا أمرين:

أحدهما: قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ يقول: إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق فخافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذاب الذي وعد به المكذبين، وهذا دعاء إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة بعد أن دعاهم بالحكمة وهو جدالهم بالتي هي أحسن.

الثاني: قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ ولن لنفي المستقبل فثبت بالخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله كما أخبر قبل ذلك وأمره أن يقول في سورة «سبحان»[1] وهي مكية[2]: . . ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] فعم بأمره له أن يخبر بالخبر جميع الخلق معجزاً لهم قاطعاً بأنهم إذا اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثل القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك[3].



(١) وهي سورة الإسراء وتسمى سبحان لأنها ابتدئت بها.
(٢) وانظر: الإتقان للسيوطي ١/ ٢٤ ـ ٢٩ فلم يذكر خلافاً في أنها مكية.
(٣) وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٣ بتصرف.


المبحث الثاني


القدر المعجز من القرآن

وقع التحدي بالقرآن كله وبعشر سور مثله وبسورة مثله وبحديث مثله وهذا كله جاء في القرآن الكريم.

وقد وقع الخلاف بين العلماء في أقل قدر يكون به الإعجاز ويمكن ترتيب الأقوال في ذلك على النحو التالي:

١ ـ يقع الإعجاز بجميع القرآن، وهذا مروي عن المعتزلة[١].

٢ ـ يقع الإعجاز بالسورة التي ليست قصيرة، وهذا يدل عليه كلام ابن عقيل الحنبلي[٢].

٣ ـ يقع الإعجاز بكل سورة برأسها، وهذا يروى عن المعتزلة[٣].

٤ ـ يقع الإعجاز بكل سورة من القرآن طويلة كانت أو قصيرة، أو ما يعادلها من القرآن الكريم[٤].

٥ ـ يقع الإعجاز بكل ما يصدق عليه أنه قرآن[٥] لقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤].

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ١٧. وانظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٢٦٤.

(٢) وذلك كما سبق في ص١٦٧ وانظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨٢.

(٣) كما ذكره الباقلاني. وانظر: إعجاز القرآن ص٢٥٤ ـ ٢٥٨.

(٤) وهذا ذكره ابن كثير وذكر الاتفاق عليه. وانظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢.

(٥) وانظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨٢، والإتقان ٤/ ١٨، ومناهل العرفان ٢/ ٢٣٠، ومباحث في علوم القرآن ص٢٦٤.

هذه هي خلاصة الأقوال في القدر المعجز من القرآن وهي كما يظهر لي لا يجمعها كتاب واحد، والله أعلم بالصواب.

ونرى أن الإمام الباقلاني رحمه الله لما تكلم عن القدر المعجز من القرآن ذكر مذهب أصحابه (الأشاعرة) وأنهم نصوا على أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ماكان بقدرها.

وذكر اختلاف الحكاية في مذهب المعتزلة في ذلك ثم شرع يؤيد مذهبه واختياره ويدفع ما يعارضه بأن قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤] أن ذلك راجعاً إلى القبيل دون التفصيل، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] وذلك لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من أوله إلى آخره[(١)].

ولكننا بالنظر إلى كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى نرى أنه لم يصرح بالقدر المعجز من القرآن لكنه أثناء رده على ابن عقيل في قضية المجاز في اللغة والقرآن، لما ذكر قول ابن عقيل: «إن السورة القصيرة لا إعجاز فيها»، قال شيخ الإسلام: «قلت: ما ذكره من أن السورة القصيرة لا إعجاز فيها مما ينازعه أكثر العلماء ويقولون: بل السورة معجزة[(٢)]، بل ونازعه بعض الأصحاب في الآية والآيتين»[(٣)]. فذكر عن بعض أصحاب الإمام أحمد أن الآية والآيتين معجزة، وقالوا: بأن الكل محترم. فاعتبروا كل ما يطلق عليه قرآن معجزة.

ولكننا نجده أيضاً في موضع آخر كأنه يصرح بأن ذلك اختياره ومذهبه وذلك حين يقول: «إن القرآن له شأن اختص به . . . فلا يقدر مخلوق أن يأتي بسورة، ولا ببعض سورة مثله»[(٤)].

---

(١) وانظر: إعجاز القرآن ص٢٥٤ باختصار.

(٢) بل إن الإمام ابن كثير رحمه الله نص أنه لا نزاع في ذلك بين الناس سلفاً وخلفاً. تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢، وهذا القول هو قول عامة الناس وذلك لأن كل ما يخالفه يخالف نص الآية: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

(٣) وانظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٤) وانظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٦.

يقول الدكتور ناصر الحميد: «ولم أعلم أن هناك رأياً قال به من أراد معارضة القرآن أو من عارض القرآن حقيقة فأتى بكلام ـ ولو كان قليلاً ـ استطاع به أن يعارض القرآن فكان الرد عليه بأن ذلك القدر غير كافٍ في الإعجاز.

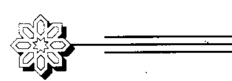
وأقل ما قيل في القدر المعجز: هو أن الإعجاز حاصل بكل ما يصدق عليه إنه قرآن، وهذا هو أبلغ الآراء التي قيلت حول هذا وأعمها، ولم يأتِ ما يعارضه من الناحية العلمية وعلى هذا فلا مانع من الأخذ به»[١].

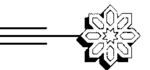
وهذا الذي ذكره الدكتور ناصر جزاه الله خيراً رأيته فيما بعد في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم ونسبه إلى سائر أهل الإسلام بعد أن ذكر مذهب الأشاعرة في القدر المعجز وهو أنه سورة أو ما يعادلها[٢]. والله أعلم.



(١) ابن تيمية ومنهجه في التفسير، د. ناصر بن محمد الحميد دكتوراه جامعة الإمام ١/ ٢٢٧.

(٢) وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤.





المبحث الثالث

هل في القرآن مجاز

يرى الإمام الباقلاني أن الوجوه التي ينقسم عليها خطاب العرب من البسط والاقتصار، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم[1]، فهو يقر بوجود المجاز[2] في القرآن بل يعتبره وجهاً من أوجه الخطاب عند العرب.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فأفرد هذه المسألة في بحث مستقل تسمى رسالة: «الحقيقة والمجاز»[3]، وتكلم عنها في مواضع متعددة أخرى[4]، والشيخ يرى عدم وقوع المجاز في القرآن الكريم واستند في ذلك إلى تاريخ هذه المسألة وجذورها ومن قال بها، وإليك ملخص تلك الرسالة عبر النقاط التالية:

١ ـ أول من عرف أنه جرد الكلام في أصول الفقه هو الإمام الشافعي[5]

---

(١) وانظر: إعجاز القرآن ص٤٢.

(٢) المجاز: ما جاوز وتعدى عن محله الموضوع له إلى غيره لمناسبة بينهما من حيث الصورة أو المعنى المشهور أو القرب والمجاورة. التعريفات ص٢٠٣.

(٣) كما نص على ذلك تلميذه شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في رسالته أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٧، وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٠٠ إلى ص٤٩٧.

(٤) كما في مجموع الفتاوى ٦/ ٢١ ـ ٢٢، ٧/ ٨٧ ـ ١١٩، و١٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ وغيرها.

(٥) وهي المشهورة بالرسالة وطبعت بتحقيق أحمد شاكر، وهي أول كتاب ألف في أصول الفقه، كما نقل نصوص العلماء الشيخ أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه للرسالة ص١٣.
أصول الفقه: العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى الفقه. التعريفات ص٢٨، وقيل غير ذلك.
=

ولم يقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز بل ولا يعرف في كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه في معرفة الأدلة الشرعية أنه سمى شيئاً منه مجازاً لا في الرسالة ولا في غيرها من كتبه[١].

٢ ـ إنما فعل ذلك طائفة من المتأخرين كالرازي[٢]، والآمدي[٣]، وابن الحاجب[٤]، ولم يأخذوا ما ذكروه عن أصحاب الشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، وأحمد، وغيرهم مما هو موافق للأئمة.

٣ ـ أن ذلك لم يؤخذ من الكلام العربي توقيفاً كما ظنه طائفة من المتكلمين في أصول الفقه.

٤ ـ أن أكثر من قسم الكلام إلى حقيقة ومجاز إنما هم أهل الكلام والرأي: كالمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة، وليس في هؤلاء إمام من أئمة المسلمين الذين اشتغلوا بتلقي الأحكام من أدلة الشرع، ولم يذكره أحد منهم في الكتب التي يحكي فيها أقوال المجتهدين: ممن صنف كتاباً وذكر فيه اختلاف المشتغلين بتلقي الأحكام الشرعية.

وهم أكمل الناس معرفة بأصول الفقه، وأحق الناس بالمعنى الممدوح من اسم الأصولي، فليس من هؤلاء من قسّم الكلام إلى حقيقة ومجاز.

= الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس الشافعي عالم عصره قرشي النسب نشأ يتيماً بمكة برع في الفنون وطاف البلاد وصنف التصانيف إمام في كل فنٍّ لا يبارى، توفي ٢٠٤هـ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥ ـ ٩٩.

(١) وانظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٠٣.

(٢) الرازي: سبقت ترجمته ص٣٤ و٢٤٩.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، المتوفى سنة ٦٣١هـ من أئمة الأشاعرة، له مصنفات كثيرة في مذهبه مثل: «أبكار الأفكار»، «دقائق الحقائق»، وغيرها. وانظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٢ ـ ١٤٤.

(٤) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي المالكي، صاحب تصانيف، حفظ القرآن وأخذ القراءات عن الشاطبي وسمع منه التيسير، وكان من أذكياء العالم، رأساً في العربية وعلم النظر، توفي سنة ٦٤٦هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦٤، وطبقات القراء للذهبي ٢/ ٥١٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٤.

٥ ـ أن أئمة النحاة أهل اللغة: كالخليل[١]، وسيبويه[٢]، والكسائي[٣] والفراء[٤]، وأمثالهم، وأبي عمرو بن العلاء[٥]، وأبي زيد الأنصاري[٦]، والأصمعي[٧] وأبي عمرو الشيباني[٨]، وغيرهم لم يقسموا تقسيم هؤلاء.

---

(١) سبقت ترجمته ص١١٧. (٢) سبقت ترجمته ص٢٦٠.

(٣) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، الإمام شيخ القراءة والعربية، حدث عن جماعة كالصادق والأعمش وسليمان بن أرقم وغيرهم، وجالس الخليل وسافر لطلب العربية، وعنه أبو عمرو الدوري، وأبو الحارث الليث وقتيبة بن مهران وغيرهم، له عدة تصانيف منها: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، والنوادر الكبير وغيرها، توفي ١٨٩هـ على الراجح. وانظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣١٣، شذرات الذهب ١/ ٣٢١، معرفة القراء ١/ ١٠٠.

(٤) تقدمت ترجمته ص١٠١.

(٥) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي شيخ القراء والعربية، حدث عن أنس، ويحيى بن يعمر، ومجاهد، وأبي صالح السمان، والعطاردي، وابن شهاب وغيرهم، اشتهر بعلم الحروف والنحو والفصاحة والصدق وسعة العلم، وأخذ عنه يحيى اليزيدي والعباس بن الفضل ويونس بن حبيب وأبو زيد الأنصاري، وشعبة وحماد بن زيد والأصمعي وأبو عبيدة وآخرون، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب، وهو ثقة من أهل السنة، توفي سنة ١٥٧هـ. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٧، وتهذيب التهذيب ١٢/ ١٧٨، طبقات القراء ١/ ٢٨٨.

(٦) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشر بن صاحب رسول الله ﷺ أبي زيد الأنصاري، الإمام العلامة حجة العرب صاحب التصانيف، حدث عن: سليمان التيمي، وعوف الأعرابي، وابن عون، ومحمد بن عمرو بن علقمة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم كثير، وحدث عنه: خلف بن هشام وأبو عبيد، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عثمان المازني وعمر بن شبة، وأبو حاتم الرازي، وخلق كثير، ثقة صدوق توفي ٢١٥هـ. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٤، وتاريخ بغداد ٩/ ٧٧، وطبقات القراء ١/ ٣٠٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣.

(٧) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس بن أعيا الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب، لسان العرب، حدث عن ابن عون وسليمان التيمي، وأبي عمرو بن العلاء وشبيب بن شيبة وغيرهم كثير، وعنه أبو عبيد ويحيى بن معين وإسحاق الموصلي وسلمة بن عاصم وأبو حاتم السجستاني والرازي، وخلق كثير صدوق، توفي ٢١٥هـ. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٠، ١٧٥، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠ ـ ٤٢٠، وطبقات القراء ١/ ٤٧٠، وتهذيب التهذيب ٦/ ٤١٥.

(٨) هو سعد بن إياس الكوفي من بني شيبان بن ثعلبة، أدرك الجاهلية، حدث عن=

٦ ـ القائلين بالمجاز الذين احتجوا لذلك بأنه: «إما أن يكون اللفظ على الوضع الأول أولاً، فإما حقيقة أو مجاز، إذ يمتنع أن يكون اللفظ مشتركاً ولو كان مشتركاً فلا بد من قرينة وما كان بلا قرينة فهو الحقيقة، وأن الفائدة في استعمال اللفظ المجازي خفته على اللسان، أو لمساعدته على وزن الكلام، أو للمطابقة والمجانسة والسجع وقصد التعظيم.

والجواب عنه من وجوه:

أ ـ أن يقال: ما ذكروه من التقسيم إنما يصح إذا ثبت انقسام الكلام إلى الحقيقة والمجاز، وإلا فمن ينازعك يقول: لم تذكر حداً فاصلاً معقولاً بين الحقيقة والمجاز يتميز به أحدهما عن الآخر، وليس في نفس الأمر بينهما فرق ثابت، ولم يثبت عندي انقسام الكلام إلى حقيقة ومجاز إما لمانع شرعي أو عقلي، وتقسيمك لا يلزمني لأنه فرع عن التقسيم فلو أثبت التقسيم بهذا كان دوراً[1]، فلا يمكن أن يقال: إن هذه من أحد القسمين دون الآخر إلا إذا ثبت أن هناك قسمين لا ثالث لهما، وأنه لا يتناول شيء من أحدهما شيئاً من الآخر، وهذا محل النزاع[2].

ب ـ أن من القائلين بالحقيقة والمجاز من سمّىٰ بعض الكلام حقيقة ومجازاً فوصف اللفظ الواحد بأنه حقيقة ومجاز وهذا قسم ثالث.

ج ـ أن الآمدي وطائفة كالرازي وابن الحاجب يقولون: إن الألفاظ قبل استعمالها وبعد وضعها ليست حقيقة ولا مجازاً، وأن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له.

وهذه الألفاظ إن لم يثبتوا أنه وضعت لمعنىً ثم استعملت في غيره لم

= علي وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، وعنه منصور والأعمش والتيمي وغيرهم، كوفي ثقة من رجال الكتب الستة، مات في خلافة الوليد ابن عبد الملك. وانظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٧٣، وتهذيب التهذيب ٣/٤٦٨، وشذرات الذهب ١/١١٣.

(١) الدور: توقف كل واحد من الشيئين على الآخر. الكليات ص٤٤٧، والتعريفات ص١٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٤٠٨.

يثبت أنها مجاز وهذا لا سبيل لأحد إليه، فإنه لايمكن أحداً أن ينقل عن العرب أنها وضعت هذه الألفاظ لغير هذه المعاني المستعملة فيها.

فإن قالوا: عرف بالإضافة، قيل لهم: هذا لا يقتضي أنهم وضعوا جناح السفر وظهر الطريق، بل هذا استعمل مضافاً إلى غير ما أضيف إليه ذاك، إن كان ذلك مضافاً، وسائر الأسماء المضافة يتميز معناها بالإضافة.

وإذا كان كذلك فلو قال قائل: الخمسة حقيقة في الخمسة، وخمسة عشر مجاز، كان جاهلاً لأن هذا اللفظ ليس هو ذلك، وإن كان لفظ الخمسة موجوداً في الموضعين، فليس المجرد كالمضاف ولا كالمقرون بغيره.

د ـ أن دلالة الإضافة على المعنى كدلالة سائر الألفاظ المضافة فكل لفظ أضيف إلى لفظ دل على معنىً يختص ذلك المضاف إليه، وقد يكون اللفظ المضاف واحداً مع اختلاف الحقائق في الموضعين، وإنما يميز أحدهما عن الآخر بإضافته إلى ما يميزه.

هـ ـ أن المتكلم بالكلام له حالان: تارة يسكت ويقطع الكلام ويكون مراده معنىً، وتارة يصل ذلك الكلام بكلام آخر يفيد المعنى الذي كان يدل عليه اللفظ الأول إذا جرد، فيكون اللفظ الأول له حالان: حال يقرنه المتكلم بالسكوت والإمساك وترك الصلة.

وحال يقرنه بزيادة لفظ آخر، ومن عادة المتكلم أنه إذا أمسك أراد معنىً آخر، وإذا وصل أراد معنىً آخر، وفي كلا الحالين قد تبين مراده أو قرن لفظه بما يبين مراده.

و ـ أن كثيراً من المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني ويقسمون الاشتقاق إلى ثلاثة أنواع:

الأصغر: وهو اتفاق اللفظين في الحروف والترتيب[1]، مثل: عالم، وعلم، وعليم.

---

(١) انظر ما قاله الجرجاني في: التعريفات ص٢٧، وأبو البقاء الكوفي في الكليات ص١١٧ ـ ١١٨.

والأوسط: وهو اتفاقهما في الحروف دون الترتيب[١]، مثل: سمي، ووسم.

والثالث: اتفاقهما في بعض الحروف دون بعض[٢] لكن أخص من ذلك أن يتفقا في جنس الباقي، مثل: أن تكون حروف حلق كما يقال: حرز[٣]، وعزر[٤]، وأزر[٥]، فالمادة تفضي إلى القوة، والحاء والعين والهمزة جنسها واحد، ولكن باعتبار كونها من حروف الحلق، ومنه: المعاقبة بين الحروف المعتلّ[٦] والمضعف[٧]، ومنه الضمان مشتق من ضم إحدى الذمتين إلى الأخرى.

والاشتقاق[٨] يراد به شيئان:

١ ـ أن يكون بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى من غير اعتبار كون أحدهما أصلاً والآخر فرعاً، فيكون الاشتقاق من جنس آخر بين اللفظين.

٢ ـ أن يكون أحدهما مقدماً على الآخر أصلاً له كما يكون الأب أصلاً لولده.

ز ـ أن إطلاق اللفظ ينصرف إلى ما يعرفه المتكلم والمخاطب فالتعريف هو الذي يعينه ويقطع إرادة الغير.

---

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر نفسه.

(٣) الحرز: الموضع الحصين الذي لا يوصل إليه وأحرزت الشيء أحرزه إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ. اللسان ٥/ ٣٣٣.

(٤) العزر: اللوم، وعزره: رده والعزرة، والتعزير: ضرب دون الحد لمنعة الجاني من المعاودة وردعه عن المعصية، وقيل: هو أشد الضرب، والعزر المنع، والعزر التوقيف على باب الدين. اللسان ٤/ ٥٦١.

(٥) أزر به الشيء: أحاط به والإزار الملحفة، وأزرت فلاناً أزره: قويته وأعنته عليه وآزر الشيء الشيء: ساواه وحاذاه. اللسان ٤/ ١٦ ـ ١٨.

(٦) المعتل: ما كان أحد أصوله حرف علة، وهي: الواو والياء والألف. التعريفات ص٢٢١.

(٧) المضعّف والمضاعف: ما كانت عينه ولامه من جنس واحد كرد وأعد، ومن الرباعي ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وكذلك عينه ولامه الثانية من جنس واحد كزلزل. التعريفات ص٢١٧.

(٨) الاشتقاق: نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة. التعريفات ص٢٧، وهو ثلاثة أقسام كما ذكره الشيخ.

ح ـ أنهم جعلوا دليل الحقيقة السبق إلى الفهم عند إطلاق اللفظ فاعتبروا في المستمع السبق إلى فهمه وفي المتكلم إطلاق لفظه، وهذا لا ضابط له، فإنه إنما يسبق إلى فهم المستمع في كل موضع ما دل عليه دليل في ذلك الموضع.

ط ـ قولهم: «إطلاق جميع اللفظ»، فإن أرادوا إطلاق اللفظ عن القيود فهذا لا يوجد قط، فإن النظر إنما يصح في الكلام المقرون بغيره من متكلم قد عرفت عادته بذلك اللفظ، ومستمع يعرف عادة المتكلم فهذه القيود لا بد منها في كلام يفهم معناه، وإن أرادوا أنه مطلق عن قيد دون قيد لم يكن ما ذكره دالاً على ذلك.

ي ـ كل قيد ذكروه ينقض عليهم الحدود التي جعلوها فارقة بين المجاز والحقيقة فما جعلوه حقيقة يصير مجازاً والعكس، والمتكلم هو الفارق بين هذا وهذا بالإطلاق والتقييد، وهذا لا يتصور، ومن لم يتصور ما يقول لم يقل شيئاً إلا كان خطأ.

٧ ـ أنهم احتجوا بأن أهل الأعصار لم تزل تتناقل ذلك، وهذا مما يعلم بطلانه قطعاً لأمور:

أ ـ أنه لم ينقل عن أحد من أهل الوضع أنهم قالوا: هذا حقيقة، وهذا مجاز، ولا نقله عنهم أحد ممن نقل لغتهم.

ب ـ لم يذكره أحد من الصحابة الذين فسروا القرآن وبينوا معانيه وما يدل عليه في كل موضع، لا ابن مسعود وأصحابه، ولا ابن عباس وأصحابه، ولا زيد بن ثابت وأصحابه[1]، ولا من بعدهم . . . ولا أُخِذَ من أئمة الفقه

(١) إنما نصّ كَلَلله على هؤلاء الثلاثة لأنهم هم أصحاب أشهر مدارس التفسير بعد زمن النبي ﷺ، فابن مسعود في العراق، وابن عباس في مكة، وأبي بن كعب في المدينة، وأما زيد بن ثابت فهو المقرئ الذي جمع المصاحف زمن الخلفاء الراشدين مرتين وشيخ شيخ المفسرين ابن عباس، حتى قال فيه ابن عباس: «لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم»، ولما مات قال: «هكذا ذهاب العلماء، دفن اليوم علم كثير»، وانظر: التفسير والمفسرون ١/ ١٠٠ ـ ١٢٧، =

كالأئمة الأربعة وغيرهم، ولا الثوري[١]، ولا الأوزاعي[٢]، ولا الليث بن سعد[٣]، ولا غيرهم.

ج ـ أنه إنما وجد في كلام الإمام أحمد لكنه بمعنىً آخر، كما وجد في كلام أبي عبيدة معمر بن المثنى بمعنىً آخر.

فأبو عبيدة لم يكن يعني بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عنى بمجاز الآية ما يُعَبَّرُ به عن الآية[٤]، وأما الإمام أحمد فقوله مجاز اللغة؛ أي: مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا، ونفعل كذا... ولم يرد أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له.

= وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٦ ـ ٤٤١، ومقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ضمن مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(١) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع الثوري أبو عبد الله الكوفي، إمام الحفاظ وسيد العلماء العاملين في زمانه، طلب العلم وروى عن مشايخ عده وعنه خلق كثير عدهم ابن الجوزي أكثر من عشرين ألفاً، إمام حافظ ثقة لم يُرَ مثله ولا أري مثل نفسه، توفي سنة ١٦١هـ. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ـ ١١٥، وطبقات القراء ١/ ٣٠٨.

(٢) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، حدث عن أمة من الأئمة وعنه أيضاً عدد كبير، إمام جامع في العلم والمعرفة كبير الشأن عند أهل العلم، توفي سنة ١٥٧هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢، وشذرات الذهب ١/ ٢٤١.

(٣) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية، أبو الحارث الفهمي سمع من طائفة كبيرة من التابعين، وروى عنه خلق كثير، وهو ثقة صدوق صحيح الحديث، توفي ١٧٥هـ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦ ـ ١٦٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣، وتهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٩، وشذرات الذهب ١/ ٢٨٥.

(٤) المجاز: تقول: جزت الطريق جوزاً وجوازاً ومجازاً إذا سرت فيه وسلكته وعبرته إلى غيره، فكأن أبا عبيدة يقول: هذه الآية طريق إلى كذا (معناها أو الحكم الذي تؤدي إليه) وانظر: مادة جوز في اللسان ٥/ ٣٢٦ وما بعدها.

ملاحظة: الناظر في كتاب المجاز يجد أن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات: «مجازه كذا»، و «تفسير كذا»، و«معناه كذا»، و«غريبه»، و«تقديره»، و«تأويله»، وهذه كلها معانيها متقاربة ومعنى هذا أن كلمة «المجاز» عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم من المجاز المقابل للحقيقة عندهم. والله أعلم.

د ـ أنه هذا لم ينقله أئمة النحو واللغة ولم يوجد في كتبهم ولا يعلمه أحد منهم عن العرب، إنما وجد في كلام طائفة من المتأخرين كأبي الحسين البصري[(١)]، وأبي يعلى[(٢)]، وأبي الطيب[(٣)] وغيرهم.

٨ ـ أن الحقيقة اسم للمجموع الدال على اللفظ والقرينة المعنوية وهذا أحسن من تعريفهم لأنه يجعل البيان الذي علمه الله عباده حقيقة وهم جعلوا كثيراً منه مجازاً، ثم إن اصطلاحهم بأن الحقيقة والمجاز من صفات الألفاظ دون القرائن المعنوية فيلزمهم أن يسلموا أن النزاع لفظي.

٩ ـ أن المواضع التي سموها مجازاً إذا ثبت استعمالها في اللغة فهي كلها حقيقة على هذا القول، والتعبير لبعض الحقائق يكون أحسن وأبلغ من بعض، ومراتب البيان والبلاغة متفاوتة وكل ذلك مما يدل عليه اللفظ بطريقة الحقيقة، واللفظ لا يدل إلا مع قرينة، ومن ظن أن الحقيقة في مثل قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] هو سؤال الجدران فهو جاهل لأن لفظ القرية يشمل: الحال، والمحل؛ أي: الناس والمكان. . .

١٠ ـ ثم اختتم الرسالة بتطبيق عملي بين فيه خطأ أصحاب التقسيم في تفسيرهم للقرآن بالمجاز، وأن القرآن ليس من المجاز في شيء.

ومما ذكره اعتذارهم عن قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥، ٢٦٦، وآل عمران: ١٥، ١٣٦، ١٥٩، ١٩٨] والأنهار غير جارية.

فيقال: النهر كالقرية والميزاب ونحو ذلك، يراد به الحال ويراد به

---

(١) هو: أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري، من متأخري المعتزلة وأئمتهم، توفي سنة ٤٣٦هـ. وانظر ترجمته ومذهبه في: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، والملل والنحل ١/ ٨٤ ـ ٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٧ وغيرها.

(٢) هو: أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء من كبار الحنابلة وعلماء عصره في الأصول والفروع، توفي سنة ٤٥٨هـ. وانظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠٦.

(٣) أبو الحسن علي بن أبي الطيب عبد الله بن أحمد النيسابوري، الإمام العلامة المفسر الحافظ له تفسيران كبير ومتوسط، توفي سنة ٤٥٨هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٧٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٤١٠.

المحل، فإذا قيل: حفر النهر، أريد به المحل، وإذا قيل جرى النهر، أريد به الحال، وعن قوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: ٤] وهو غير مشتعل كاشتعال النار، فهذا مسلم، لكن يقال: لفظ الاشتعال لم يُسْتَعمل في هذا المعنى، إنما استعمل في البياض الذي سرى من السواد سريان الشعلة من النار، وهذا تشبيه واستعاره، لكن قوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾ استعمل فيه لفظ الاشتعال مقيداً بالرأس لم يحتمل اللفظ في اشتعال الحطب، وهذا اللفظ وهو قوله: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ لم يُسْتَعمل قط في غير موضعه، بل لم يستعمل إلا في هذا المعنى، وإن كان هذا الوضع يغير بعد وضع اشتعلت النار فلا يضر، وإن قصد به تشبيه ذلك المعنى بهذا المعنى فلا يضر، بل هذا شأن الأسماء العامة لا بدّ أن يكون بين المعنيين قدر مشترك تشتبه فيه تلك الأفراد.

وأما تسميته استعارة فمعلوم أنهم لم يستعيروا ذلك اللفظ بعينه، بل ركبوا لفظ ﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ مع ﴿ٱلرَّأۡسُ﴾ تركيباً لم يتكلموا به، ولا أرادوا به غير هذا المعنى قط، ولهذا لا يجوز أن يقال في مثل هذا: لم يشتعل الرأس شيباً، بل يقال: ليس اشتعال الرأس مثل اشتعال الحطب وإن أشبهه من بعض الوجوه. . .اهـ.

ثم ذكر غيرها من الأمثلة وإنما أحببت الاختصار.


المبحث الرابع


اختلاف أهل الملة في إعجاز القرآن

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين مجمعين على وقوع الإعجاز من القرآن الكريم وعلى هذا تدل أقوالهم إلى أوائل المائة الثالثة، حتى جاء النظام[١] (٢٢٤هـ) بفكرة الصرفة وأنكر الإعجاز بغيرها فجعل الإعجاز أمراً قدرياً كونياً فقط.

ثم جاء من يقول: إن القرآن غير معجز لا بقوة القدرة ولا بضعف القدرة، وأشد من أظهر ذلك عيسى بن صبيح المردار[٢]، وأصحابه المردارية.

وكان عيسى هذا تلميذاً لبشر بن المعتمر[٣] أكبر شيوخ المعتزلة، وأقبح من جنونه جنون الحسينية أصحاب الحسين بن القاسم العناني[٤] الذين زعموا أن كتبهم وكلامهم أبلغ وأهدى وأبين من القرآن.

هؤلاء هم الذين خرجوا عن فكرة المسلمين جميعاً السابقين واللاحقين

---

(١) واسمه إبراهيم بن سيار: أبو إسحاق شيخ المعتزلة وتكلم في القدر وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ وقد ردّ عليه، والنظام ممن لم ينفعهم العلم والفهم، مات بضع وعشرين ومئتين في خلافة المعتصم. وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١.

(٢) نقل ذلك عنه الشهرستاني في الملل والنحل ١/ ٦٨ ـ ٦٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٨، ثم الرافعي في إعجاز القرآن ص١٥٠.
لكن الشهرستاني ضبط اسمه المردار، والذهبي المرداز، والرافعي المزدار، توفي عيسى بن صبيح ٢٢٦هـ وهو من كبار المعتزلة.

(٣) بشر بن المعتمر: أبو سهل الكوفي شيخ المعتزلي وكان من أصولهم مات ٢١٠هـ.
وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٣.

(٤) الحسين بن القاسم العناني أو العياني المتوفى ٤٠٤هـ. وانظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٢.

بوقوع إعجاز القرآن، وهؤلاء وإن كانوا شرذمة قليلة فإنه لا اعتبار لمقولتهم لمخالفتها النص الصريح والعقل الصريح والواقع المشهود والمروي بالتواتر.

ثم إن القائلين بالإعجاز اختلفوا أيضاً في الوجه الذي يقع به الإعجاز حتى حصر الزركشي أقوالهم في اثني عشر قولاً[1]، وإن كان بعضها يدخل في بعض، فما موقف العلماء من هذا الاختلاف وهل هذا ينافي الإعجاز أو ينقص من قيمته وقدره.

إننا نجد أن الإمام الباقلاني يطرح السؤال ثم يجيب عنه بقوله: «قد يثبت الشيء دليلاً وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان، كما قد يختلفوا في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق»، فهو يرى أن الاختلاف في وجه الإعجاز من باب الاختلاف في طريقة الاستدلال فقط، وأنه لا أثر لذلك في ثبوت الإعجاز أو قيمته وقدره في النفوس فالطرق مختلفة والنتيجة واحدة، وقد تختلف الطرق عن بعض فبعضها أوضح أو أجود وأقرب من بعض[2].

أما شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فيرى أن مما يزيد عظمة القرآن وإعجازه عدم اتحاد الناس في القول بوجه دون آخر فإن الناس تختلف في المشارب والإدراك، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له»[3].

بل ونجده يذهب إلى أبعد من هذا حتى إنه ليعتبر القول بالصرفة وجهاً معجزاً عند من يقول به ـ على سبيل التقدير والتنزيل ـ وإلا فهو يعتبرها من ضعيف القول، بل من أضعفه فهو لا يقول بها ولا يؤيدها[4]. والله أعلم.

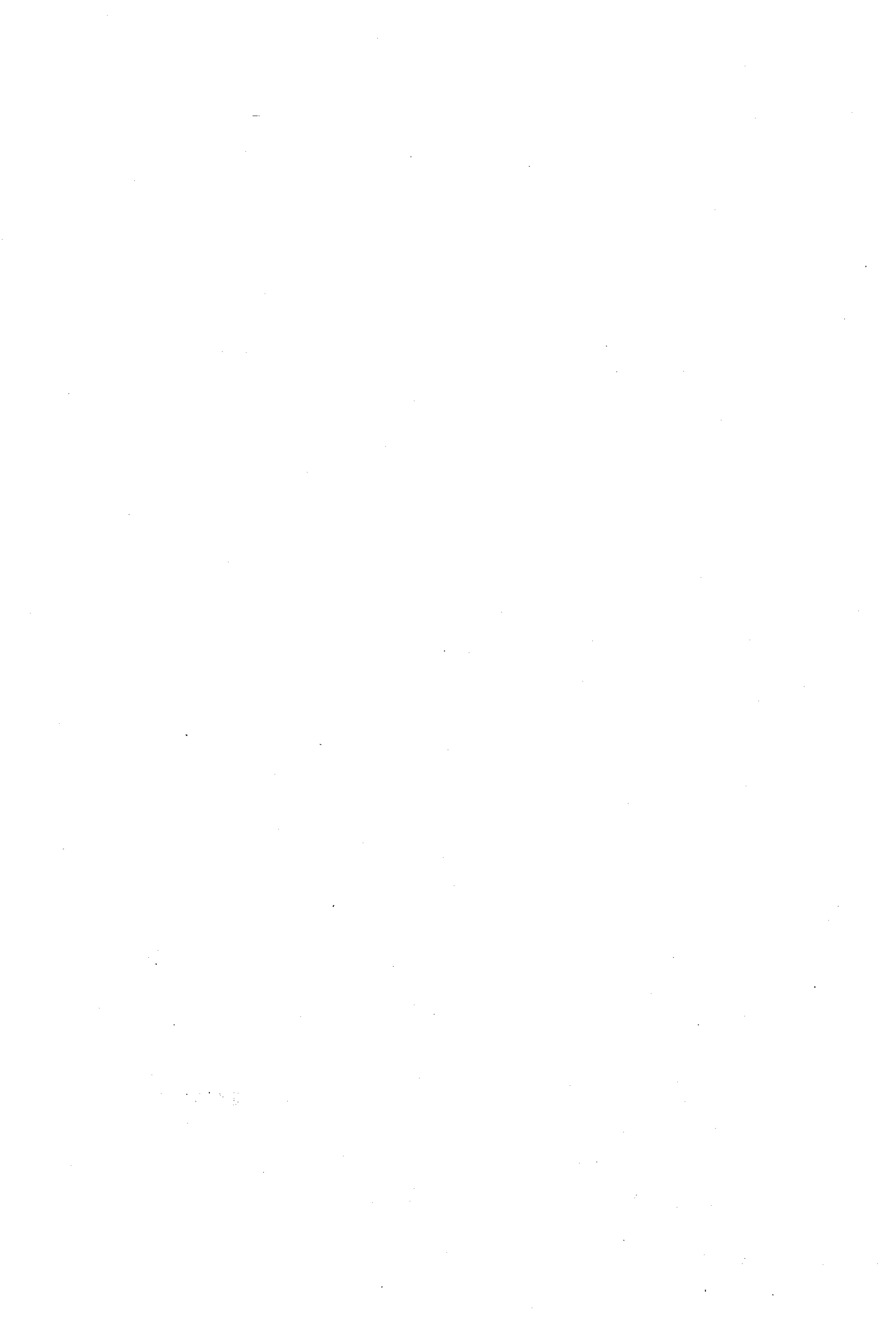
---

(١) وانظر: البرهان للزركشي ٢/ ٩٣ ـ ١٠٨. وكتاب: ابن تيمية ومنهجه في التفسير؛ د. صبري المتولي ص٢٥١ ـ ٢٥٢. ومقدمة القرطبي لتفسيره.

(٢) انظر: إعجاز القرآن ص٢٩٤.

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٧٥.

(٤) وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٧٥ ـ ٧٦.





المقارنة بينهما في الوجوه والمعاني التي يشتمل عليها نظم القرآن

وفيه مباحث:

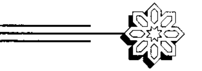
المبحث الأول: ما يرجع إلى جملته.

المبحث الثاني: عدم التفاوت والتباين في نظم القرآن.

المبحث الثالث: افتتاح بعض السور بحروف المعجم.

المبحث الرابع: موافقة الأحكام الشرعية للعقل.

المبحث الخامس: اقتصار الإعجاز على وجوه البلاغة وموقف كل منهما من ذلك.


المبحث الأول


ما يرجع إلى جملته

يرى الإمام الباقلاني رحمه الله: «أن نظم القرآن[١] على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد.

وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم[٢]، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه[٣]، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى[٤]، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع[٥]، ثم إلى معدل موزون غير مسجع[٦]، ثم إلى ما يرسل إرسالاً[٧] فتطلب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام

---

(١) النظم في اللغة: الجمع مأخوذ من جمع اللؤلؤ في السلك.
وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. التعريفات ص٢٤٢، واللسان ١٢/٥٧٨.

(٢) علم البديع: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة ـ أي خلوها عن التعقيد المعنوي ـ. التعريفات ص١٥٦.

(٣) الأعاريض: هي الأوزان على اختلاف بحور الشعر.

(٤) وهو ما يسمى بـ «المزاوج المتساوي الضروب» وذكر له مثالاً. وذكر د. عبد الرؤوف مخلوف أنه لم يجد ما يماثلها في آثار العرب إلا ماروواه أبو الحسن الأخفش من أعرابي كما في الخزانة ٢/٣٩٦، وانظر الباقلاني وكتابه: إعجاز القرآن ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٥) وهو ما يسمى بالسجع.

(٦) وهو ما انفرد بالوزن دون الالتزام بالسجع.

(٧) وهو ما كان طليقاً من قيود الشعر والوزن والقافية والسجع وهو الارتجالي الخالي مما سبق.

المعاني المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل فيه ولا يتصنع له.

وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق.. فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه من أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة، وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه»[١].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فيرى أن القرآن خارج عن المعهود من البشر سواء العرب أم غير العرب لأنه يرى أن المعاني ليست بأقل إعجازاً من الألفاظ، فنجده يقسم الدليل على إعجاز القرآن إلى: دليل إجمالي[٢] تكلم فيه عن التحدي والمعارضة وما يلحق بهما.

وإلى دليل تفصيلي[٣] قال فيه:

«نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأتِ أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأتِ أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الرسائل، ولا الخطابة[٤]، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس، عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل يعرفه من له نظر وتدبر»[٥].

ثم شرع في ذكر خروجه عن المعهود لدى البشر من ناحية معانيه، فقال: «ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة لم يوجد مثل ذلك في كلام البشر لا نبي ولا غير نبي، وكذلك ما أخبر به عن الملائكة، والعرش، والكرسي، والجن، وخلق آدم، وغير ذلك.

---

(١) وانظر: إعجاز القرآن ص٣٥.
(٢) وقد سبق ص١٣٩.
(٣) وقد سبق أيضاً ص٢٥٤.
(٤) سبق التعريف بها ص٢٣٨ ـ ٢٥٤.
(٥) الجواب الصحيح ٤/٧٨.

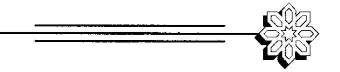
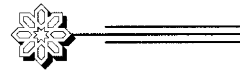
ونفس ما أمر به القرآن، من الدين والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال وبينه من الدلائل هو أيضاً كذلك.

ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء، في العلوم الإلهية، والخلقية، والسياسية، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف الأنبياء، تفاوتاً عظيماً، ووجد بين ذلك وبين القرآن، من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه، وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم.

فالإعجاز في معناه، أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه»[١].



(١) انظر الجواب الصحيح ٤/٧٨، والمحققة ٣/٤٩٩.


المبحث الثاني


عدم التفاوت والتباين في نظم القرآن

قال الإمام الباقلاني أثناء شرحه لتناهي فصاحة وبلاغة القرآن:

«إن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت[١] ولا يتباين[٢]، على ما ينصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها: من ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها.

ونجد كلام البليغ الكامل[٣]، والشاعر المفلق[٤]، الخطيب المصقع[٥]، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور . . . ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس[٦]

---

(١) التفاوت: الاختلاف في الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر، أو وصف كل واحد منهما الآخر. مفردات الراغب ص٤٠٠.

(٢) التباين: هو المفارقة والانفصال بأن يكون كل واحد من الأمرين بان عن صاحبه وانفصل، وهو أعم من التنافي. اللسان ١٣/ ٦٢ ـ ٦٤، والكليات ص٣١١.

(٣) البليغ الكامل: من ملك القدرة على تأليف الكلام البليغ. التعريفات ص٤٦.

(٤) شاعر مفلق: أي: مُجيد منه، يجيء بالعجائب في شعره، وأفلق في الأمر: إذا كان حاذقاً به. اللسان ١٠/ ٣١١.

(٥) خطيب مصقع: بليغ ماهر في خطبته يقع على المعاني، والصقع: رفع الصوت. اللسان ٨/ ٢٠٣.

(٦) امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار، ويكنى: أبا زيد، وأبا وهب، وأبا الحرث، وهو من كندة من أهل نجد من الطبقة الأولى، سبق الشعراء إلى أشياء واستحسنها العرب واتبعه عليها الشعراء من مخاطبة الديار واستيقافها ورقة النسيب، توفي ولم يدرك الإسلام. خزانة الأدب ١/ ١٦٠، ومختار الشعر الجاهلي ص٢ ـ ٢٢.

إذا ركب، والنابغة[١] إذا رهب، وبزهير[٢] إذا رغب، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل، وسائر أجناس الكلام. . .

وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدٍ واحد في حسن النظم، وبديع التأليف[٣] والرصف[٤]، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط[٥] عن المنزلة العليا، ولا إسفاف[٦] فيه إلى المرتبة الدنيا.

وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍ واحدٍ لا يختلف.

وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة[٧]، فعلمنا بذلك

---

(١) هو: زياد بن معاوية الذبياني، ويكنى: أبا أمامة، وأبا عقرب، أحد فحول شعراء الجاهلية من الطبقة الأولى بعد امرئ القيس، حظي عند النعمان بن المنذر ثم ملوك الغساسنة، ثم اعتذر من النعمان واستعطفه وعاد إليه، مات ولم يدرك الإسلام. خزانة الأدب ١/ ٢٨٧.

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من بلاد غطفان، أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين الفحول وإنما اختلفوا في ترتيبهم، وكان حسن الشعر بعيداً عن السخف وأجمعهم للمعاني وأشدهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالاً في الشعر يحسن المديح توفي قبل البعثة النبوية بسنة. خزانة الأدب ١/ ٣٧٥، والعبارة المذكورة في الثلاثة إنما قيلت بمناسبة قصائدهم التي برزوا فيها فأبدعوا وقد ذكرها ابن رشيق في العمدة في محاسن الشعر ١/ ٩٥.

(٣) التأليف: الجمع بين الأشياء بعد تفرق، تقول ألفته: إذا وصلت بعضه ببعض. اللسان ٩/ ١٠.

(٤) الرصف: ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه. اللسان ٩/ ١١٩.

(٥) الحط: الحدر من علو، والحط: الوضع والحطط أيضاً مراتب السفل، واحدتها حطة، والحطة نقصان المرتبة. اللسان ٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

(٦) الإسفاف: الانحدار أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه، والسفساف الرديء من كل شيء، والأمر الحقير، وكل عمل دون الإحكام سفساف. اللسان ٩/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٧) البراعة: هي كمال الفضل السرور وحسن الفصاحة الخارجة عن نظائرها. الكليات ص٢٤٤. وقال في اللسان البارع: ما تمّ في كل فضيلة وجمال، وفاق أصحابه في العلم أو غيره. اللسان ٨/ ٨.

أنه مما لا يقدر عليه البشر، لأن الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار، وعند تباين الوجوه، واختلاف الأسباب التي يتضمن»[١]. اهـ.

ثم ذكر معنىً آخر: وهو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، ألا ترى أن كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنىً إلى غيره، والخروج من باب إلى سواه . . . ونحن نفصّل بعد هذا، ونفسر هذه الجملة، ونبين أن القرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة: يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حدّ الآحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حدّ العادة[٢] ويتجاوز العرف[٣]». اهـ[٤].

أما بالنظر إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فنجد أنه لم يتطرق إلى الحديث عن عدم تفاوت نظم القرآن وكأنما هو أمر مسلم عنده بحيث لا يحتاج إلى تقرير وبحث، وإنما قلنا ذلك لأننا نجده عندما يقارن بين النظم في الألفاظ، وبين المعاني المشتملة عليها يتعجب من بديع نظم القرآن وبراعة أسلوبه، وأنه خارج عن أساليب الكلام المعتاد المعروف، كما يتعجب من شدة فصاحته وبلاغته، إلا أنه يرى أن الإعجاز في المعاني التي اشتمل عليها القرآن أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه ونظمه.

وأن عجز الأمم عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه[٥]. والله أعلم.

---

(١) إعجاز القرآن ص٣٦ ـ ٣٨.

(٢) العادة: هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى. التعريفات ص١٤٩.

(٣) العرف: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول، وهو أسرع إلى الفهم. انظر: التعريفات ص١٤٩.

(٤) إعجاز القرآن ص٣٦ ـ ٣٨.

(٥) كما سبق ذكره في المبحث الذي قبل هذا.


المبحث الثالث

افتتاح بعض السور بحروف المعجم

إنما ذُكرت الحروف المقطعة في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع[١].

ومن ذلك أن هذه الأحرف المذكورة في أوائل السور هي نصف الحروف الهجائية التي تتركب منها الكلمات[٢]، وهذا الوجه فصّله الإمام الباقلاني عند شرحه لاشتمال القرآن على بديع النظم، فقال رحمه الله: «إن الحروف التي بني عليها كلام العرب ثمانية وعشرون[٣] حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمانٍ وعشرون[٤] سورة[٥].

---

(١) كما نص على ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره ١/ ٥٩ (الشعب)، و١/ ٣٨ (دار المعرفة)، بأوسع وأكثر من الأولى فتدبر. والاستقراء: هو تتبع جزئيات الشيء. الكليات ص١٠٥.

(٢) وهي مجموع في قولك: «صله سحيراً من قطعك» وهي أربعة عشر حرفاً.

(٣) في نسخة (السيد أحمد صقر) تسعة وعشرون حرفاً، والتصويب من نسخة الحلبي بدليل ما سيأتي آخر كلام الإمام الباقلاني.

(٤) في نسخة (السيد أحمد صقر) ثمانٍ وعشرين.

(٥) وهي كالتالي: البقرة، وآل عمران، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبراهيم، الحجر، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، يس، صٓ، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، ق، فهذه ثمانٍ وعشرون سورة.

وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم.

والذي تنقسم[١] إليه هذه الحروف على ما قسمه أهل العربية وبنوا عليها[٢] وجوهها أقسام نحن ذاكروها:

فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة، وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة، وهي: الحاء، والهاء، والخاء، والكاف، والشين، والثاء، والفاء، والتاء، والصاد، والسين، وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة.

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور[٣].

وكذلك نصف الحروف المجهورة[٤] على السواء لا زيادة ولا نقصان، والمجهورة معناه: أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجري معه النفس[٥] حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت.

والمهموس: كل حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس، وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبنى عليه أصول العربية.

وكذلك مما يقسمون إليه الحروف يقولون: إنها على ضربين:

أحدهما: حروف الحلق، وهي ستة أحرف[٦]: العين، والحاء، والهمزة، والهاء، والخاء، والغين.

---

(١) في نسخة الحلبي (ينقسم).

(٢) هكذا في المطبوعتين، ولعلها: «وبنوا على وجوهها أقسام».

(٣) وهي: الحاء، والهاء، والكاف، والصاد، والسين، فهذه خمسة وهي نصف المهموسة.

(٤) وهي الباقية بعد الأحرف الخمسة المذكورة من الأحرف المقطعة: (صله سحيراً من قطعك».

(٥) في نسخة الحلبي بدون كلمة (النفس).

(٦) وهي حروف الإظهار.

والنصف[١] من هذه الحروف[٢] مذكور في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المثبتة[٣] في أوائل السور[٤]، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف حلق[٥][٦].

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين:

أحدهما: حروف غير شديدة[٧]، وإلى الحروف الشديدة وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والظاء، والذال، والطاء، والباء[٨].

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضاً هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بني عليها تلك السور[٩].

ومن ذلك الحروف المطبقة[١٠]، وهي أربعة أحرف، وما سواها

---

(١) وهي ثلاثة أحرف: العين، والحاء، والهاء.

(٢) العبارة في نسخة (السيد أحمد صقر) والنصف الآخر من هذه الحروف.. وهو خطأ قطعاً والتصحيح من نسخة الحلبي.

(٣) أي: المذكورة الموجودة في أوائل السور.

(٤) والعبارة في نسخة (الحلبي): الحروف المبينة في أوائل السور.

(٥) وهي الباقية من الأربعة عشر (صله سحيراً من قطعك) بعد الثلاثة الحلقية.

(٦) العبارة في نسخة الحلبي: التي ليست بحروف الحلق.

(٧) وهي الرخوة والمتوسطة، وحروف المتوسطة مجموعة في قولك: (لن عمر)، فهي خمسة والشديدة ثمانية، فالباقي خمسة عشر هي حروف الرخاوة.

(٨) الذي عليه أئمة التجويد كابن الجزري ت٨٣٣هـ وغيره، أن حروف الشدة ثمانية مجموعة في قولك: (أجد قط بكت) فتبين أن المؤلف أدخل الظاء والذال وحذف التاء والدال، وهذا في المطبوعتين الحلبي وطبعة السيد أحمد صقر، ولعل هذا تصحيف في الأصل المخطوط. والله أعلم. وانظر: التمهيد في علم التجويد ص٩٨.

(٩) وهي: القاف، والكاف، والطاء، ومن المتوسطة: اللام، والعين، والميم، والراء، فهذه سبعة، وهي النصف من مجموع المتوسطة والشديدة ثلاثة عشر حرفاً، وفي جملة الحروف المقطعة أيضاً نصف الرخوة وهي سبعة أحرف الباقية بعد المتصفة بالشدة أو التوسط.

(١٠) الإطباق: انطباق طائفة من اللسان إلى الحنك عند النطق بها مع استعلائها في الفم. التمهيد ص١٠٠.

منفتحة[١]، فالمطبق: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد.

وقد علمنا أن نصف هذه الحروف في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور[٢].

١ ـ وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربية، وتنزيلها[٣] بعد الزمان الطويل من عهد النبي ﷺ رأوا مباني اللسان على هذه الجهة، وقد نبه بما ذكر في أوائل السور على مالم يذكر، على حدّ التنصيف الذي وصفنا دل على أن وقوعها الذي يقع التواضع[٤] عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع إلا من الله ﷻ، لأن ذلك يجري مجرى علم الغيوب[٥].

٢ ـ وإن كان إنما تنبهوا[٦] على ما بني عليه اللسان في أصله، ولم يكن لهم في التقسيم شيء، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان، فذلك أيضاً من البديع الذي يدل على أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقتصر عنها اللسان.

٣ ـ فإن كان أصل اللغة توقيفاً: فالأمر في ذلك أبين.

وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً، لأنه لا يصح أن تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى، وكل ذلك يوجب

---

(١) سميت بذلك لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بينهما ويخرج الريح عند النطق بها. التمهيد ص١٠٠.

(٢) وهي: الصاد، والطاء.

(٣) الإنزال: نقل الشيء من أعلى إلى أسفل حساً أو معنىً، والتنزيل: يستعمل في التدريجي لأن فعله يكون لإيقاع الفعل شيئاً فشيئاً. انظر: الكليات ص١٩٦، ومراده هنا أي: إدخال بعض الكلمات والمصطلحات تحت هذا الأصل اللغوي واشتقاق أشياء منه حسب الحاجة على مرّ الزمن. والله أعلم.

(٤) التواضع: صيغة تفاعل من الوضع وهو في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني. التعريفات ص٢٥٢.

(٥) الترقيم الجانبي ليس في إعجاز القرآن للباقلاني وإنما وضعته لأهمية هذه النتائج.

(٦) في نسخة (الحلبي): وإن كان إنما نبهوا على ما بني عليه اللسان.

إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حدّ يتعلق به الإعجاز من وجه[١].

٤ ـ وقد يمكن أن تعاد[٢] فاتحة كل سورة لفائدة تخصها في النظم، إذا كانت حروفاً، كنحو: [آلم]، لأن الألف المبدوء بها هي أقصاها مطلعاً[٣]، واللام متوسطة[٤]، والميم متطرفة[٥]، لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف، وبين أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتردد بين هذين الطرفين.

ويشبه أن يكون التنصيف وقع في هذه الحروف دون الألف، لأن الألف قد تلغى، وقد تقع الهمزة وهي موقعاً واحداً». اهـ[٦].

وعند النظر إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نجد أنه اختصر الموضوع ولخصه بقوله:

«أما حرف مجرد فلا يوجد لا في القرآن ولا في غيره، ولا ينطق بالحرف إلا في ضمن ما يأتلف من الأسماء، والأفعال، وحروف المعاني[٧]، وأما الحروف التي يُنطق بها مفردة[٨] مثل: ألف، لام، ميم، ونحو ذلك فهذه

---

(١) بهذا يتبين لنا أن الإمام الباقلاني رحمه الله لم يكن يجزم بأحد القولين وكأنه لم يكن له اختيار في المسألة وقت كتابة هذا البحث، ولذا نجد شيخ الإسلام رحمه الله يعده من المتوقفين عن القول بأحد القولين، قال شيخ الإسلام: «وقال قوم: يجوز فيها هذا وهذا، ولا نجزم بشيء، وهذا قول القاضي أبي يعلى، والقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وغيرهما». مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٤٧.

(٢) هكذا رسمت في المطبوعتين، ولعل صوابها: «وقد يمكن أن تعد فاتحة كل سورة».

(٣) مخرج الهمزة والألف: أقصى الحلق لأن مبدأه من الحلق. انظر: التمهيد ص١١٣.

(٤) مخرج اللام: هو الخامس من مخارج الفم، من حافة اللسان فأدناها إلى منتهى طرفه. التمهيد ص١٥٢.

(٥) مخرج الميم: تخرج من المخرج الثاني عشر من مخارج الفم مما بين الشفتين مع تلاصقهما. التمهيد ١١٧ و١٥٥.

(٦) إعجاز القرآن ص٤٤ ـ ٤٦ (السيد أحمد صقر)، وطبعة الحلبي ص١٦ ـ ١٧.

(٧) حروف المعاني: هي التي تفيد معنىً وليست باسم ولا فعل كسين الاستقبال، وحروف الجر، ونحوها. وانظر: الكليات ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٨) وهي الحروف المجردة: التي لا تفيد معنىً بدون تركيبها مع غيرها.

في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفاً باسم مسماها، كما يسمى ضرب فعل ماضٍ باعتبار مسماه.

ولهذا لما سأل الخليل[١] أصحابه كيف تنطقون بالزاء من زيد؟ قالوا: نقول «زا»، قال: جئتم بالاسم، وإنما يقال: «زه» وليس في القرآن من حروف الهجاء ـ التي هي أسماء الحروف ـ إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً، وهي نصف أجناس الحروف: نصف المجهورة، والمهموسة، والمستعلية، والمطبقة، والشديدة، والرخوة[٢]، وغير ذلك من أجناس الحروف.

وهو أشرف النصفين، والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء، أو الأفعال، أو حروف المعاني ـ التي ليست باسم ولا فعل ـ.

فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن، لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن، بل قد اجتمعت في آيتين: «إحداهما» في آل عمران، و«الثانية» في سورة الفتح: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤][٣]، و﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ﴾ [الفتح: ٢٩][٤] الآية». اهـ[٥].

---

(١) سبقت ترجمته ص١١٧.

(٢) سبق التعريف بهذه الصفات انظر: ص١٧٠ ـ ١٧١ و٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣) والآية في سورة آل عمران ١٥٤ وتمامها: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾.

(٤) الآية في سورة الفتح ٢٩ وتمامها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

(٥) مجموع الفتاوى ١٢/٤٤٨ ـ ٤٤٩.

وتكلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أصل اللغة، وهل هو توفيقي[١] أم اصطلاحي[٢]؟ أم أن بعضها توقيفي والبعض الآخر اصطلاحي؟[٣][٤]، وبيّن أن محل الخلاف هو أسماء الأجناس[٥] لا أسماء الأعلام فإنما هي مرتجلة[٦] قطعاً.

وانتهى إلى أن هذه المسألة فيها تجاذب[٧]، والنزاع فيها بين أصحابنا وسائر أهل السنة يعود إلى نزاع لفظي فيما يتحقق فيه النزاع، وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوي». اهـ[٨].



(١) أي: بوحي، وهذا القول نسبه إلى أبي بكر بن عبد العزيز، وأبي محمد المقدسي، وطوائف من أصحاب الإمام أحمد، وهو قول الأشعري وابن فورك.

(٢) أي: من وضع البشر فتطور شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى هذه الدرجة من الكمال والتمام. وهذا القول نسبه إلى طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم، وقال: ورأس هذه المقالة أبو هاشم الجبائي.

(٣) أي: جامعة بين الأمرين، وهذا القول نسبة إلى ابن عقيل وغيره.

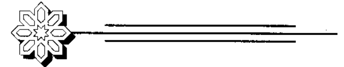
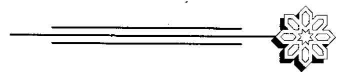
(٤) وذكر أن هناك طائفة رابعة من العلماء توقفوا وقالوا بالجواز في كل من الأمرين وذكر منهم القاضي أبي يعلى والإمام أبو بكر الباقلاني وغيرهما.

(٥) اسم الجنس: ما وضع لأن يقع على شيء وما أشبهه، ولا يطلق إلا على واحد الجنس على سبيل البدل كرجل. انظر: التعريفات ص٢٥.

(٦) المرتجل: هو الاسم الذي لا يكون موضوعاً قبل العَلَمِية. التعريفات ص٢١٠، أو ما لا معنى له أولاً. الكليات ص٨٦٦.

(٧) التجاذب: التنازع والجذب هو مدّ الشيء. اللسان ٢٥٨/١.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٤٤٦/١٢ ـ ٤٤٨، وأغلب ما نقلته بالمعنى للاختصار.


المبحث الرابع


موافقة الأحكام الشرعية للعقل

هذه قضية اختلف حولها علماء الكلام فذهب بعضهم إلى وقوعها، وذهب آخرون إلى أن ذلك غير حاصل.

والإمام الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ عرض للقضية من ناحية أن القائلين بوقوعها نظروا في القرآن فوجدوا موافقته في أحكامه لمقتضى العقل، فجعلوا ذلك أحد وجوه الإعجاز فيه.

قال الباقلاني: «اعلم أن من قال من أصحابنا: إن الأحكام معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه، كنحو ما يعللون به الصلاة ومعظم الفروض وأصولها.

ولهم في كثير من تلك العلل طرق قريبة ووجوه تستحسن.

وأصحابنا من أهل خراسان(١) يولعون بذلك، ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم». اهـ(٢)(٣).

---

(١) خراسان: بلاد واسعة تمتد من العراق إلى الهند وطخارستان وسجستان وكرمان، وتشمل بلاد نيسابور وهراة ومرو وبلخ، وما دون جيحون من المدن، ومن الناس من يدخل خوارزم فيها أيضاً. وانظر: معجم البلدان ٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤.

(٢) إعجاز القرآن ص٤٧.

(٣) يفهم من هذا النص أن الباقلاني رَحِمَهُ اللهُ يرى أن تعليل أحكام الشرع بعلل عقلية فالصلاة لكذا... والزكاة لكذا، والصوم لكذا، ثم جعل هذه العلل إعجازاً لا يصح عنده لأنها أمور اجتهادية تختلف من شخص لآخر فليست نصاً، فلا يبنى الإعجاز إلا على ما هو ثابت غير قابل للمتغيرات.

وإنما قلت: إنه يفهم هذا لأن الباقلاني نفسه ألمح إلى أن القرآن تضمن معاني في أصل=

وعند النظر إلى كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجده يرى:

أن دلالة آيات القرآن عقلية برهانية، وأن من سلك الطرق النبوية علم أن العقل الصريح مطابق للنقل الصحيح. بل إن السلف الصالح رحمهم الله كانوا لا ينكرون المعقولات الصحيحة بل يحتجون بها كما أرشد القرآن إلى ذلك، فإن عامة مسائل التوحيد قد دل عليها القرآن بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية، وقرر أن كل من يعارض ذلك فشبهته فاسدة لا قوام لها أمام النصوص الشرعية، وأنه لا يدرك اشتمال القرآن على ذلك إلا من كان له فهم وعقل(١).



= وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين. إعجاز القرآن ص٤٢، فجعل الأدلة العقلية في القرآن من ضمن معانيه لأن الاحتجاجات والرد على المنكرين والجاحدين كلها أدلة عقلية، والله أعلم.

(١) وهذا كما سبق نقل نصوص كلامه عند بيان القرآن للحق بالأدلة العقلية والقياس البين ص٢٤٣.


المبحث الخامس

اقتصار الإعجاز على وجوه البلاغة
وموقف كل منهما من ذلك

يرى الإمام الباقلاني أن الإعجاز ليس مقتصراً على وجوه البلاغة فقط، وإنما هي وجه من وجوه الإعجاز وإن كان هذا الوجه حظي عنده بقدر كبير من الشرح والبيان في كتابه إعجاز القرآن.. فنجده يقول:

«فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن: ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز:

أحدها: يتضمن[١] الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه، ... ثم ذكر أمثلة لذلك، ثم قال:

والوجه الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي ﷺ أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه... ثم ذكر أمثلة .. ثم قال:

والوجه الثالث: أنه بديع وعجيب التأليف مُتَنَاهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[٢]...اهـ.

---

(١) لعل صحة العبارة هكذا: «أحدها: ما يتضمن من الإخبار عن الغيوب»، أو «أحدها أنه يتضمن...».

(٢) انظر: إعجاز القرآن ص٣٣ ـ ٣٥.

ثم فصل هذا الوجه في عشر مسائل كلها من علم البديع والبلاغة، وبعدها شرح الوجوه التي ذكرها في إعجاز القرآن وفصل تفصيلاً متوسطاً في الوجهين الأول والثاني وذكر أمثلة لهما، ثم بدأ بالحديث عن الثالث وأطال فيه وتكلم عن مسائل الشعر والسجع والكلام الموزون وهل في القرآن شيء من ذلك[(١)].

وقال في موضع آخر من كتابه «وقد ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز، وهو معجز من القرآن».اهـ[(٢)].

أما عند النظر إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فنجده أشد من الباقلاني اعتراضاً على اقتصار الإعجاز على البلاغة فقط.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط.

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك.

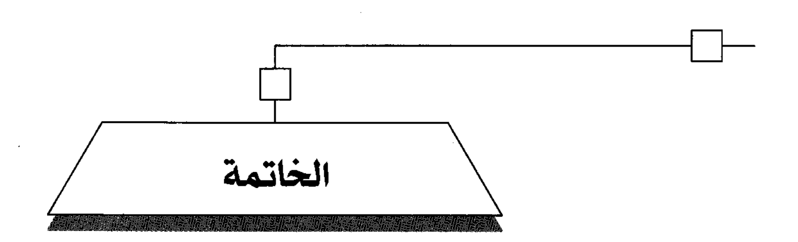
ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بيّن فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤].

وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له».اهـ[(٣)].

ثم شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في تضعيف القول بالصرفة[(٤)].

---

(١) وانظر: إعجاز القرآن ٣٥ إلى ٤٨.
(٢) إعجاز القرآن ص٢٨٣.
(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٧٤.
(٤) كما سبق بيان ذلك ص١٠٨ ـ ١٨٥.



الخاتمة

وبعد هذه الدراسة مع شيخ الإسلام والكلام في إعجاز القرآن رأيت أن أسطر بعض الأمور التي هي نتائج فمنها:

١ ـ بيان عناية شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ تعظيماً، وبياناً لإعجازه، وعظمته، وفصاحته، وبلاغته، كما اهتم به من ناحية تفسيره، وبيان معانيه.

٢ ـ عناية شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بالجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري، فعند النظر إلى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نجد أنه لم يؤلف كتاباً في قواعد ومسائل الإعجاز، إلا ما كان من رسالته: «الفرقان بين الحق والباطل في إعجاز القرآن» تكلم فيها عن إعجاز القرآن من ناحية كونه فرقاناً وقرآنا وكتاباً فقط.

فهو يجنح إلى التطبيق، فلا يتكلم عن موضوع أو مبحث إلا من خلال الآيات والأمثلة التي يجمعها، ويقرر من خلالها ذلك الأمر.

وهذا من وجهة نظري أبلغ وأعمق في النفوس. والله أعلم.

٣ ـ الشمولية تبدو ظاهرة عند شيخ الإسلام فهو يتذوق الألفاظ ويعرف الفصيح منها والبليغ، ويقارن بين اللفظ العربي البشري، وبين اللفظ العربي القرآني، ليعطي القارئ والسامع براهين وأدلة على علو مرتبة القرآن من ناحية ألفاظه وتراكيبه.

كما يتذوق المعاني وما تضيفه من هيبة وجلال وعظمة في المدلولات والأحكام مما قد يندر وجوده مجتمعاً عند غيره.

ويتبين من هذا أهمية التفسير الموضوعي وشدة علاقته بالإعجاز القرآني.

٤ ـ يرى الشيخ عدم حصر الإعجاز في وجه دون آخر، لأن كل فئة أو صنف من الناس، إنما يدركون ما تنبهوا له دون ما غاب عنهم أو لم يفطنوا له.

٥ ـ أن شيخ الإسلام يتبرأ من القول بالصرفة، وإنما يعتبره أضعف الأقوال، ولا يقول به إلا على سبيل المحاجة والتنزل مع الخصم.

٦ ـ كما أنه يرى أن الإعجاز يقع بكل ما يطلق عليه أنه قرآن لأنه لا بدّ أن يحتوي على أحد أوجه الإعجاز، فلا يمكن معارضته مهما قلّ.

٧ ـ ثم إنه رَحِمَهُ اللَّهُ ينتقد من يرى قصر أوجه الإعجاز على البلاغة فقط، أو على وجه دون غيره.

٨ ـ وينبه الشيخ إلى أهمية دراسة الأساليب في القرآن الكريم، وأن كل أسلوب له من الأحوال الإفرادية والتركيبية أحكام لا بدّ من التنبه لها، وإدراك أسرارها، فبقدر ما تدرك من أسرارها تدرك إعجاز القرآن الكريم.

٩ ـ جهود شيخ الإسلام البلاغية والبيانية تبرز من خلال دراسة إعجاز القرآن، وكذلك اللغوية، لأنه لا يرى إهمال علم للاشتغال بغيره، لأن العلوم يكمل بعضها بعضاً.

١٠ ـ ويشير إلى أهمية دراسة علم الفروق، وعلم المقارنات بين الأشياء، لأن الشيء لا تدرك قيمته إلا بمعرفة قيمة نظائره، فهو يقارن بين طرق الدعوة في القرآن، وطرق المناظرة عند المتكلمين والفلاسفة.

١١ ـ يرى الشيخ أنه لابدّ من إثبات الأصل، وإلا فما فائدة دراسة العلم إذا لم يكن له هدف متين، وأساس قوي، فالإعجاز مقصوده إثبات أن هذا القرآن من عند الله، فيعظم في النفوس، وتشتاق إلى الارتباط به، وتوثيق العرى المرتبطة به.

١٢ ـ تبين من خلال هذا البحث تمكن شيخ الإسلام من هذا الفن وأدواته الموصلة إليه، بل وإبداعه فيه مع ظهور روح الاستقلالية.

أما في المقارنة فتبين أن:

١ ـ ليس ثمة فرق كبير بين الإمامين في وجهة نظرهما حيال هذا الموضوع (إعجاز القرآن) وإن كان بينهما فارق في الوقت.

٢ ـ شيخ الإسلام يرى شمولية الإعجاز لجميع الأوجه، بخلاف الباقلاني

الذي اقتصر على ثلاثة، أطال النفس في أحدها دون الباقي.

٣ ـ استفادة الشيخ ممن سبقه من العلماء واضحة من خلال نقولاته ـ سواء المسندة أم غير المسندة ـ والتي لا توجد أحياناً إلا في القليل من كتب اللغة أو التفسير.

٤ ـ المتأمل في كلام شيخ الإسلام وكلام غيره، يجد الشيخ كأنه يحاول إبراز كل وجه من وجوه الإعجاز على أنه موضوع مستقل، يستحق البحث والتطبيق وحده، فكأنه يرى أن هذه الأوجه تستحق من البحث والتحرير أكثر مما كتب عنها هو أو غيره.

٥ ـ لمست من خلال المقارنة شدة الحاجة الماسة لاستظهار مناهج العلماء في كتاباتهم والإفادة من كل واحد، من الجهة التي أبرزها، فبهذا تكتمل العلوم ويرتفع بنيانها.





الفهارس الفنية

وتشمل ما يلي:



١ ـ فهرس الآيات

(سورة آل عمران)

٢ ـ فهرس الأحاديث

٣ ـ فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
ما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم في ماذا أنزلت	٢٨٤
مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا	٢٣٠
من الكتب الماضية وأمور الله السالفة	٢٣١
نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة	٣٢٧
نزل على رسول الله ﷺ القرآن فتلاه عليهم زماناً	٢٣١
هذه وهذه سواء يعني الخنصر والإبهام	٢٣٦
يا ابن الخطاب أجبار في الجاهلية	٢٩٩

٤ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

٥ ـ فهرس الكلمات الغريبة
(مرتبة حسب الأصل)

٦ ـ فهرس المصطلحات والتعريفات

٧ ـ فهرس الفرق والأمم والقبائل

٨ ـ فهرس الأشعار

٩ ـ فهرس الأماكن

١٠ ـ فهرس المصادر والمراجع[١]

(حرف الألف)

١ ـ ابن تيمية ومنهجة في التفسير: د. ناصر بن محمد الحميد (رسالة دكتوراه)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، ١٤٠٥هـ (مطبوع على الآلة الكاتبة).

٢ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣ ـ الأحاديث المختارة: لضياء الدين المقدسي (محمد بن عبد الواحد بن أحمد)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط مكتبة النهضة، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

٤ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: لعلي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٢هـ.

٥ ـ الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث، القاهرة.

٦ ـ آداب القارئ والقراء لكتاب الله تعالى: عبد العزيز بن عبد الله الجربوع (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية كلية القرآن الكريم، قسم التفسير، (مطبوع على الآلة الكاتبة).

٧ ـ أرسطو المعلم الأول: ماجد فخري، ط الثانية ١٩٧٧م، المؤسسة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

٨ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٩ ـ أسباب النزول: لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

---

(١) **تنبيه**: مراجع ترجمة شيخ الإسلام ذكرت في آخر الترجمة ص٩٠ بما أغنى من إعادتها.

١٠ ـ الاستقامة: لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١١ ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام: د. صابر طعيمة، طبع عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٢ ـ الأسماء والصفات: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الصاعدي.

١٣ ـ الأشباه والنظائر: لجلال الدين السيوطي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني)، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٥ ـ أصول الفقه وابن تيمية: صالح بن عبد العزيز آل منصور، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ (دكتوراه).

١٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ.

١٧ ـ أضواء على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: عاصم البيطار وآخرون، ط الأولى ١٤٠٢هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٨ ـ إظهار الحق: رحمة الله الهندي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ط دار التراث العربي، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٩ ـ إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف، الخامسة، وطبعة شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٠ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ، نشر دار الكتاب العربي، لبنان.

٢١ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: عمر بن علي البزار، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

٢٢ ـ الأعلام: خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الطبعة الثامنة ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

٢٣ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق: محمد حامد الفقي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٤ ـ الهدى والبيان في أسماء القرآن: صالح بن إبراهيم البليهي، ط المطابع الأهلية، الرياض، الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٥ ـ أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية: محمد تيسير ظبيان، نشر دار الاعتصام، ط الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٦ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٧ ـ الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تقديم عبد الله البارودي، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٨ ـ الأوائل: لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد السيد الوكيل، طبع دار البشير، مصر، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٩ ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، ومعه عدة السالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، بيروت، الخامسة ١٣٩٩هـ.

(الباء)

٣٠ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن: عبد الرؤوف مخلوف، دار الحياة بيروت ١٩٧٨م.

٣١ ـ البداية والنهاية: لإسماعيل بن محمد بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد بن أبو ملحم وآخرون، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٢ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة، بيروت.

٣٣ ـ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الجيل ١٤٠٨هـ.

٣٤ ـ البحر المحيط: محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي، طبع دار الفكر، بيروت، الثانية ١٤٠٣هـ.

٣٥ ـ بغية المرتاد: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٦ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية: لابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط مؤسسة قرطبة.

(التاء)

٣٧ ـ تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٥هـ.

٣٩ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٤٠ ـ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

٤١ ـ التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ.

٤٢ ـ تفسير سورة يوسف من تفسير ابن أبي حاتم: دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم بن عبيد البنجابي (رسالة ماجستير) جامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة (مطبوعة على الآلة الكتابة).

٤٣ ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، نشر دار المعارف بمصر، ط الثانية، وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٨هـ.

٤٤ ـ تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب): محمد بن عمر الرازي، ط دار الفكر، بيروت، الثالثة ١٤٠٥هـ.

٤٥ ـ تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم): عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي:
١ ـ تفسير سورة البقرة ق١، تحقيق: د. أحمد الزاهرني.
٢ ـ تفسير سورة آل عمران ق١، تحقيق: د. حكمت بشير ياسين. نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٦ ـ تفسير سورة المائدة من تفسير ابن أبي حاتم: تحقيق: عيادة بن أيوب الكبيسي، عام ١٤٠٩هـ (مطبوع على الآلة الكاتبة).

٤٧ ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): تحقيق: د. محمد البنا، محمد عاشور، عبد العزيز غنيم، ط دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ.

٤٨ ـ تفسير النسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: صبري عبد الخالق الشافعي، وسيد بن عباس الجليمي، نشر مكتبة السنة، القاهرة، الأولى ١٤١٠هـ.

٤٩ ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د. محمد السيد طنطاوي، نشر مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٥هـ.

٥٠ ـ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ط دار الكتب الحديثة القاهرة.
٥١ ـ تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف طبع دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.
٥٢ ـ التمهيد في علم التجويد: محمد بن محمد الجزري، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٠٧هـ.
٥٣ ـ تنوير المقباس تفسير حبر الأمة ابن عباس بهامش الدر المنثور: سيوطي، ط دار المعرفة، بيروت.
٥٤ ـ تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الأولى عن دائرة المعارف بالهند ١٣٢٥هـ.
٥٥ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: د. الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهدي النجار، طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

(الجيم)

٥٦ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار الفكر، بيروت لبنان، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
٥٧ ـ جامع بيان العلم وفضله وماينبغي في روايته وحمله: يوسف بن عمر بن عبد البر، ط الثانية ١٤٠٢هـ، دار الكتب الإسلامية، مصر.
٥٨ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تصحيح: أحمد بن عبد الحليم البردوني وجماعة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٩ ـ جمهرة الأمثال: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: د. أحمد عبد السلام، ومحمد بسيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٨هـ.
٦٠ ـ جمهرة أنساب العرب: علي بن حزم الأندلسي، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٠٣هـ، الأولى.
٦١ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: لابن تيمية، تقديم: علي السيد صبح المدني، نشر مكتبة المدني، جدة، طبع مطبعة المدني، جدة. وتحقيق: د. حمدان بن محمد الحمدان، جامعة الإمام (رسالة دكتوراه)، كلية أصول الدين، ١٤٠٧هـ (مطبوع على الآلة الكاتبة).

٦٢ ـ جواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٦٣ ـ الجوهر الثمين في سير خلفاء والملوك والسلاطين: إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي بن دقماق، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، نشر جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الكتاب رقم ٣٩.

(الحاء)

٦٤ ـ حاشية الجمل على الجلالين (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية): سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٦٥ ـ حروف المعاني: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، ط مؤسسة الرسالة بيروت، ودار الأمل الأردن، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٦٦ ـ حسن المحاضرة في إخبار مصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط القاهرة ١٣٢٧هـ.

٦٧ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ.

(الخاء)

٦٨ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، ط دار صادر بيروت، ط الأولى، نشر دار الباز.

٦٩ ـ خصائص القرآن: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط الخامسة ١٤١٠هـ.

٧٠ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد المحبي، محمد بن فضل الله بن محب الله، طبع دار صادر بيروت.

(الدال)

٧١ ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ العشرين: محمد فريد وجدي ط ٣ دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م.

٧٢ ـ درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية: تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الأولى ١٤٠٢هـ.

٧٣ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن حجر العسقلاني، نشر دار الجيل، بيروت، لبنان.

٧٤ ـ درة الأسلاك في دولة الأتراك: الحسن بن عمر بن حبيب (مصورة عن مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٦١٧٠).

٧٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

٧٦ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية: جمع وتحقيق: د. محمد السيد الجلنيد، ط دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن بدمشق، وبيروت، ط الثالثة ١٤٠٦هـ.

٧٧ ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية: زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: نسيب نشادي، نشر ألف باء الأديب دمشق ١٤٠٠هـ.

٧٨ ـ ديوان حسان بن ثابت: تحقيق: عبد الأمير مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٧٩ ـ ديوان النابغة: تحقيق: عباس عبد الساتر، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٥هـ.

(الذال)

٨٠ ـ ذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت لبنان، عن طبعة مطبعة السنة المحمدية، مصر.

٨١ ـ ذيل الملل والنحل: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة ١٤٠٤هـ بيروت.

(الراء)

٨٢ ـ الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د. عبد الرحمن عميره، ط دار اللواء الرياض، الثانية ١٤٠٢هـ.

٨٣ ـ الرد على المنطقيين: ابن تيمية، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، نشر إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط الثانية ١٣٩٦هـ.

٨٤ ـ الرد الوافر: محمد بن أبي بكر ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤١١هـ.

٨٥ ـ رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: أبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ١٤١٣هـ.

٨٦ ـ الرسالة التدمرية: تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الثالثة ١٤٠٣هـ.

٨٧ ـ الرسالة: للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٨٨ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حامد عبد المجيد وآخرون، القاهرة ١٩٧٥م.

٨٩ ـ روح المعاني: محمود الألوسي البغدادي، نشر دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

(الزاي)

٩٠ ـ زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ.

(السين)

٩١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الرابعة ١٤٠٥هـ.

٩٢ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الخامسة ١٤٠٥هـ.

٩٣ ـ سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ط دار الدعوة استنابول ١٤٠١هـ.

٩٤ ـ سنن أبي داود: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الدعوة استانبول، ١٤٠١هـ.

٩٥ ـ سنن الدارمي: أبي محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، ط دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١هـ.

٩٦ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي: لأحمد بن شعيب بن علي النسائي، دار الدعوة، استنابول ١٤٠١هـ.

٩٧ ـ سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، السادسة ١٤٠٩هـ.

٩٨ ـ السيرة النبوية الصحيحة: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الأولى ١٤١٢هـ.

٩٩ ـ السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مؤسسة علوم القرآن بدمشق وبيروت، ودار القبلة جدة.

(الشين)

١٠٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لعبد الحي بن العماد الحنبلي، نشر دار المسيرة، بيروت، الثانية ١٣٩٩هـ.

١٠١ ـ شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثامنة ١٤٠٤هـ.

١٠٢ ـ شروح على أرسطو: تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، دار المشرق، بيروت.

١٠٣ ـ شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١٠هـ.

١٠٤ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار الفرقان، الأردن، والرسالة بيروت، الأولى ١٤٠٤هـ.

(الصاد)

١٠٥ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهردي، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ، دار العلم، بيروت.

١٠٦ ـ صحيح الترغيب والترهيب: اختيار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية ١٤٠٦هـ.

١٠٧ ـ صحيح سنن أبي داود باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠٨ ـ صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الأولى.

١٠٩ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط دار الدعوة، استانبول١٤٠١هـ.

١١٠ ـ الصفدية: لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة.

١١١ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، نشر دار العاصمة، الرياض، الثانية ١٤١٢هـ.

(الضاد)

١١٢ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤١٠هـ.

١١٣ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٣هـ

(الطاء)

١١٤ ـ الطب من الكتاب والسنة: لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط دار المعرفة، بيروت لبنان، الأولى ١٤٠٦هـ.
١١٥ ـ طبقات الحنابلة: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، نشر دار المعرفة بيروت.
١١٦ ـ طبقات الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، ط دار النهضة العربية بيروت.
١١٧ ـ طبقات المدلسين: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، نشر دار الصحوة القاهرة، الأولى ١٤٠٧هـ.
١١٨ ـ طبقات المفسرين: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ.
١١٩ ـ طبقات المفسرين: لمحمد بن علي بن أحمد الداودي، دار الكتب العلمية بيروت.

(العين)

١٢٠ ـ العظمة: لأبي الشيخ، تحقيق: رضا الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٢١ ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار الكتاب العربي.
١٢٢ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، لبنان.

(الفاء)

١٢٣ ـ الفتاوى الكبرى: (الفتاوى المصرية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقديم: حسنين مخلوف، نشر دار المعرفة بيروت.
١٢٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، إخراج محب الدين الخطيب، ط دار المعرفة عن السلفية الأولى.
١٢٥ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: عبد القاهر البغدادي، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
١٢٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم وبهامشه الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٢٧ ـ فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي، طبع دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ.
١٢٨ ـ فضائل القرآن: محمد بن أيوب الضريس، تحقيق: د. مسفر بن سعيد الغامدي، نشر دار حافظ، الأولى ١٤٠٨هـ.
١٢٩ ـ الفلسفة في الإسلام: تأليف عرفان عبد الحميد، نشر دار التربية، بغداد.
١٣٠ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٧هـ.

(القاف)

١٣١ ـ القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤٠٧هـ.
١٣٢ ـ القصيدة النونية (الكافية الشافية): ابن القيم، دار المعرفة، بيروت.

(الكاف)

١٣٣ ـ الكامل: ابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ.
١٣٤ ـ الكتاب: سيبويه تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
١٣٥ ـ كتاب البيروني (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة): لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٧٧هـ.
١٣٦ ـ كشاف إصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: لطيف عبد البديع، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٧م.
١٣٧ ـ الكاشف: محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة بيروت.
١٣٨ ـ الكليات: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤١٢هـ.
١٣٩ ـ الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات: محمد بن أحمد الذهبي (ابن الكيال)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر دار العلم، مصر، ط المطبعة السلفية ١٤٠١هـ.

(اللام)

١٤٠ ـ اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير الجزري، دار صادر بيروت ١٤٠٠هـ.
١٤١ ـ لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، نشر دار صادر بيروت.

١٤٢ ـ لسان الميزان: أحمد بن حجر العسقلاني، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الثانية ١٣٩٠هـ.

(الميم)

١٤٣ ـ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة، السابعة عشر ١٤١١هـ.

١٤٤ ـ متشابه القرآن العظيم: لابن المنادي، تحقيق: الشيخ عبد الله الغنيمان، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الأولى ١٤٠٨هـ.

١٤٥ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٤٦ ـ المجددون في الإسلام في القرن الأول حتى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية، القاهرة.

١٤٧ ـ مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٦٢، السنة ١٦ عام ١٤٠٤هـ، مطابع الجامعة الإسلامية بحث (منهج الأشاعرة في العقيدة).

١٤٨ ـ مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد أحمد الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت الثانية ١٤٠٧هـ.

١٤٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

١٥٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع الرئاسة العامة للإفتاء، ط إدارة المساحة العسكرية، القاهرة ١٤٠٤هـ.

١٥١ ـ المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون: دار الفكر، الثالثة ١٤٠٨هـ.

١٥٢ ـ مجموعة الرسائل والمسائل: لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ.

١٥٣ ـ المحرر الوجيز: عبد الحق بن عطية، تحقيق الرحالي الفاروقي وآخرون، دار العلوم، قطر، الأولى ١٤١٢هـ.

١٥٤ ـ مختار الشعر الجاهلي: تحقيق وشرح: مصطفى السقا، ط شركة ومكتبة البابي الحلبي بمصر، الرابعة١٣٩١هـ.

١٥٥ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ١٩٨٦م.

١٥٦ ـ المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي (اختصار الذهبي): نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٧ ـ المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: عبد القادر بن بدران، مؤسسة دار العلوم، بيروت.

١٥٨ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٥٩ ـ المزهر في اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرون، ط الثالثة دار التراث.

١٦٠ ـ مسند أبي بكر الصديق: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو الفضل عبد الله الغماري، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، طبع الحلبي.

١٦١ ـ مسند أبي داود الطيالسي: مكتبة المعارف، الرياض.

١٦٢ ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١هـ.

١٦٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: دار الدعوة، استنابول ١٤٠٢هـ

١٦٤ ـ مسند الشهاب: محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦٥ ـ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٦٦ ـ المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المغربي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٧ ـ معارج الوصول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الرياض.

١٦٨ ـ معالم التنزيل: الحسيني بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد بن عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض الأولى ١٤٠٩هـ.

١٦٩ ـ معاني القرآن: للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.

١٧٠ ـ معاني القرآن الكريم: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، الأولى ١٤٠٨هـ.

١٧١ ـ معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الأولى ١٤٠٨هـ.

١٧٢ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.

١٧٣ ـ معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت ١٤٠٤هـ.

١٧٤ ـ المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩م.

١٧٥ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الثانية، نشر وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العراقية.

١٧٦ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.

١٧٧ ـ معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ.

١٧٨ ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحاله، مكتبة المثنى، بيروت.

١٧٩ ـ معرفة القراء الكبار: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، الثانية ١٤٠٨هـ.

١٨٠ ـ المغني (وبذيله الشرح الكبير): لموفق الدين ابن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ.

١٨١ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبناب ١٤٠٧هـ.

١٨٢ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الثانية ١٣٨٩هـ.

١٨٣ ـ المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، عالم الكتب، بيروت.

١٨٤ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة ١٤٠٤هـ بيروت.

١٨٥ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد بن عبد العظيم الزرقاني، دار عيسى الحلبي، الثالثة.

١٨٦ ـ المنتخب من غريب كلام العرب: علي بن الحسن الهنائي، تحقيق: د. محمد أحمد العمري، ط مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى مكة المكرمة، الأولى ١٤٠٩هـ.

١٨٧ ـ منهاج السنة: ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الأولى ١٤٠٦هـ.

١٨٨ ـ منهج ابن تيمية في تفسير القرآن: د. صبر المتولي، عالم الكتب، القاهرة ١٤٠١هـ.

١٨٩ ـ موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس، مكتبة دار الدعوة، استانبول ١٤٠١هـ.

١٩٠ ـ الموسوعة العربية الميسرة: مجموعة من الكتاب برئاسة محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان، بيروت ١٤٠١هـ.

١٩١ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

(النون)

١٩٢ ـ النبوات: شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

١٩٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي، دار الكتب المصرية ١٩٢٩هـ.

١٩٤ ـ النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن الجزري، راجعه: علي بن محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر بن أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

(الواو)

١٩٦ ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، دار فرانز شتايز بفيسبادن ١٣٨٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الأول

إعجاز القرآن الشمولي عند شيخ الإسلام

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين